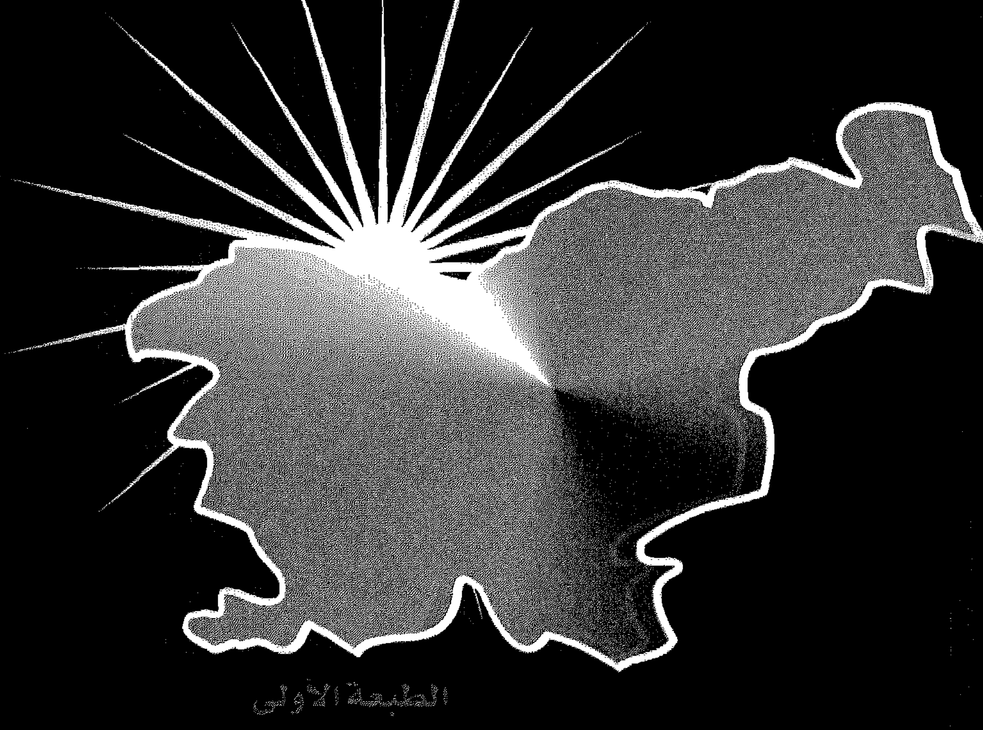
القوى السياسية

في كوت الاحساء ودورها في تشكيل الأحداث في منطقة الخليج

تأليف دكتور

يوسف جعفر سعادة



الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

اهداءات ٢٠٠٢
المجلس الوطني للثقافة و الفنون
و الأدب - الكويت

القوى السياسية
في كوت الاحساء
ودورها في تشكيل الأحداث
في منطقة الخليج

تأليف

دكتور/ يوسف جعفر سعادة

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

الباب الأول
تطور الأحوال السياسية والاجتماعية
في العصور القديمة

الباب الثاني
تطور الأحوال السياسية والاجتماعية في العصور الوسطى ودور الأحساء في أحداث العالم الاسلامي

الباب الثالث
العلاقات الدولية ونشاط الاتصالات مع العالم

الباب الرابع

النشاط الاقتصادي وأثره في ازدهار المنطقة

المقدمة

مقدمة

يتطلب أي عمل في حياتنا علميا كان أو اجتماعيا أو اقتصاديا، دوافع وأسباباً وأهدافاً محددة حتى يتم إنجازه وبخاصة إذا كان مجال ذلك العمل ثقافيا وعلميا، وبدقة أكثر إذا كان القصد إنجاز بحث علمي أو تأليف كتاب. فالكتاب لا يظهره مؤلفه، ولا يبحث عن معلومات تخص مادته، إلا إذا دفعته عوامل ودوافع ملحة، وأسباب حقيقية وحاجة أكيدة وهدف مرغوب يجعل القارئ يسرع في قراءة ما تناوله من معلومات ومعارف وأحداث.

وهذا الكتاب الذي يتناول وقائع وأحداث منطقة الخليج العربي في بقعة معينة فيه، هي الساحل الغربي للخليج، الذي سمي بالأحساء أو البحرين منذ آلاف السنين.

لم يخطر لي في الحقيقة يوما أنني سأتناول البحث في أحداثه المثيرة وتاريخه المميز، إلى أن دفعتني الأسباب القوية التي لم تمنحني الفرصة للتردد أو التفكير في إنجازه، وقد تحددت هذه الدوافع والأسباب في أربعة مجالات:

كان الأول والرئيسي منها: العرض الذي تقدم به أحد أصدقائي المقربين والعزيز على نفسي وقلبي، والذي أكن له كل أحترام وتقديرٍ، رجل الأعمال المعروف والمحسن الكبير ذو الشخصية المحبوبة والنفسية الطيبة التي طالما جذبت إليه الفرد حينما يجالسه أو يتناقش معه - وهو السيد / حسين علي ناصر القطان، الذي اشتهر بين أهله وجماعته وأقرانه برجل الخير والبر، المحب لإقامة المشاريع الخيرية والبادئ في التفكير بها وتنفيذها. فقد طلب مني هذا الانسان الجليل أن أحاول الكتابة أو تأليف كتاب عن تاريخ المنطقة يوضح بعض أحداثها ويفسر ما جاء فيها من غموض، وشجعني على ذلك بكل ما يملك من وسائل وإمكانات،

فأبدى استعداده التام لتقديم كل ما يمكنه من تعاون ومساعدة، وكافة ما أحتاجه في هذا المجال سواء في إعداد الكتب والمراجع أو إجراء لقاءات ومقابلات مع أشخاص وأفراد ذوي علاقة واتصال بمجال البحث والدراسة أو السفر إلى الجهات التي يشملها موضوع الكتاب.

وفي الحقيقة أن نفس هذا الانسان حلوة، وصدره واسع، وهو على استعداد لتقبل كل ما يطلب منه براحة تامة وسعة صدر في سبيل إنجاز هذا العمل، فلا يرد طلبا أو يرفض عرضا في سبيل أن يخرج الكتاب بالصورة المقبولة التي يمكن أن تنفع المواطنين في الخليج العربي وأفراد الشعوب العربية الأخرى، وذلك بتعرفهم على تاريخ أهم جزء في وطنهم الكبير. فالعمل في الحقيقة كان فكرته والإخراج كان من تشجيعه.

والدافع الثاني: كان حب الكتابة عن تاريخ منطقتنا كأرض وموطن لنا نحن أهل الخليج، والذي نكن له كل حب وتقدير واعتزاز وفخر لما نحن فيه من عيشة كريمة وحياة عزيزة، نحياها على أرضه الطاهرة - الأمر الذي يدفع الفرد ويشجعه أن يقدم كل ما في استطاعته في سبيل خدمته دوما في أي مجال.

وقد ملائني هذا الاحساس والشعور عندما تناولت في فترة سابقة تاريخ دولتنا العزيزة الكويت حين كتبت عن استقلالها خلال قرنين ونصف من الزمان متناولا فيه أهم الأحداث التي تؤكد استقلالية دولة الكويت منذ منتصف القرن (١٨م) وحتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين، مما جعل بعضهم يتساءل عن وجود الكويت قبل هذا التاريخ - وهذا الكتاب يمكنه أن يجيب عن هذا التساؤل، فيبين موقع الكويت وأهميتها في السنوات الماضية.

أما الدافع الثالث: فقد كان قصور ما كتب عن تاريخ المنطقة على العموم، وعن الجزء الشرقي منها على الخصوص حيث أن ما كتب عنها قليل. وبالرغم من

أن أي مؤلف يدرك صعوبة مهمته في تناوله تاريخ المنطقة، إلا أنه من الواجب على مواطنيها الاعتناء بدراستها حتى يمكن أن نستفيد من أفكار وأعمال الأجيال السابقة فنتعلم منها في تطلعنا بالثقة إلى المستقبل، ففي كل مدينة وقرية يرقد رجال كان لتضحياتهم الفضل في وجودنا في الخليج، فالهدف هنا يتحدد في سد النقص في المكتبة العربية في هذا الموضوع.

أما الدافع الأخير: فقد تركز في التشجيع على القراءة في كتب التاريخ الخاصة بالمنطقة واستمراريتها، إذ إننا في الواقع قليل ما نعطي الاهتمام للقراءة هذه الأيام، فيفتقر جيلنا إلى ذلك وخاصة في هذا العصر الذي نعيش فيه والذي يتميز بوفرة المعلومات والمعارف ومصادرها، وكثيرا ما يتردد سؤال عند معظم الأفراد.. لماذا الاهتمام بالتاريخ؟.. والقراءة في كتبه ومراجعه؟

ونحن يمكن أن نقدم لهم الجواب بسهولة، فنحن نعلم أن أعظم الدول تقدما تدرك اليوم أن المعرفة هي الأساس الصلب الذي قامت عليه حضارتها وتفوقها، فالمعرفة كانت ولاتزال حجر الزاوية التي تقوم عليها الحضارات وتشيد صروحها، فيقدر عمر هذه الحضارات عادة ومدة اتساعها وتشعب أطرافها واختلاف ألوانها بقدر ما وصلت إليه من المعرفة. ونحن عن طريق القراءة يمكننا التعرف والإطلاع على هذه المعرفة ومتابعتها، فمنها نعرف العالم الذي نعيش فيه وندرك خباياه، فهي مفتاح يفتح لنا باب الماضي والمستقبل، إذ إن تراث الانسان الثقافي والاجتماعي ينتقل من جيل إلى جيل عن طريق ما يدون من سجلات وما يطبع من كتب.

ولعلنا نلاحظ أن هناك ترابطا واضحا بين كون الشعب قارئا وكونه متقدما، فالشعوب تتعلم ثم تسخر العلم في تحقيق التقدم فلن تكون تنمية بغير القراءة والانفتاح بعقلية نافذة على كل مستحدث وجديد، فالحضارة هي خلاصة العلم والتجربة لفكر الإنسان في جيل معين، ومقرها لاشك هو الكتب والمراجع والمصادر المتعددة.

أما لماذا الكتابة في التاريخ . . ؟ - فذلك لأن التاريخ يسجل خبرات الأجيال السابقة البعيدة زمانا ومكانا لانستطيع دراستها عن طريق الاتصال الشخصي والخبرة المباشرة، إلا عن طريق القراءة في كتب التاريخ ومصادره، فالمراجع التاريخية تدون أحداث حياة الأمم وتجاربها وخبراتها في الماضي، كما توضح التطور الذي طرأ على هذه الحياة في نوعه وطريقته وأسبابه وعوامله، إذ إنها تتناول الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية بجانب اهتمامها بالمعارك السياسية والحربية، ففيها تكمن حياة الشعوب والجماعات والشخصيات والقادة والزعماء والحكام، وتحتوي على الوثائق والسجلات الرسمية والمخطوطات والمراسلات الرسمية بين الحكومات، والمعاهدات والقوانين واليوميات.

ويمكن تحديد تلك الجوانب فنقول إن هذه الكتب تعرفنا بالعلاقات التي تربط الحاضر بالماضي والقريب بالبعيد وبحياة وثقافات اناس آخرين وأماكن وأزمنة أخرى، وتتبع قصة الإنسان في تطوره خلال العصور، لندرك من خلالها ما قامت به بلادنا في ميادين الحضارة وفضلها في هذه الميادين، أي إن التاريخ يدرس بالتحديد المجتمع ويعرفه للفرد ليشعر أنه غير غريب عنه، فيكون أكثر استعداد للاندماج فيه وأكثر اهتماما به واندفاعا للعمل فيه.

ولكل تلك الأسباب والدوافع والأهداف، تناولت كتابة تاريخ المنطقة بهدف تمكين أفرادها من الإلمام بتاريخها على أساس حب الاستطلاع والحس الوطني وللتاريخ.

ومن المعلوم أن أسباب الحياة في المنطقة كانت قاسية والطبيعة أيضا، فالإنسان جهد فيها بشكل غير طبيعي للتأقلم معها وبناء الحضارة فيها، ومع ذلك فانها لعبت لعدة قرون دورها في تاريخ العالم والبشرية، حيث شهدت إمبراطوريات قامت وانتهت، وصراعات مع الدول في بحرها وبرها، كما أن موقعها المتميز جعلها محط أنظار الآخرين منذ القدم، ومحل اهتمام الشعوب

والأمم سواء كان عسكريا أو سياسيا أو اقتصاديا، حتى أنها أصبحت في العصر الإسلامي قاعدة انطلاق لكثير من حركات المعارضة ضد بعض الحكومات والدول الإسلامية كالخوارج والزنج والقرامطة.

وإذا كانت معظم معالم الحياة فيها غامضة في تاريخها القديم، ومعلومة بعض الشيء في الوسيط - فانها كانت واضحة في أغلبها خلال الحكم الإسلامي منذ أيام الرسولﷺ وحتى العصر المعاصر. فليس من الصحيح أن يقال بأن تاريخها كان غير واضح أو معلوم في العهدين الأموي والعباسي، إذ إن حكام وخلفاء هذين العهدين أهملوا شئون المنطقة، ولم يعطوها الأهمية اللازمة والكافية نظرا لانتقال مركز الخلافة وعاصمة الدول الاسلامية إلى جهات أخرى غير الجزيرة العربية، في الكوفة ودمشق وبغداد والقاهرة، مما اثر في وحدتها السياسية سلبياً فتفككت وانقسمت إلى ولايات متفرقة في بلاد الحجاز وبلاد البحرين واليمامة وعمان واليمن.

كما أن الأحداث التي مرت بها أثناء الحكم الأموي والعباسي أثرت في عزلتها وتأخرها ماديا وعلميا، حتى سادت فيها الفوضي وتقسمت إلى دويلات وإمارات حكم فيها كل أمير مستقل لاسلطان لأحد عليه، فأصبح الوضع وكأن الجاهلية الأولى قد عادت إلى شبه الجزيرة العربية، ولم تكن للقبائل العربية في البادية والتي تعيش في الأحساء دور في ذيّنكِ العهدين - اذ فرقها تناحرها فانقطعت الصلة التاريخية بينها وبين أجزاء العالم العربي، مما دعا إلى القول إن تاريخها أصبح غامضا في تلك الفترات.

إلا أن للمنطقة دورها المتميز في هذه الفترة بالذات، فكما أن الولايات الإسلامية خلال العصر العباسي الثاني وهو ما اطلق عليه - عصر الضعف - نشط فيه الولاة والامراء للاستقلال بها والاستبداد بالتحكم فيها، فسيطر عليها حكام مستقلون عن الخلافة المركزية في بغداد، كالبصرة وفارس وكرمان ومصر

والشام والمغرب والأندلس وما وراء النهر، وحدث ذلك أيضا في المنطقة – حيث تأسست إمارات مستقلة في أرجائها في البحرين والأحساء واليمامة، واستمر ذلك الوضع حتى مجئ الأتراك وتدخلهم في شئونها والاستبداد بالأمر فيها، ففي هذه الفترة ومنذ القرن (١٠م) برز القرامطة متخذين الأحساء قاعدة وعاصمة منها للانطلاق نحو الولايات التابعة للعباسيين والفاطميين للسيطرة عليها وإدخالها ضمن إمبراطوريتهم، ثم تمكنت قوى محلية أخرى من الظهور في المنطقة وتأسيس إمارات على أطرافها كان من أهمها دولة «بني خالد» التي سيطرت عليها منذ (القرن ١٧) مما قوى مركز المنطقة سياسيا واقتصاديا فطمح فيها الأجانب كالبرتغاليين الذين نافسوا القوى الأخرى للسيطرة عليها كالوهابيين والمصريين والعثمانيين.

ولكل ما ذكرت فإن أهميتها -أي أهمية المنطقة- تتأكد، ودراستها تصبح حتمية لما تتميز به عن غيرها في المجالات العديدة، ونعود للقول لنؤكد أن تاريخها لم يكن غامضا وإنما تعرض للتجاهل، إذ إن هذه التسمية غير الحقيقية ادعاها افراد رأوا فيها مصالحهم وأهدافهم الخاصة، فاقتبسها منهم آخرون فنشروا تلك الأفكار والآراء إما تعمدا أو دون علم ودراسة وتحقيق، حيث لايمكن إطلاق تلك التسمية على فترة مزدهرة وعصر ذهبي لمنطقة أثرت بايجابية في أحوال المناطق المجاورة لها.

وهذا الكتاب يتناول أحوال المنطقة والأحساء في أربعة أبواب.

تناول الباب الأول منها تطور الأحوال السياسية والاجتماعية في العصور القديمة متضمنا أربعة فصول تحدثت عن أهم الممالك والدول التي برزت فيها والقبائل العربية التي عاشت فيها، وأثرها في حياة السكان وهجرات الأفراد وأثرها في وضع السكان، وما ذكره الرحالة والكتاب العرب وغيرهم عن أحوال تلك المدن والأقاليم.

أما الباب الثاني : فقد تناول تطور الأحوال السياسية في العصر الاسلامي ودور الأحساء في أحداث العالم الاسلامي في أربعة فصول ، شملت أدو ات الاتصال بين الأحساء والدولة الإسلامية ، والثورات والانتفاضات التي جرت بها ، وبيان أحوال العالم الاسلامي فيما بين القرنين السابع والسادس عشر الميلاديين ، والدول والإمارات التي تأسست بها .

وفي الباب الثالث : الذي تناول العلاقات الدولية والاتصال بالعالم ، فقد تحدث عن العلاقات مع الفرس واليونان والرومان قديما ، والعلاقات في العصور الوسطى التي تميزت بإنشاء إمارات بني عيون وبني عصفور وبني جبر ، وهما موضوع الفصلين التاسع والعاشر ، أما الفصل الحادي عشر فقد تركزت أحداثه في العلاقات الدولية في العصور الحديثة بتناول دولة «بني خالد» وعلاقتها الدولية والإقليمية مع الأطراف السياسية المجاورة والإمارات الحديثة التي نشأت في أراضيها الشاسعة .

أما الباب الرابع : فقد خصصناه للنشاط الاقتصادي بأنواعه وتطور الوضع التجاري وأثر ذلك في أوضاع حياة السكان منذ القدم حتى العصور الحديثة ، والفصل الأخير منه يوضح تطور الحياة في المنطقة خلال القرن العشرين وتغير الأوضاع بعد الحربين العالميتين وظهور النفط كمورد جديد قوي تمكن من تغيير الأحوال رأسا على عقب - كما تغيرت الخريطة السياسية في المنطقة في هذا القرن ، أما الفصل الأخير فقد تحدد لذكر المراجع والمصادر التي استفاد منها الكتاب تاريخيا . ومما هو جدير بالذكر أنني لم أذكر الأرقام والنصوص والمصادر في صلب الكتاب وحواشيه إلا ما كان ضروريا وذلك لكثرتها ، مكتفيا بذكر ثبت للمصادر في آخر الكتاب لمن يرغب في الإفادة والإفاضة والمراجعة .

ويسعدني في هذا المجال أن أقدم الشكر والعرفان والتقدير للأخ العزيز/ حسين علي ناصر القطان ، الذي مهما قلت عنه فلن أوفيه حقه ، إنه نعم الأخ

والصديق، فقد تعهد البحث منذ أن خرج بالفكرة بالرعاية والروح العلمية الصادقة حتى خرج بهذه الصورة. وإني لا أملك إلا أن أدعو له بالخير، فهو أهل للخير كله، وأن ينفع الله به العلم لخير هذا الوطن العزيز.

ومن دواعي أمتناني وسعادتي أن أرفع آيات الشكر والتقدير للأساتذة الأفاضل والعلماء الأجلاء في الأحساء والبحرين : د. عبدالهادي الشيخ محسن الفضلي والشيخ جواد بن حسين محمد الرمضان، والشيخ أحمد الشيخ خلف العصفور القاضي بمحكمة الاستئناف الجعفريةبالبحرين، والسيد سلمان محمد العليو التاجر المعروف بالأحساء، فقد كانوا لي عونا صادقا في مسيرتي بهذا البحث، فقدموا لي النصح والمشورة والمعلومات، مما ساعد على إنجازه، فلهم مني كل الشكر وخالص الدعاء بموفور الصحة والعافية.

ولا يفوتني أن أقدم الشكر والتقدير لجميع الإخوة والأصدقاء والمعارف على ما قدموه من عون صادق، وأسأل الله أن يجزيهم عني خير الجزاء، وأخص بالذكر منهم: د. صالح الصفار، وحسين عبدالرسول آل شيخ ود. أحمد عبدالله العلي، المراقب بمكتبة وزارة التربية، والحاج عبدالرسول أبل.

كما يطيب لي في هذا المقام أن أسجل كلمة عرفان بالجميل لزوجتي التي طالما ساندتني ووقفت بجانبي تشد من أرزي متحملة في رضى انشغالي عنها بالكتابة والقراءة أياما وشهوراً،

إلا أن خروج الكتاب بالصورة المرغوبة تغني عن كل ذلك العناء - فكل معاناة في سبيل العلم والمعرفة تهون أمام بلوغ الهدف والأمل.

والله ولي التوفيق، وهو نعم المولى ونعم النصير.

يوسف سعادة

الدسمة - ١٩٩٧

الباب الأول

تطور الحياة السياسية وأحوال المجتمع في العصر القديم

الفصل الأول

أهم الممالك والدول التي تأسست بالأحساء

يذكر التاريخ موعد الحياة في المنطقة منذ حوالي سبعة آلاف عام حينما تدفقت على إيران والعراق وسواحل الخليج، جحافل من أقوام جاءت من آسيا الوسطى اعتبرت ثقافتهم أقدم من أي ثقافة تم اكتشافها في هذه المنطقة، وبالرغم من غموض تاريخهم، فانه بظهورهم بدأ تدوين التاريخ للمنطقة.

وقد اعتبر الساحل الغربي من الخليج وحدة جغرافية لها صفات حضارية وتاريخية مترابطة ومتجانسة ومتكاملة في كثير من الأحيان، ولم تكن حدوده كما هي عليها اليوم، بل إنها امتدت إلى الشمال من موقعها الحالي، ففي عهد الاسكندر كانت مياه الخليج تتوغل حتى مسافة ١٩٠ كم إلى الشمال من الموقع الحالي - حيث كانت عبدان تعد وتذكر كميناء من موانئ الخليج، أي أنها كانت قريبة من البحر، كما أن أسماءه تعددت واختلفت في فترات التاريخ المتعاقبة - فقبل أن يسيطر الآريون على منطقة ايران، كان الآشوريون يسمون الخليج «نارمرتو Narmarratu» بمعنى (الماء المالح)، وتعتبر أقدم تسمية للخليج، أما في أيام «داريوس الكبير» فقد وردت عبارة: «درایاتیه هجا بارسا ائي تي Draya tya hacha Parsa aity» أي البحر الذي يمر في فارس ويقصد به الخليج، وسماه حكام العراق (البحر الأدنى) تمييزا عن البحر الأعلى وهو البحر المتوسط، ولم يكن «هيرودوت» يعرفه - فقد كان يذكر البحر الأحمر وبحرارتيرة «إرى تروس» وذكره المؤرخ اليوناني «فلافيوس اريانوس» Flavius Arrianus في (القرن ٢م) في كتابه «أنابازيس» أو «تاريخ حروب الاسكندر» بأن «نيارخوس» الذي قام بعدة رحلات مر ببحار عمان والخليج إلى الفرات، وسمي الخليج «برسيكون كا أي

تــاس» Persikonkaitas كما جاء ذكره عند «بطلتيموس» الجغرافي في (القرن ٢م) بالخليج الفارسي Sinus persicus . ومثلما اختلفت أسماء الخليج وتعددت، فقد تباينت أسماء ساحل الخليج الغربي - فقد سمي بالبحرين التي لم يقصد بها البلاد الحالية، بل المنطقة الساحلية الممتدة من البصرة شمالا حتى عمان جنوبا، وقد أطلق سكان الأحساء اسم خليج القطيف على المنطقة الممتدة من البصرة حتى عمان وشملت : الخط - وهجر - والبحرين - وهي الأسماء التي تطلق الآن على أماكن معينة مثل أوال وهي البحرين[(١)] والأحساء وهي الهجر، والخط هي القطيف.

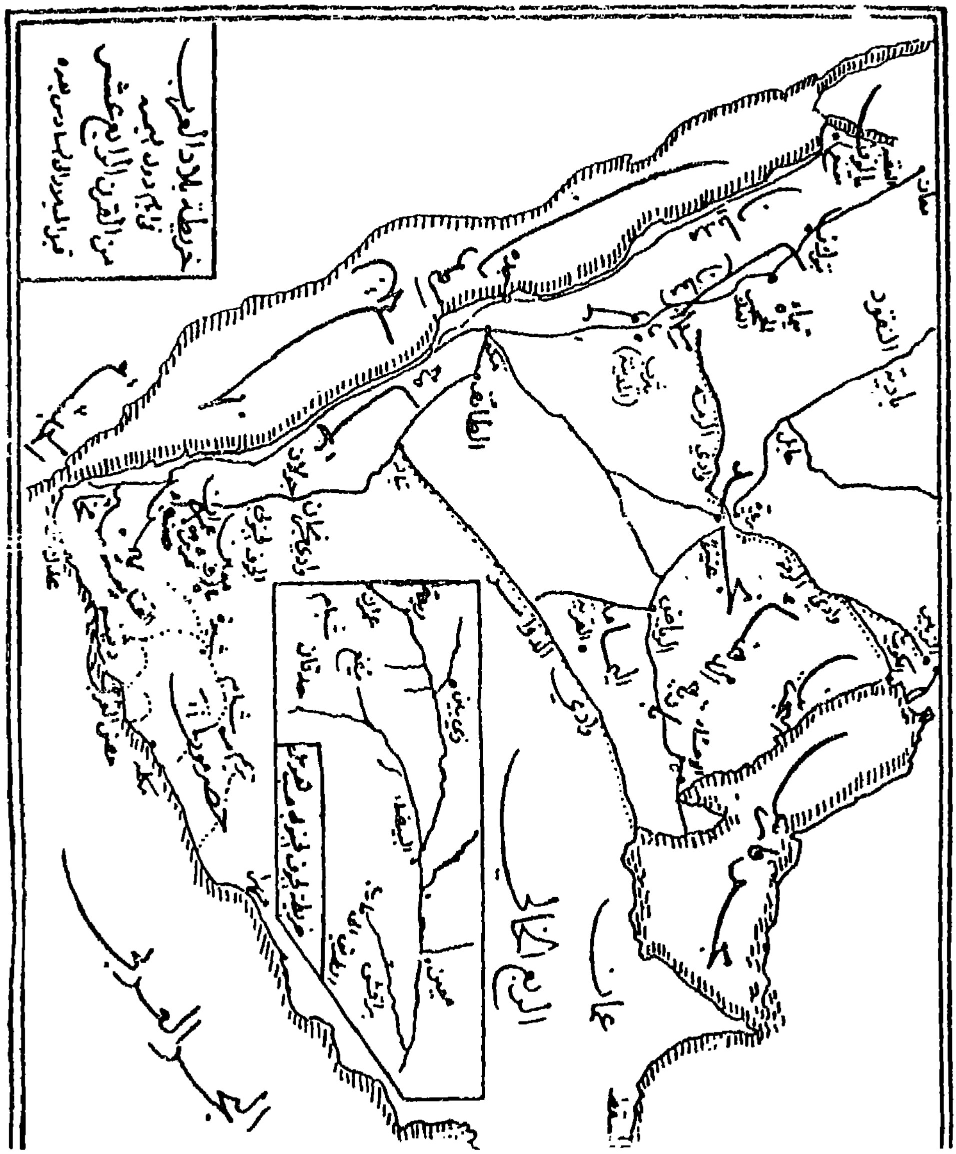
أما في العصر الإسلامي - فقد أطلق عليه اسم البحرين ممتدة من الكويت إلى الإمارات، فكانت حدودها غربا اليمامة، وشمالا البصرة، وجنوبا عمان، وقد ورد في كتابات جغرافيي العصور الوسطى - أن البحرين الكبير يمتد من الكاظمية في الكويت حتى البينونة التي تمثل الحد الفاصل بين البحرين الكبير وعمان الكبير، وكذلك سمي أحيانا بساحل عدان الذي يمتد حتى الكويت. وقد ذكر القلقشندي في كتابه «صبح الأعشى» نقلا عن ابن خلدون :

«ان البحرين كانت جزءًا من مملكة (عاد) ملكوا جميع أجزاء جزيرة العرب، وتركزت مملكتهم بالأحقاف بين عمان وخصرموت، لم يفصلها عن الأحساء شيء، وأن الأحساء كانت تسمى في ذلك الوقت (مجان)، وما بين الأحساء وعمان وحضرموت سمي (ملوخا)، وأن المعينيين حلوا محل (عاد) بعد فنائهم».

أما ياقوت الحموي فقد اعتبر كاظمة في الكويت هي الحد الفاصل بين البحرين والعراق، فالسهول الساحلية الممتدة من كاظمة شمالا حتى رأس مسندم

---

(١) كانت «أوال» اسم المحتل الأول لها وهو أخو شخص يسمى نعسان الذي يعتقد أن اسمه بقى في جزيرة أم نعسان.



هي البحرين - كما قيل عنه (دلمون) حيث اتفق الباحثون والعلماء على أن (دلمون) هي البحرين اليوم امتد نفوذها من الكويت حتى قطر في الفترة من ٣٠٠٠ ق. م حتى ٢٠٠٠ق. م، فظلت مملكة مستقلة لمدة ألفي عام. ومن الجائز أن يكون الساحل الشرقي من الجزيرة العربية كان يقع ضمن مملكة دلمون في الألف ٣ق. م - حيث شملت البحرين والأحساء.

فيذكر الاختصاصيون أن مملكة دلمون كانت وحدة حضارية وسياسية ضمت الجزء الغربي من الخليج وشملت عددا من الجزر مثل (فيلكا - البحرين - تاروت - أم النار) وربما كانت البحرين عاصمة لهذه المملكة. ولما كان للنشاط التجاري أثره الايجابي في حياة السكان - فقد نشأت مراكز حضارية وتجارية هامة على سواحله مثل فيلكا والبحرين والجرعاء، وامتدت هذه المراكز على طول الساحل حتى «تبه يحيى» في جنوب شرقي إيران - ولذا فانه يعد موقعا حضاريا عريقا في القدم، وقد هبطت أهمية دلمون في ٢٠٠٠ق. م حين غزتها قبائل إندوا ورويية آرية، كما سيطر عليها الآشوريون منذ (٧٥٠ق. م) وغزاها الفرس في (٥٤٠ ق. م) فتلاشى اسم دلمون في هذه الفترة. وفي (٧١٠ق. م) سجل سرجون الثاني ملك آشور بأنه تسلم جملة من الهدايا من ملك دلمون المسمى «اوبرى» الذي يعيش كسمكة في بحر الشمس المشرقة - على حد قوله.

ولما انتهت مملكة دلمون في القرن ٥ق. م - قامت حضارة جديدة بزعامة الجرهائيين(١) - فظلت دولتهم قائمة بعد (القرن ٣م) حين زالت على يد «أردشير» مؤسس الدولة الساسانية - عندما حاصرها عاما واحدا فاستسلم ملك جرها «ساتيرون» بالقاء نفسه من الحصن ما بين ٢٠٨ - ٢١٠م - فقد ذكر الطبري أنه في بداية (القرن ٣م) حكم البحرين ملك يدعى «ستيرون» وأقام في قلعة منيعة وأن

(١) قدم الجرهائيون إلى المنطقة في القرن (١٠ ق. م).


بحر فارس
مشرق
اليمن
تعز
صنعا

ملك الفرس «أرشيربابك» حارب الممالك والمدن حتى وصل البحرين ولم يستطع الملك مقاومته فالقى بنفسه من الحصن فمات.

ومما هو جدير بالذكر أنه ذكر الحاكم باسم الملك مما يدل أن دولة كبيرة كانت متواجدة في المنطقة، وليست قبائل متفرقة تعيش في أطرافها أو جنباتها، فالحاكم كان ملكا وليس رئيس قبيلة - وقد تمكن الملك الفارسي من احتلالها مع ثرواتها وتعيين أبنه «شهبور» حاكما عليها. وجاء في الأخبار أيضا أنه قامت مملكة سميت مملكة «ارض البحر» Sea land القديمة في الألف الأول ق. م سيطرت على منطقة واسعة امتدت من قرب مصب شط العرب إلى دلمون، وحدد مكانها في الشمال الشرقي من الجزيرة العربية حيث دخلت ضمن حدودها مواقع الحضارة الكويتية، وضمت سكانا عربا وكلدانيين. كما ذكر في الأخبار أن أرض البحرين أصبحت جزءاً من مملكة الفرس عاش فيها خلق كثير من العرب من عبدالقيس وبكر بن وائل وتميم، فأقاموا في باديتها حتى أيام الرسولﷺ حيث كان يحكمها من قبل الفرس: المنذر بن ساوي، أحد بني عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة. وعبدالله بن زيد هو الأسبذي نسبة إلى قرية بهجر يقال لها الأسبذ، كما يقال إنه نسب إلى الأسبذيين وهو قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين[1].

أما حضارة جرها:

فقد ذكر بعض الباحثين أن «مجان» هي في المنطقة المسماة Gerha وهي الأحساء - إلا أن بعض العلماء رأى أن «خازو» هي الأحساء في الوقت الذي أكد بعضهم الآخر أن أرض خازو في اليمامة، وهناك من يرى أن بازو هي نجد، ولكن بعض الباحثين ذكر أن «بازو» هي الساحل المقابل لجزر البحرين وأن خازو

(١) «أسبذ» كان اسماً لرجل فارسي هو أسبيدوية، أي أبيض الوجه.

أو حازو هي الأحساء وذلك المتقارب الكبير بين اللفظين - إذ إنها قد تلفظ حاسو. وفي الجنوب الغربي من القطيف تقع «العقير» وعلى مقربة منها خرائب عادية يعتقد العلماء أنها موضع جرها القديمة Gerrhaei تلك المدينة التجارية العظيمة التي اشتهر أمرها عند اليونان والرومان. فقد كانت محطة تجارية عالمية وملتقى لطرق القوافل من جنوب بلاد العرب إلى العراق مما أغرى الطامعين في الاستيلاء عليها، وكتبوا عنها قصصا من نسج الخيال.

وقد أورد بطليموس الجغرافي اسم شعب عربي دعاه Allamaeotae على أنه شعب المولداد قرر موقعه جنوب الجرعاء Gerraea على ساحل الخليج العربي عند «قطن».

وجاء في كتاب اليونان أن القبيلة الرئيسية التي استوطنت جزيرة البحرين وما جاورها من مناطق هي «عقيرو» Aguiru وهي تشبه ما أسماه الإغريق باسم «عقير» Ugeir أو نظيره «عجير» OJair وتقع عجير هذه مقابل الجرها.

كما ذكر استرابون أمة عربية سماها «جرهيين» Gerrhae قال عنهم إنهم أغنى العرب، يقتنون الرياش الفاخرة ويتمتعون بكل أسباب الرخاء والترف، ويكثرون من أواني الذهب والفضة والفرش الثمينة، ويزينون جدران منازلهم بالعاج والذهب والأحجار الكريمة وأن مدينتهم جرا Gerra أو جرها وجدت في بقعة كثيرة الملح تبعد مسافات عن البحر.

وقد ذكر عنهم أنهم أغنى أهل الأرض، فقد تاجروا بغلال بلاد العرب والهند، يحملونها على القوافل إلى الغرب أو بحرا إلى بابل من فرضة جرا، وكانت لهم سفن ضخمة تسير في المحيط الهندي، ومراكب تسير في الأنهر يصلون بها إلى بابل - فإذا ذكر أن تجار الجزيرة العربية قد وصلوا إلى غزة فإن أهل الجرعاء هم الذين قصدوها حاملين معهم تجارة الهند - فقد كانت أكثر أصناف السلع والتجارة تتم على يد القريين أو الجريين يحملونها إلى مصر والشام والعراق

وإلى شواطئ غزة وصور، أي التعامل مع الفينقيين ثم إلى سائر الأمم الأخرى.

إن جرها - العقير والتي يؤكد الباحثون أنها القطيف، والتي قد تسمى جرعاء أو قرحاء - برزت من بين موانئ الخليج في التجارة الحرة، فكانت أهم مركز على الخليج وأهم مركز تجاري يشكل صلة الوصل الرئيسة بين الهند والمملكة السلوقية في سوريا، فتمكنت من السيطرة على تجارة الساحل الغربي للخليج، وعلى طريق القوافل الرئيسية في ذلك الجزء من الجزيرة العربية - حيث اتجه أحد هذه الطرق جنوبا ليصل العقير باليمن، بينما تتوجه الطرق الأخرى في قلب الصحراء إلى تيماء وإلى البتراء وبذا فقد نمت تجاريا حتى أصبحت من الأسواق التجارية المهمة، وملتقى تيارات تجارية برية وبحرية، وتعاملت مع الشاطئ الشرقي لأفريقيا والساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية والهند الأمر الذي جعلها تحصل على مقادير خيالية من اللؤلؤ والذهب والفضة وكل حجر كريم.

وقد ذهب المستشرقون إلى أنهم من أمم البحر على خليج فارس، وأن جرا أو جرها هي الجرعاء فرضة من فرض تلك الناحية بالأحساء - كما ذكر أنه قد يكون الجرهيون هم أهل اليمامة من تحريف «القريون» نسبة إلى «قرية» اسم اليمامة القديم، وهناك من يقول إن الجرهميين في مكة يرجع أصلهم إلى الجرهائيين، سكنوا مكة بعد زوال دولتهم في هجر.

أما القطيف فتشاهد فيها خرائب يستدل منها أنها كانت ذات تاريخ قديم، ويمكن أن يكون منها موقع مدينة «بلبانا» Bilana - Bilbana إحدى مدن الجرهايين وموطن قبيلة الخط أو خطيني Chateni الذي سماه «بلينوس».

والقطيف تقع على خليج يشمل جزيرة تاروت التي يمكن أن تكون جزيرة Tahr أو Taro عند بطليموس الجغرافي. وأول من سكنها الكنعانيون، وهم أقوام سامية نزحوا إلى شواطئ الخليج عندما حل الجفاف بأواسط الجزيرة العربية في الألف الثالث

ق . م فشاهدوا فيها الآبار ومياه العيون والينابيع العذبة . ويذكر المؤرخون أنهم ظهروا على خليج العجم ثم ساروا إلى الشام واستقروا على شواطئ البحر المتوسط ، ومنها ظهر الفينيقيون الذين اتخذوا النخل شعارا ورمزا لدولتهم .

أما جزيرة تاروت فتقع في قلب خليج «كيبوس» واسمها الأصلي «تيروس» Tarrus – يذهب بعض المؤرخين أن أسمها في الأصل «عشتاروت» ، أي أنها كانت معبداً للآلهة عشتاروت الفينقية ، فالجزيرة كانت وطنا للفينيقيين قديما قبل أن ينزحوا إلى شواطئ البحر المتوسط ، ويتفاخر أهلها بأنهم هم الذين أسسوا مدن صور وأرواد في لبنان وسوريا .

والأحساء اشتهرت مع دلمون بتمورها الجيدة واللؤلؤ – فقد جاء ذكرها في الأساطير السومرية ، وأن أرضها خير وتشبه الجنة ، وأنها أرض الخلود وأرض طهور ، فقد وجدت لوحة في مدينة «أور» يرجع تاريخها إلى ٢٥٠٠ ق . م تشير إلى اللؤلؤ الذي كان يرسل إليهم من إقليم دلمون وهو الأحساء ، كما وجدت كتابات منذ عهد سرجون في ٢٣٦٠ ق . م تشير إلى استيلائه على سفن دلمون أي الأحساء .

فالأحساء تعود إلى المنطقة التي كان يطلق عليها في الماضي اسم البحرين أو هجر ، امتدت من حدود البصرة إلى سواحل عمان ، اشتهر من مدنها الهفوف والقطيف التي تعد المدينة البحرية الرئيسة فيها – كانت في الماضي تدعى هجر ثم سميت الحسا ، فشمل الاسم أخيرا كل المنطقة ، كما سمي ساحل الحسا كله «الخط» . ويمكن القول إن ميناء جرها وشعب الجرهيين ، ذكرهم الكثير من كتاب اليونان والرومان ، فقد ذكرها استرابون ، ومن قبله يوليبوس وآخر اسمه أجاثرسيدس ، وثالث أسمه ارتميدوروس من أهل القرنين الثاني والأول ق . م أما بلينوس فهو من أهل القرن الأول بعد الميلاد ، ذكر أنها تقع على خليج يسمى باسمها Sinus Gerraicus – مما يدل على أن نشاطها استمر وقتا طويلا قبل الميلاد وبعده . ومما أكده هؤلاء أن هذا الميناء يقع على الخليج المقابل لجزر البحرين التي

تبعد عنه خمسين ميلا .

والمنطقة الحضارية الأخرى هي البحرين التي اشتق اسمها من اسم بحيرة تقع بالقرب من الأحساء تبلغ مساحتها ثلاثة أميال مربعة وتبعد عن مياه الخليج نحو عشرة فراسخ ، فكانت هذه البحيرة تبدو للناظر إليها وإلى البحر المجاور لها كالبحرين ، وبمرور الزمان أصبح اسم البحرين يطلق على المناطق الممتدة من أسياف كاظمة في الشمال حتى عمان في الجنوب ، فاطلق اسم البحرين فيما بين القرن الرابع وحتى السادس عشر الميلادي على الشاطئ الغربي من الخليج أي من الكويت إلى قطر. وقد ذكر المؤرخ اليوناني «أريان» الذي عاش في القرن ٢ الميلادي أن الاسكندر أرسل بعثة إلى الخليج نزلت في جزيرتين إحداهما كبيرة وهي «تيلوس» أي البحرين ، والثانية صغيرة وهي «إيكاروس» أي فيلكا . وذكر عن الأخيرة أنها كانت آهلة بالسكان يستخدمها الحكام للراحة والاستجمام ، ورأى «بليني» أن جزيرة تايلوس كانت أكثر الجزر انتاجا للقطن ، وأضاف أحد المؤرخين أنه وجد فيها أنواعاً ن الخشب يستعمل في بناء السفن كان من النوع الذي له خاصية مقاومة التخشب تحت الماء ، بحيث يمكن أن يبقى فترة تزيد على مائتي عام ، أما خارج الماء فإنه كان يتلف بسرعة ، وكان هذا الخشب يستورد من الهند إلى تيلوس ، إذ لا يمكن أن يكون من إنتاج الجزيرة .

وقد جاء في الأخبار أن البحرين في ١٧٥٠ ق . م كانت في يد قبيلة اسمها «اكاروم-أجارم» Agarum وهو اسم يقرب من أجرم ذهب الباحثون أنهم أهل مدينة هجر في الأحساء .

وتشير المراجع إلى أن أسواق دلمون ازدانت بلآلئ الخليج وتموره وعقيق الهند وأخشابها الثمينة ، إضافة إلى معدن البرونز والنحاس ، عندما غزاها سرجون الآكادي وضم بعض أراضيها .

والمعروف أن البحرين كانت منطقة حضارية متقدمة خربها القرامطة حين بنوا الأحساء فصارت حاضرتهم، أما في الجاهلية فقد كانت منطقة لعبد القيس وبكر بن وائل بن ربيعة ثم ملكها الفرس. وقد أطلق العرب اسم البحرين على الساحل المقابل للجزر في الخليج، وذكروا اسم مدينة هجر على الساحل كعاصمة لإمارة البحرين، مما يعطي انطباعا أن تكون «هجر» هذه هي «جرها» لتقارب حروفهما، وهجرا اسم لجميع أرض البحرين، كما هي قصبة بلاد البحرين.

إن تلك المناطق السابقة في الأحساء بالاضافة إلي البحرين واليمامة تدخل ضمن إقليم كبير هو إقليم العروض.

فاليمامة تدخل ضمن تلك الدولة الشاسعة، وقد عرفت قديما باسم «جو» واشتهرت «حجر» قاعدتها وهي مواطن قبائل طسم وجديس ومن مدنها القديمة «سدوس» التي عثر فيها على آثار تاريخية وكذلك «منفوحة والقرية» - وفي نظر الباحثين أن اليمامة جزء من إقليم أكثر شمولا هو إقليم العروض، وسمي بذلك لاعتراضه بين اليمن ونجد والعراق، كما ذكر أن اسم اليمامة القديم هو «الجوف» ذات الأرض الخصبة والأودية لوجود الماء على مقربة من سطح الأرض وعيون المياه العذبة.

وقد جاء ذكر كثير من مدن مشهورة في كتب الرحالة والجغرافيين اليونان وغيرهم قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان من أهمها :

Tylus وهي جزيرة أمام الساحل الذي سكنه الجرهائيون، وقيل إنها إحدى جزر البحرين اشتهرت باللؤلؤ، ووجد بها مدينة باسمها.

Gapeus ويمكن أن يكون محرفا عن القطيف، وهي مدينة قائمة على الخليج بنفس الأسم.

Gerra وهي محرفة عن الجرعاء، وأصل مدينة هجر كمدينة على خليج صغير باسمها.

Abucaei قبيلة نازلة على ساحل الخليج ذكر الأثريون أنها محرفة عن عبد القيس النازلة بالبحرين.

Adoukaison اسم قبيلة سكنت البحرين ويمكن أن تكون بني عبدالقيس.

Charax ويمكن أن يكون محرفا عن الشارقة، وقد وصفت أنها مدينة تجارية تقع على الخليج.

Cattarei وخمن الأثريون أنها قطر.

kabie اسم قبيلة قرب مدينة Garamanis توقع الباحثون أنها قبيلة «قبية» والمدينة هي «القرين»، إذ إن الكويت كانت موطنا لشعوب قديمة وكانت مدينة Coromanis عاصمة شعب Bukae وهم أسلاف بني عبدالقيس، واشتق من اسم المدينة : القرين.

Jucara وهي الجهرة بالكويت، اعتبرت من المواضع المأهولة بالسكان قبل الإسلام ذات أرض خصبة.

Teredon تريدون، وتقع على رأس الخليج بالقرب من بلدة أم قصر الحالية.

أما المدن والقرى التي جاء ذكرها عند المؤرخين والرحالة العرب:

فقد ذكر «ياقوت الحموي في معجم البلدن «أسماء مدن وقرى كثيرة في البحرين واليمامة، منها ما قام في القديم وقبل الإسلام ومنها ما ذكره المؤلف في القرن ٦ وفي أوائل القرن ٧ هـ - كما أن بعضها فتحها المسلمون أثناء حركات الردة، أما أكثرها فقد وجدت أيام الجاهلية قبل ظهور الإسلام، وهي في الحقيقة تبين ماكان في المنطقة من عمران ونشاط حضاري.

١ - في البحرين أو الأحساء:

بلدة أرة، قرية أفاز، قرية أرض نوح، قرية أهدى (من قرى هجر)، جواثاء

وهي مدينة لعبد القيس في هجر وعند إسلامهم بنوا فيها مسجدا اعتبرا أول مسجد صليت فيه الجمعة بعد مسجد رسول الله ﷺ.

المشقّر، دارين، الستّار، الظهران، عنيزة، القرحاء، هجر، قاعدة البحرين، وهي قرية بلغة حمير، أما البكري فيقول هو اسم فارسي معرب أصله هكر. حوارين، بلدة بالبحرين فتحها زياد بن عمر بن المنذر بن عمرو، وكان فقيها من أصحاب الإمام علي عليه السلام.

قرية أبرين :

كثيرة النخل والعيون.

قرية بينونة :

بين عمان والبحرين - جرعاء مالك في الدهناء - جريب من قرى هجر - خوض الثعلب ناحية هجر - قرية الطريبيل بهجر العقير من قرى هجر - الغوارة قرب الطهران - والمقنعة قربها أيضا - السعائم - الخط وهي كورة من قراها القطيف والعقير وقطر، فالخط يطلق على جميع القرى المجاورة لسيف البحر كالقطيف وما جاورها، وقال البكري هو ساحل ما بين عمان إلى البصرة ومن كاظمة إلى الشحر، وقد اعتنق سكانها وقراها مذهب الشيعة الإمامية وليس بينهم من ينتمي إلى مذهب آخر.

أما قطر فمن قراها الخوير، ولدفيها قطري بن الفجاءة - وفي القرن ١٣ - (١٩ م) أصبحت مقرا لرحمة بن جابر العذبي القرصان المشهور.

٢ - في اليمامة :

قرية أباص، قرية أبام - أبان كان فيها نخل وماء، قرية أشقر، حائل وهي قديمة جاهلية، حجر مدينة اليمامة وأم قراها، الخضارم - خضراء - الخضرمة،

القرية وهي أخصب القرى، ضبيعة، عقرباء، مرآة، وادي الهزيم - وفيه قرى ونخل وادي الخرج وفيه قرى عديدة.

٣ - في الكويت

كاظمة: «دوحة كاظمة» - تقع إلى الغرب من رأس عشيرج، وهي موقع حضاري في التاريخ الإسلامي، تبعت مملكة البحرين التي امتدت من الأحساء حتى كاظمة.

ذكرها «ياقوت» أنها جون على سيف البحر في طريق البحرين إلى الأحساء من البصرة، وبينها وبين البصرة مرحلتان أي ٦٦ ميلاً وفيه ركايا كثيرة وماؤها شروب، وسماها كاظمة البحور واعتبرها الحد الفاصل بين البحرين والعراق.

أما القلقشندي فقد وصفها أنها جون على ساحل البحرين مما يلي البصرة على مسيرة يومين منها وأنها بين البصرة والقطيف في سمت الجنوب منها، وبينها وبين القطيف مسيرة أربعة أيام، كانت ملتقى القوافل في طريق ذهابها وإيابها وقد ذكر أن بها حصن ودور مبنية وتجار، كما أنها كثيرة الآبار العذبة والمراعي، فقد نزلت بها وبذي قار بكر بن وائل فانتشرت ما بين الحيرة والأنبار، إذ جاء ذكرهم في القرن ٤ ميلادي أنهم كانوا يغيرون مع تميم وعبدالقيس على العراق، وكذلك اشتهروا بانتصارهم على الفرس في معركة ذي قار سنة ٦٠٥م.

كما حارب «نجدة بن عامر الحنفي» بني تميم في كاظمة - حيث تجول في البادية لجمع الصدقات فامتنع عليه بنو تميم في كاظمة وقاتلوه فتركهم وسار إلى اليمن، كما جرت حروب بين بكر بن وائل وتميم في الصُّلَيب[١].

وجاء أيضاً أن «سابور ذو الأكتاف» الملك الفارسي ٣١٠ - ٣٧٩م أمر بحفر

(١) جبل عند كاظمة.

خندق من هيت بالعراق إلى كاظمة، أي انتهى الخندق في البحر عند خليج كاظمة في شمال الكويت وذلك ليحمي السواد من غزو الأعراب ولمنع القبائل العربية من الاتصال أو الاتجاه إلى العراق.

وقد خلدها معظم الشعراء العرب في أشعارهم أمثال الفرزدق، ذو الرمه، مهيار، امرؤ القيس، البحتري، البعيث، البصيري، بديع، ابن الزغلبة بن جعفر.

فيلكا : كان أهاليها مختلطاً من جزيرة خارج والفاو والهنديان في إيران ومن عمان أيضا، كان فيها نحو ٢٠٠ بيت وأربعة مساجد وقرى منتشرة على طول الجزيرة وعرضها، واشتهر منها : الصباحية وكانت لها مقبرة واسعة، الدشت، القرين، سعيدة. كما كان فيها مبان قديمة وقبور وحصون حربية ترجع إلى آثار البرتغال الذي ملكوا بعض بلاد الخليج، ومن آثار الفرس واليونان والأقدمين. ومما يذكر عنها أن البرتغاليين احتلوها فطردوا من الدشت ثم من وسط الجزيرة فيما بعد بمساعدة وباء الطاعون.

برقان : موضع قريب من الكويت قتل فيه (مسعود بن أبي زينب) الخارجي الذي غلب على البحرين واليمامة عدة سنوات حتى قتله سفيان بن عمرو العقيلي.

أغدرة السيدان : جميع غدير وهي موضع بين البحرين والبصرة وراء كاظمة يقارب البحر، ولعله بالقرب من موضع الكويت في العصر الحاضر.

الكويت: ثغر مهم يمتد على ساحل الخليج العربي، اعتبرت من المناطق التابعة للبحرين خلال العصور الاسلامية وعرفت باسم كاظمة البحور، عاش فيها وتوفي فيها بعض كبار الصحابة والقراء والرواة ثم تتابعت عليها حكومات

ودول مختلفة بعد الدولة العباسية حتى أيام الحكم العثماني ، وقد كانت جزءاً من الجزيرة العربية والأحساء بأحداثها وهجراتها وكانت تمر فيها الطرق التجارية إلى العراق والشام - حيث كانت تتاجر مع داخلية البلاد فانتهى عندها كثير من طرق القوافل ، وكانت تصدر الخيل واللؤلؤ والبلح[1] .

وقد أقام البرتغاليون قلاعا حصينة فيها لحماية ممتلكاتهم وتقوية سيادتهم على البحر في الكويت ، ومنها القرين التي تقابل ميناء الشويخ .

واشتهر اسم الكوت عليها ، وهي كلمة غير عربية بمعنى حصن فسمي كوت لأنه مدار بسور وخندق - كما أنه توجد في الاحساء قرية العين من قرى المبرز كتبوها «القوت» .

أوارة : شمال برقان وجدت فيها آثار وعملات إيرانية ضربت في بغداد ترجع إلى القرن ١٧ و ١٨م ، وقام عمرو بن هند بمجزرة رهيبة ضد قوم من بني تميم فيها . وعلى بعد ستة أميال عن تل وارة وجدت آثار وتوابيت جيرية يذكر عنها «لوريمر» أنها ليست قبورا إسلامية ولا توجد عليها نقوش[2] .

---

(١) زاهية قدورة : شبه الجزيرة العربية ص٤٨٢ .
(٢) لوريمر : القسم الجغرافي ج١ ، ص٣٨ .

الفصل الثاني

القبائل العربية التي سكنت الاحساء في القرون السالفة

● القبائل البائدة ● القبائل الحاكمة

الفصل الثاني

القبائل العربية التي سكنت الاحساء في القرون السالفة

• القبائل البائدة • القبائل الحاكمة

سكنت منطقة الأحساء قديماً عدة قبائل كبيرة كان لها شأنها ومكانتها في تاريخ الجزيرة العربية آنذاك، فقد تميزت بفاعليتها ومواقفها الإيجابية مع من جاورها من الشعوب والدول. وبتأسيسها مراكز حضارية ذات قيمة إنسانية. وقد انقسمت تلك القبائل إلى قسمين بحسب البقاء والاستمرارية، فكان منها القبائل التي برزت وعاشت فترةمن من الزمن طالت أم قصرت، ثم اندثرت حتى لم يبق منها باقية إلا الشيء القليل، ومنها ما استمرت في حياتها وبقائها طويلاً حتى عدّ منها الأصول والجذور لبعض الطوائف والعشائر والقبائل التي تعيش في الوقت الحاضر.

ومن أشهر القبائل البائدة أو العرب العاربة:

طسم وجديس:

وقد كان من إرم مثل سائر العرب البائدة، وهما ابنا عم من نسل نوح عليه السلام، فقد ذكر بالنسبة إلى مساكن أبناء نوح عليه السلام أن طسم وجديس ابنا لاوذ بن ارم نزلا اليمامة والبحرين فقد سكنا اليمامة شرقي نجد وقصبتها (القرية)[1].

ويذكر في الأخبار أن عاد بن نوح وولده حل أرض الأحقاف من بلاد حضرموت، وحل ثمود وولده أكناف الحجاز، وحل جديس بن عابر بلاد (جوّ)

---

(١) ومن فروع طسم الذين نزلوا البحرين: بنوهيف، بنوزريق، بنومطر.

وهي بلاد اليمامة مابين البحرين والحجاز، وحل طسم وولده اليمامة مع بني جديس وأصبحت طسم صاحبة السيادة.

وكانت القرية أشهر مدنهم يقال لها خضراء حجر، وهي حاضرة طسم وجديس، فيها اثارهم وحصونهم شاهدها العرب في القرن ٣ و٤م ويذكر أن القرية هي قرية بني سدوس كان فيها قصر عظيم من الصخر قيل إنه كان من حجر واحد بناه جن سليمان عليه السلام.

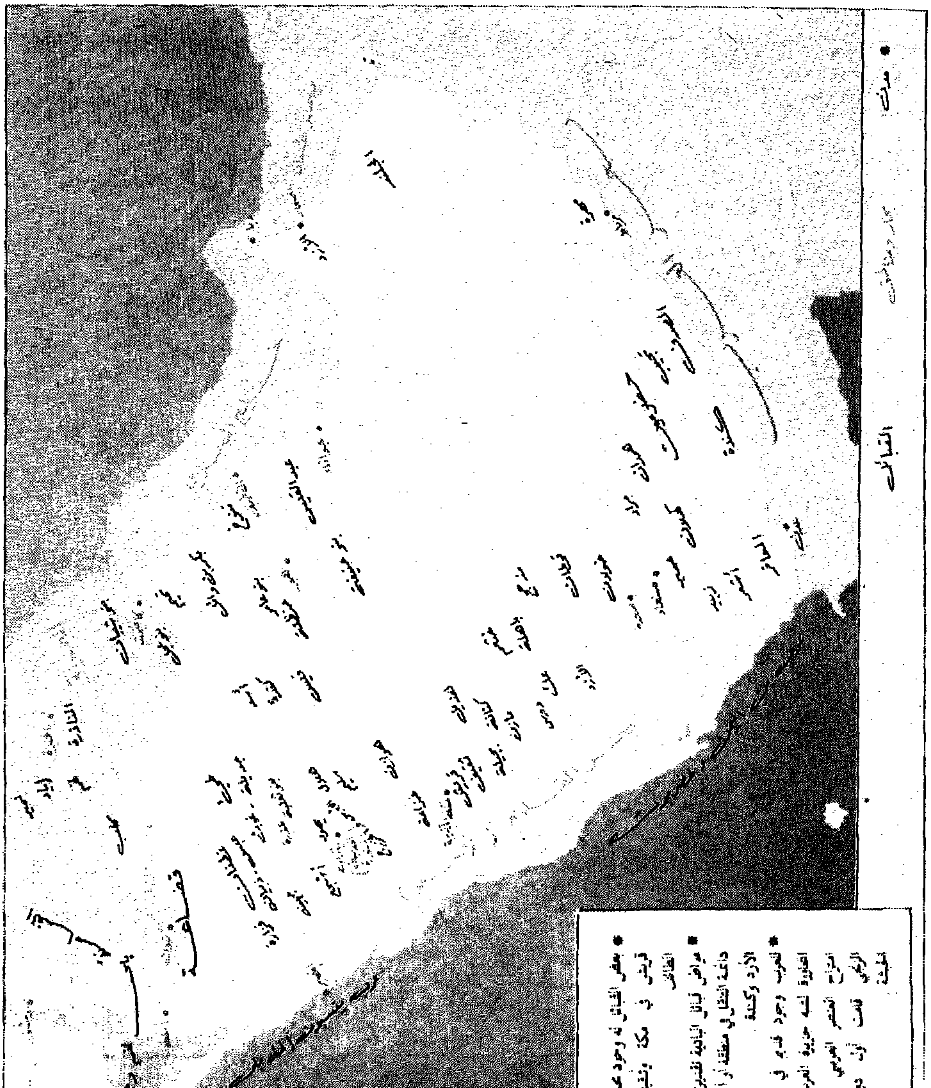
كما أن من مدنهم (الحجر) وفيها اثار تدل على أنها كانت عامرة بالقصور العالية والمزارع، واشتهرت المشقر أيضاً في اليمامة.

وذكر بعض المؤرخين أن موطنهم كان الأحقاف والبحرين، حتى وقعت حرب بينهما فهلكتا، وبقيت اليمامة خالية حتى حل بها بنو حنيفة الذين بقوا فيها حتى زمن الإسلام.

كما ذكر أيضاً أن حمير أباد جديسا وهدم قصورهم وحصونهم حوالي عام ٢٥٠م - وقد حارب ملك اليمن (حسان بن أسعد) -حسان بن تبع- جديسا وأوقع بهم فأفناهم ولم يَبْقَ لهم ذكرٌ، وقيل أيضاً إن طسم غلبت جديسا بمساعدة ملك اليمن حسان بن تبع، كما قيل كذلك أن طسم وجديس تفانت في البراري نحو سبعين عاماً لما كان بينهم من شحناء وطلب الرياسة فاندثروا ولم يبق لهم باقية فضربت بهم العرب المثل. وقد هلكتا في أول القرن (٥م)، وقد اشتهرت من جديس زرقاء اليمامة التي عرفت عنها حدة البصر.

قبيلة أميم:

نزلت برمل عالج بين اليمامة والشحر، وقد اندثرت مثل طسم وجديس.



قبيلة بني جاسم:

ذكرها الطبري أنها من العرب البائدة وكانت مساكنها في البحرين وعمان والحجاز، وتعتبر من سكان البحرين القدماء وذكر أنهم من العمالقة وينتسبون إلى جاسم بن عمليق.

٢ - **القبائل الحاكمة :**

اتصل سكان الجزيرة العربية بالمناطق الشمالية منذ أقدم العصور سواء عن طريق التجارة أو الهجرة والارتحال، وأول هجرة عربية محققة كانت هجرة بني معد بن عدنان[1] الذين نزلوا تهامة فانتقلوا من اليمن إلى البحرين حيث تحالفوا على التنوخ (وهو المقام)، وتعاقدوا على التناصر والتآزر. حيث كانت تنوخ قبائل عربية عديدة قدمت من الجنوب بعد انهيار سد مأرب وتجمعت في البحرين، وفي رواية الطبري أن قبائل مختلفة منها قبائل معدية عدنانية كانت تسكن تهامة فحدثت بينهم حروب وتشتتوا فأقبلت منهم قبائل نزلت البحرين وتنحالفوا على التنوخ، وكان أول ملوكهم: امرؤ القيس بن عمرو بن عدي الذي حكم مابين ٢٨٨-٣٢٨م.

وبعد اجتماعهم بالبحرين تطلعت نفوسهم إلى ريف العراق فنزل كثير منهم الأنبار والحيرة حتى الفرات فسموا عرب الضاحية، وقد انقسم عرب الحيرة في أوائل القرن ٣م إلى ثلاثة أصناف:

---

(١) بطن عظيم تناسل منه عقب عدنان كلهم، ومن ولده أياد ونزار وأنمار، تشعبوا في بطون كثيرة فتكاثر بنوا اسماعيل، وخرج بنو أياد إلى العراق، فكان لهم في بلاد الفرس اثار مشهورة، إلا أن الفرس أبادوهم أيام شابور ذي الأكتاف فأفناهم، وقد اشتهرت في القرن (٦ق.م.)، ومن فروعها أيضا: قضاعة، مضر، وربيعة - معجم قبائل العرب- ج٣ - ص١١٢١.


خريطة
بلاد العرب
الاصطلاحات
حدود المناطق الصحراوية
طرق القوافل القديمة
الوديان
دمشق
بغداد
فارس
الربع الخالى
بادية الأحقاف
حضرموت
معين
اليمن
بحر اليمن
بلاد الحبشه
ثقيف
خثعم
غطفان
تغلب
كلب
النفود
اليمامة

تنوخ : غرب الفرات بين الحيرة والأنبار، ويعدون فرعاً من قضاعة ذكرهم اليونان باسم تانويت Thanouite

الأحلاف : الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا بها.

العباد : الذين سكنوا الحيرة وبنوا فيها المساكن والأديرة فعرفوا بذلك لأنهم كانوا يعبدون الله، أو لأنهم اتخذوا (يا آل عباد الله) شعاراً لهم عندما حاربهم «شابور الأكبر»، إلا أن المقصود بالعباد هم عرب الحيرة النصارى الذين عبدوا الله في كنائسهم.

وقد ذكر أيضاً أن المناذرة أتجهوا إلى البحرين - بعد اندثار حكمهم - ليؤلف أميرهم (المنذر الخامس) المعروف بلقب (المغرور) إمارة عربية مستقلة انتهت على يد الجيوش الإسلامية، وقد مهدت لها دولة جذيمة الأبرش أو الأبرص أو الوضاح بن مالك بن فهم.

قضاعة : وهي قبيلة من (معد) الذي تناسل منه عقب عدنان كلهم وانقسمت قضاعه إلى بطون تفرقت في جزيرة العرب على نجد والبحرين ومشارف الشام - أهمها:

تيم اللات : ونزحت إلى البحرين حيث كان فيها قوم من النبط أجلوهم وأقاموا مكانهم.

تنوخ : الذي نزلوا البحرين ثم رحلوا إلى الحيرة وشيدوا بها دولة، وقد اعتبرت فرعاً كبيراً من قضاعة. وقد جاء في الأخبار أن قضاعة كانت من قبائل حمير من بني قحطان سكنوا شمال شرقي الجزيرة في الأحساء ثم تركوها إلى الشام.

قبائل بكر وربيعة: لم يبق من بني معد في تهامة من القبائل الكبرى إلا (ربيعة ومضر) وهما أكبرها، فنزحت أولا ربيعة بسبب اندلاع الفتن بين قبائلها،

وأشهر من نزح من قبائلها: عبدالقيس التي نزلت البحرين وهجر وغلبت من فيها من «أياد» وأجلتها. أما سائر قبائل ربيعة فقد أقامت في ظواهر نجد والحجاز، وهي بكر وتغلب وعنزة وضبيعة، حتى وقعت الحروب بينهم، فنقلتهم من أرض إلى أرض، وكانت الغلبة فيها لتغلب على بكر، حتى التقوا يوم قضة - وهي عقبة في عارض اليمامة - فغلبت بكر تغلبا، وتفرقت في البلاد، ولكن «بكرا» وعنزة وضبيعه انتشرت في اليمامة بين البحرين وأطراف الجزيرة والعراق.

وقد كان لربيعة شأن عظيم في تاريخ العرب، لأنها هي التي بدأت بتحرير العدنانيين من سيطرة اليمن وغيرها وطالبت بالاستقلال. وقد تميز أفرادها في الحروب والغزوات، بأن يكون اللواء أي الزعامة للأكبر، فكان لواؤهم في عنزة، كما أن سنتهم تطلبت إطالة اللحى وقص الشوارب، فلم يفعل غير ذلك من ربيعه إلا من يخالفهم ويريد محاربتهم. ثم تحول اللواء إلى «عبد القيس» التي تميزت سنتهم، إذا شُتِموا لطموا، وإذا لُطِموا قتلوا من لطمهم.

بكر بن وائل: سكنت المنطقة من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة إلى البحر، فأطراف سواد العراق فالأبلّة فهيت. فهم يعدون من مواطني الأراضي التي تحد ما بين البحرين واليمامة إلى ساحل كاظمة في شمال الخليج العربي. وهم شعب كبير توزعوا في ديار ربيعه. وأشهر أحداثهم في التاريخ هو انتصارهم على الفرس في يوم ذي قار.

وقد وفدوا على الرسول ﷺ وأسلموا ولكن بعد اعتراض وعناد، إلا أنهم تمسكوا بالإسلام فلم يرتد منهم أحد ولم يخرج منهم خارجي، سوى «مسيلمة الكذاب». وكان انتشار الإسلام بينهم منذ العام السابع للهجرة.

وأشتهر من بطونهم: يشكر، شيبان، عجل، وحنيفة الذين حكموا وسيطروا على مناطق واسعة في الجزيرة - إذ أن أملاكهم شملت أثناء ظهور

الإسلام: اليمامة والبحرين اللتين تمثلان إقليم العروض، وإقليم اليمامة يقع بالقرب من الرياض الآن. وقد أصبحت «بكر» من أنصار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته.

عبدالقيس: وهم من ربيعة، سكنوا البحرين والأحساء. فقد هاجروا قديماً من تهامة إلى البحرين وظلوا بها حتى الإسلام. وكانوا قبل ذلك وثنيين وعرفوا الأديان السماوية فدخلوا الإسلام مبكراً وطوعاً، وكان رأس وفدهم الذي قدم على النبي صلى الله عليه وآله «المنذر بن عائذ العبدي» الذي كان صديقاً لراهب ينزل في (دارين) وهي الجزيرة المعروفة على ساحل الأحساء حيث أخبره وتنبأ بمقدم وظهور نبي في مكه، وأوضح له علاماته ودلائله، فساروا إلى النبي صلى الله عليه وآله وأسلموا، كما أن الرسول صلى الله عليه وآله رحب بهم وقال نعم القوم عبدالقيس. وقد كان لمعرفتهم المسبقة بظهور نبي في الحجاز الأثر في استجابتهم السريعة لتقبل الإسلام - فقد ذكر عنهم النبي صلى الله عليه وآله أنهم جاءوا طائعين غير مكرهين.

وإذا كانت «ربيعه» من أنصار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأعوانه والركن المنيع من أركانه، فإن جماعة عبدالقيس وقفوا في صف الإمام علي عليه السلام في معاركه ومواقفه، اشتهر منهم «حُكَيم بن جبله» الذي استشهد في حرب الجمل. وقال الإمام علي عليه السلام في عبدالقيس: «عبدالقيس خير ربيعة، وفي كل ربيعة خير».

كما روي عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال عنهم: لاتسبوا مضرا وربيعة، فإنهما كانا مسلمين، وفي قول آخر: فإنهما كان على دين إبراهيم عليه السلام. كما أنهم حاربوا الأمويين مع عبدالله بن الزبير.

وفي «جواثاء» التي لاتزال معروفة بنفس الاسم في الجهة الشرقية من قرية «الكلابية» الواقعة شرقي مدينة المبرز في الأحساء. تكمن حصون عبدالقيس

وجامعها الذي أقيمت فيه أول صلاة جمعة بعد مسجد الرسولﷺ.

قبيلة جديلة: ومنهم عبدالقيس، وهنب ابنا أفصى ابن دعمّي ابن جديلة، وهي بطن من القحطانية. وجديلة أمهم عرفوا بها وهي (جديلة بنت سبيع بن عمرو الحميرية)، واشتهر من مياههم (السلامية والأحساء بأجأ.

قبيلة تميم: وتعد من أقوى القبائل العربية في الجانب الشرقي من الجزيرة العربية، من حيث العدد والفروع. وقد خيمت مابين هجر واليمامة، وسكنت بكر في شمالها، أي أنهم كانوا متجاورين مما أكثر من النزاع والغزوات بينهما، كانت بكر هي البادئة بالهجوم بسبب آثار الجدب والقحط، إذ إن أرض تميم كانت أخصب من أرضها.

وأعتبرت الأحساء منازلهم وامتدوا شمالاً إلى نجد والعراق، وغرباً إلى الحجاز، وجنوباً إلى اليمامة - حيث سكنوا «الوشم» وهي موضع باليمامة، منها «مراة» التي تنتسب إلى امرؤ القيس، وهي الآن من إمارات الرياض.

وقد اشتهروا بالحروب في الجاهلية وأيامها التي كانت بينهم وبين ربيعة، وأحصى من الوقائع بينها وبين بكر (١٢) واقعة شهيرة فازت تميم بست منها وبكر بست.

وقد اشتهر وفدهم الذي دخل على الرسولﷺ حينما نادوه من وراء الحجرات: أن اخرج علينا يامحمد، مما أدى إلى إيذاء الرسولﷺ وبخاصة حينما طلبوا إليه أن يفاخروه - إلا أنهم أسلموا بعد ذلك، ولكنهم تأخروا في الدخول في الإسلام عن بني عبدالقيس المجاورين لهم[١].

---

(١) هناك من الأحاديث والتفسيرات ماينفي عنهم هذا الموقف.

ومن شخصياتهم المشهورة التي دخلت الإسلام : خباب بن الأرت التميمي ، وواقد بن أبي واقد التميمي اللذين عدا من السابقين الأولين الذين شهدوا بدرا .

وقد أرسل فيهم النبيﷺ من عماله : قيس بن عاصم ، ومالك بن نويرة ، والزبرقان بن بدر .

واشتركوا مع الامام علي عليه السلام في معركة الجمل فقتل منهم ٥٠٠ فرد كما أن منهم من قاتل الإمام الحسين عليه السلام فقتلوا (١٧) من أصحابه . كما حاربوا الخوارج مع ابن الزبير ، وكانوا في صف المختارين ابي عبيدة الثقفي في ٦٦ هـ حينما حارب عبيدالله بن زياد .

ومن القبائل الأخرى التي أقامت في هذه المنطقة الشاسعة قبائل أسد والمنتفق وعنزة ، وبنو نمير ، وبنو عامر بن صعصعة بن قيس عيلان بن مضر ، وبنو باهلة ، وبنو عقيل بن عامر ، وبطون من كندة .

أما القبائل التي سكنت المنطقة فترة ثم هاجرت منها فهي:

إياد بن نزار: نزلوا اليمامة ، ثم أصبحت ديارهم الحيرة ومنازلهم الخورنق والسدير ، حتى أجلاهم «كسرى» فارس فأنزلهم تكريت ثم أخرجهم عنها إلى بلاد الروم فنزلوا بأنقرة (تركيا اليوم) .

الأزد : هاجرت أعداد كبيرة منهم إلى عمان وسيطرت عليها كلها فامتدت سلطتهم إلى البحرين والأحساء في نفس المنطقة التي أقام بها بنو عبد قيس وبعض من قبائل تميم . إلا أن الفرس احتلوا عمان في سنة ٥٣٦ ق . م فتمكن الأزد من طردهم بمعاونة مهاجرين جدد من الأزد القادمين من اليمن . ثم توجه أفراد منهم إلى عمان وسموا أزد عمان ، وبعد سبعين عاما استقر قسم من هذه

القبيلة في البحرين التي لم تشمل جزيرة البحرين المعروفة فحسب بل ضمت مساحة واسعة من أراضي الأحساء، وقد حاربت خزاعة وهي من قبيلة الأزد من القحطانية مع الإمام علي عليه السلام في حوادث ٣٧ هـ.

طئ بن أدد: قبيلة عظيمة من كهلان من القحطانية، كانت منازلهم باليمن وخرجوا منها مع الأزد إلى جبلَيّ «أجأ وسلمى»، فورثوا أرض تميم في نجد. كانوا مع الإمام علي (عليه السلام) في حوادث ٣٦ - ٣٧ هـ (صفين) وأصبحوا بعد ذلك رعايا للحمدانيين.

وقد ذكر المسعودي عن العرب وقبائلهم: أن العرب تخيرت في البر أنزالا، منها مشات ومنها مصايف، فمنهم المنجد والمُتْهِم، فالمنجد الذين سكنوا أرض «نجد»، والمتهم هم الذين سكنوا أرض تهامة.

ولما دثرت الأمم من العرب والقبائل خلت منهم الديار فسكنها غيرهم من الناس، فنزل قوم من بني حنيفة اليمامة واستوطنوها، وكانوا نازلين في بلاد الجحفة ما بين مكة والمدينة.

ففي خلال القرون الطويلة، تطوز الوضع القبلي، وتحرك منها الكثير إلى خارج الجزيرة العربية على هيئة أفراد أو جماعات استقرت في بلاد فتحها المسلمون، وهو الأمر الذي يفسر اختفاء بعضها من الخريطة، كقبيلة بكر بن وائل وتنوخ. كما أن بعض القبائل تركت الرعي والبداوة وعملت بالزراعة والتجارة فاستقرت، مثل تميم التي سكنت شرقي نجد، فسكن أفرادها المدن والقرى النجدية يعيشون فيها كما تعيش الشعوب المستقرة. وكذلك قبيلة بني خالد التي تعتبر من أقدم القبائل العربية المعروفة، وهي مضرية، تمتد منازلها من ساحل

الخليج العربي شرقا حتى هضبة الصمان غربا، وقد ترك معظمهم حياة القبيلة والبداوة إلى حياة الاستقرار - في واحتي القطيف والهفوف والقصيم، كما استقر بعضهم في الكويت.

ومثل قبيلة بني هاجر التي تتبع شعب قحطان، التي تقع منازلها بين العقير وواحة الهنوف. وفي الحقيقة إن هذه القبائل بقسميها سواء ما اختفى منها من الخريطة أو بقيت، من المهم أن نعرف أنها نزلت وعاشت في الساحل الشرقي للجزيرة العربية، وتحديدا في الأحساء.

وقد كانت السيادة دائما للقبائل القادمة من الداخل، والذين انحدروا غالبا من أصول تعود إلى غربي الجزيرة العربية ونجران على وجه الخصوص. وقد تواصل دخول القبائل في القرون الأخيرة حيث وصلت مرة والدواسر مع العتوب، وبعض جماعات من تميم في أواخر القرن (١٧ و١٨م) فاستمرت السيادة لتلك القبائل على تلك المنطقة منذ زمن عبدالقيس في عصور ما قبل الإسلام.

أما القبائل التي سكنت البحرين والأحساء ولم يرد لها ذكر في المصادر العربية، بل ذكرها كتاب اليونان والرومان فهي :

* قبيلة Laeni قامت بين القطيف وقطر بجوار رأس ركن.
* قبائل نخيطي Nochaeti وزرازي Zurazi التي كانت منازلها في قطر.

ولعل قرية الزارة الساحلية القريبة من القطيف اتخذت اسمها من هذه القبيلة.

* قبيلة Allumaeotae جنوبي الجرعاء الواقعة جنوب غربي القطيف.

وقد ذكر بللينوس أن قبيلتي جولوبس Gaulopes وخطي Ghattaei أقامتا على سواحل خليج القطيف.

ولا شك أن الخط الذي ذكره جغرافيو العرب، يطلق على ساحل البحرين كله، وأن من قراه القطيف والعقير وقطر، يعود إلى هذه القبيلة. كما أنه يمكن أن يكون موقع الخطية الواقع بالقرب من الساحل الغربي لشبه جزيرة قطر يقوم على الخط.

الفصل الثالث

التنقل والهجرة
وأثرهما في الوضع السكاني

الفصل الثالث

التنقل والهجرة وأثرهما في الوضع السكاني

شهدت المنطقة منذ تاريخها القديم أحداثا هامة ووقائع كبيرة أثرت بايجابية وسلبية في مجريات حياة الأفراد والقبائل والعشائر فيما يتعلق بإستيطانهم وإقامتهم التي كثيرا ما أصبحت بين مد وجزر، فقد دفعت تلك الأحداث والوقائع الأفراد والجماعات إلى التنقل والهجرة من مكان إلى آخر سواء كان ذلك في داخل بلدانهم الشاسعة أو التوجه إلى خارجها. فقد اعتبرت الأحداث الكبرى المؤثرة في حياة الشعوب سببا رئيسا وواقعا أكيدا لتنقل أفرادها من مدينة إلى أخرى، أو من قرية إلى غيرها، أو من دولة إلى ثانية، إذ إنها ضغطت على القبائل والعشائر اجتماعيا لتهاجر وتنتقل شمالا أو جنوبا، وشرقا أو غربا بحثا وراء الاستقرار والأمان والاطمئنان، في مجموعات كبيرة انتشروا في أرجاء الأرض المحيطة بمواطن اقامتهم، الأمر الذي أدى إلى أن تغير بعض تلك القبائل والعشائر مواطن سكنهما الأصلية إلى أمكنة أخرى لم تكن تعرفها من قبل أو كانت تعلم عنها الشيء اليسير، مما جعل الأصول والأنساب تختلط وتمتزج بعضها ببعض في فترات طويلة عاشتها مع أفراد جدد وأسر جديدة، وعشائر جديدة في مناطق جديدة اعتبرت موطنا لها، ولذا قيل إن تاريخ العالم العربي هو تاريخ هجرات موجات بشرية متلاحقة.

ففي الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، وبعد الفتوحات الإسلامية، زادت هجرة كثير من القبائل العربية إلى الأقطار الخارجية، فكثر الاختلاط فيها وقلت العناية بالأنساب العربية، وتبدو قلة العناية بها فيما دوّن منها في القرنين الثالث

والرابع هـ، اذ يتعلق بالمشهور من فروع القبائل التي لها صلة بالحوادث التاريخية قبل الإسلام وفي صدره. لقد اختلطت فروع القبائل فتداخلت أنسابها بحيث يصعب تمييزه إلا لمن خالط تلك الفروع في مجاهل بلادها، ولا يمكن ذلك وبخاصة أنها حدثت في عصور كانت الجزيرة العربية فيها معزولة عن غيرها من البلاد وانتشرت فيها الفوضى وانعدم فيها الأمن وعادت إلى جاهليتها الأولى، فالذي يتصدى لذلك ليس أمامه سوى الاقتباس مما كتبه المتقدمون عن القبائل العربية القديمة، وقد يعتمد على أوهى الأسباب وأقل الأدلة، كأن يجد اسما مشهورا في إحدى القبائل القديمة يعادل اسم قبيلة معاصرة فينسب هذه إلى تلك، ولذا وقع الخلط في أنساب الكثير من القبائل بسبب الاتفاق في الأسماء لا عند النسابين فحسب بل وحتى بين القبائل نفسها(١).

لقد أصاب العشائر أو بعضها تطورات عديدة، فمع مرور الزمن تبدلت حالتها فأصابتها تطورات مختلفة، أدت إلى أن تكتسب أسماء جديدة، أو تذوب في سكان المدن. فإذا أمعن الباحث في صلاتهم لا يكاد يجد صلة بين بعض العشائر. وهناك من الأسباب والدوافع الشيء الكثير ليدفع هؤلاء الأفراد والجماعات للقيام بتلك الحركة الكبيرة والهجرة الواسعة والاستيطان في مناطق جديدة، أو الاستراحة في بعضها بحثا عن أمكنة أخرى أكثر اطمئنانا، أو الرجوع منها إلى مواطنهم السابقة، فقد تكون حروبا وغزوات بين أطراف متنازعة، أو تنافسا بين القبائل والعشائر على الزعامة والسيطرة، أو اضطهادا دينيا وسياسا مما كان يمارسه بعض الحكام ضد بعض الطوائف أو الجماعات أو الفئات التي لا ترتاح لوجودها، فيعتبرونها غير مرغوبة لديهم، أو تكون كوارث بيئية وأمراضاً وأوبئة خطيرة يهرب منها الناس أفراد وجماعات.

---

(١) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري، أنساب الأسر الحاكمة، من مقدمته للأستاذ حمد الجاسر.

وهناك من يرى أن أية سيطرة لقبيلة قوية على أخرى ضعيفة تضع الأخيرة بين ثلاث خيارات :

* أن تقبل بحكم القوى وتعيش تحت سيطرته ، أو تستعد للهجرة إلى بلاد أخرى .

* أو تقبل الاستقرار في مناطق الحضر والمدن ، مما يعني تركها الحياة البداوة وإزالة اسمها إلا من بعض الفروع الضعيفة التي تنتسب إليها . إن الهجرات المتتالية لتلك القبائل أخلت بالنظام القبلي عند تحولها الدائم إلى قبيلة أخرى أو مقاطعة أخرى ، وتغيير أماكنها باستمرار أو الانضمام إلى القبائل القوية التي تتواجد حولها بغرض تأمين سلامتها ضد الجيران الجدد .

أما عن الخليج العربي فمن المعروف أنه كان موطنا لكثير من الشعوب ، فقد وفد إليه الكثير وخرج منه الكثير ، وقدمت إليه أقوام لتستقر فيه منذ آلاف السنين ، كما أثرت فيه التيارات السياسية والعسكرية ، فدخل أراضيه الطامعون والغزاة وسيطروا عليها فترة ، مثلما خرج أهاليه منه ليحاربوا على أطراف حدوده ، فقد تمكن الفرس من السيطرة على مناطق الخليج أكثر من قرنين حينما كانوا يتوسعون في الأراضي بحسب ظروفهم العسكرية ، فغزا الامبراطور الفارسي الساساني الخليج في (٢٢٠م) مما جعل الكثير من أهله ينزح إلى الداخل حتى بداية القرن (٤م) حينما رجع معظمهم إلى مواطنهم .

كما حارب سابو الثاني (٣١٠ - ٣٧٩م) أهل الخليج بعدما عبرت جماعة من عبدالقيس الخليج إلى فارس واحتلت أجزاء فيها - الأمر الذي دفعه أن بقطع الخليج إلى البحرين واليمامة والقطيف حتى وصل الأحساء ، فقتل الكثير وسفك الدماء مما أثر في تفرق القبائل العربية إلى جهات أخرى بعيدة مثل عمان . ثم قام بإبعاد أفراد منهم وإسكانهم في غير مواطنهم ، حيث أسكن جماعة من بني تغلب سكان البحرين ، في دارين ، وأفرادا من عبدالقيس وبني تميم في هجر ، وأعدادا

من بكر بن وائل في كرمان، مما زاد في أعداد العرب المقيمين في شرقي الخليج، كما أنه في هجومه هذا قد أباد عدد كبيرا من أهل الخليج، وخرب آبارهم ومياههم، إلا من تمكن منهم الهرب.

وكذلك في ٧٥٠م أخرج ملك الفرس الكثير من العرب من مناطق الخليج وأحل محلهم مهاجرين فرس، فدخلت المنطقة الساحلية العربية كلها تحت سلطان الفرس بما فيها عمان وعدن واليمن، وأجلى كسرى فارس قبيلة «إياد بن نزار» الساكنة باليمامة فأنزلهم تكريت ثم أخرجهم عنها إلى بلاد الروم فنزلوا بأنقرة.

وكان يتم نزوح العرب إلى فارس عبر طريق البحر فيزحف أهل ساحل الخليج من الخط والبحرين وكاظمة وعمان إلى السواحل المقابلة. ففي سنة ١٩٠م اشتدت هجرة العرب إلى مناطق الخليج العربي الأخرى بسبب القحط والجدب الذي أصاب داخل الجزيرة العربية، كما أنها في هذه السنة هاجرت مجموعة أسر فوصلت «الحجر» مما اضطر سكانها إلى منعهم من الاستيطان فتحاربوا وتقاتلوا وطردوا الوطنيين وحلوا محلهم، وعرفوا «بالتنوخيين» حيث ذكر الطبري أن حروبا حدثت بينهم فتشتتوا وأقبلت قبائل منهم نزلت البحرين وتحالفوا على التنوخ، كما ذكر عن المناذرة أنهم تركوا مقرهم بعد انتهاء حكمهم إلى البحرين حيث نجح أميرهم في تأسيس إمارة عربية مستقلة بها.

وقد جاء عن أهل الأخبار أن أقواما من العبيد تعربوا واستقروا فصاروا من العرب، منهم قوم عرفوا بالصعافقة سكنوا اليمامة - كما أشارت كتب اليونان إلى أن أقواما من الأعاجم نزلت سواحل جزيرة العرب لأغراض تجارية وعسكرية فأقامت بها واستقرت وتعربت فنسيت أصلها واتخذت نسبا عربيا.

وقد ذكر المسعودي عن العرب وقبائلهم أنه لما دثرت الأمم من العرب والقبائل خلت منهم الديار فسكنها غيرهم من الناس فنزل قوم من بني حنيفة اليمامة واستوطنوها، كما أن قبيلة عبدالقيس نزلت البحرين وهجر وغلبت من فيها من إياد وأجلتها، وأقامت سائر قبائل ربيعة في نجد والحجاز حتى وقعت بينهم الحروب فنقلتهم من أرض إلى أرض، وتفرقت تغلب في البلاد وانتشرت بكر بن وائل وعنزة باليمامة والبحرين إلى أطراف العراق والجزيرة فامتدت ديارهم إلى شرقي نجد وهاجرت شمالا إلى مناطق بعيدة.

ففي خلال القرون الطويلة تطور الوضع القبلي فتحرك منها الكثير إلى خارج الجزيرة العربية على هيئة أفراد أو مجموعات استقرت في بلاد فتحها المسلمون، الأمر الذي يفسر احتفاء بعضها من الخريطة - كما أن بعض القبائل تركت حياة الرعي والبداوة وعملت بالتجارة والزراعة حين استقرت في مواطنها الجديدة. ففي عهد بن الخطاب ارتحل عدد كبير في أكبر هجرة عرفها تاريخ المنطقة إلى المناطق الجديدة المفتوحة، والمدن الجديدة مثل البصرة والكوفة، أو إلى الجانب الشرقي للخليج. وقد كان لهذه الهجرة دورها الهام في العهد الإسلامي الراشدي والأموي والعباسي - ففي العهد الأموي قامت هجرات كبرى للسكان في العراق والحجاز إلى الأحساء فرارا من الاضطهاد الديني الذي مارسه الحكام بحق أتباع أهل البيت عليهم السلام وذلك لبعدها عن مركز الخلافة في دمشق، مما زاد في حالات المعارضة ضد الدولة، إذ أصبحت مقرا ممتازا ومركزا للثورة ضدها، مما جعل أفراداً آخرين من الشيعة يلجأون إلى الهند والصين أيام اضطهاد عبدالملك بن مروان، فيشتركون في نشر الإسلام فيها، مما يمكن اعتبارهم أول من نشره هناك.

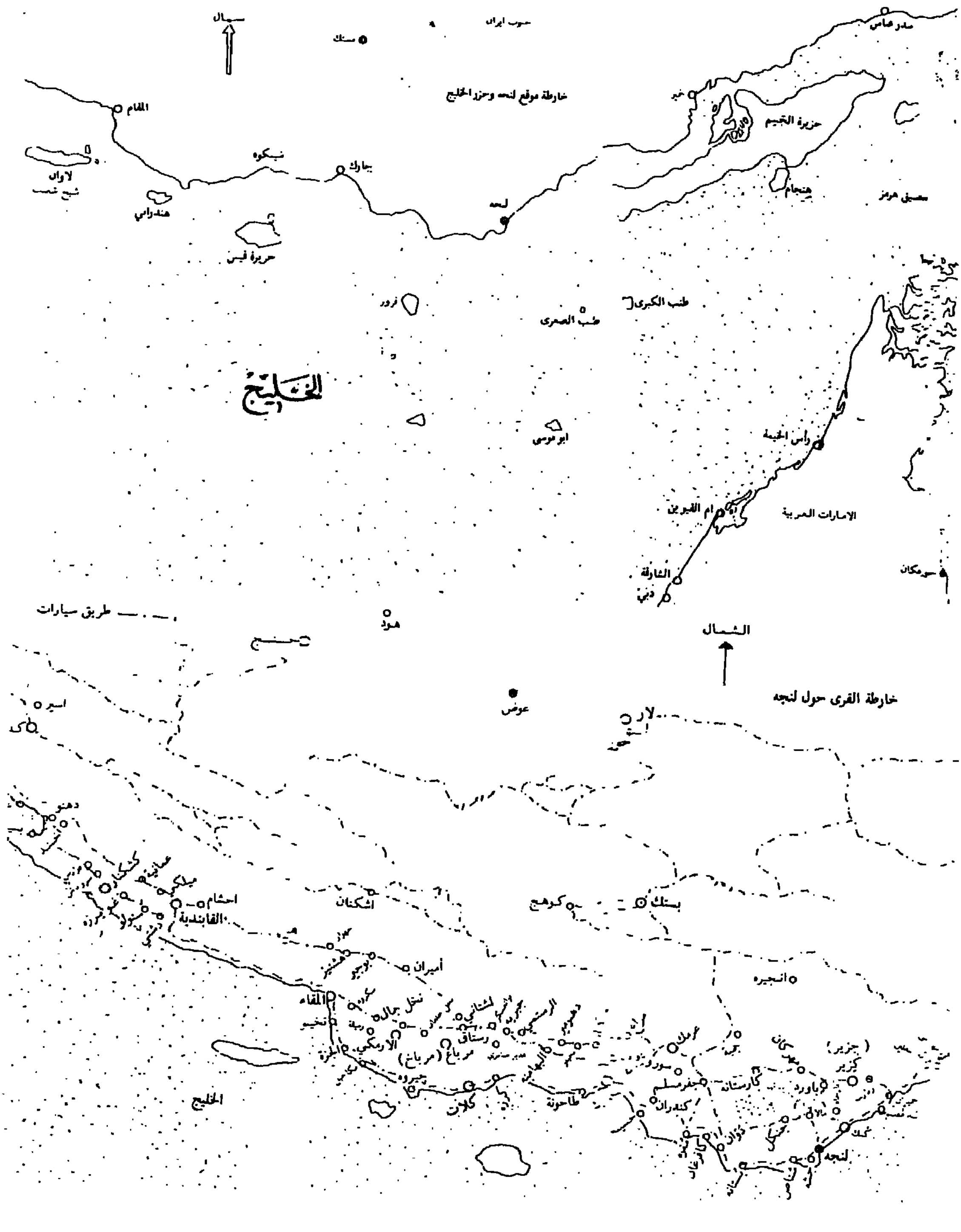
وفي بحث «سكان نجد في الزمن الخالي وفي الزمن الحالي» ذهب فيه الباحث[1] إلى أن أهل نجد في السابق كأغلب سكان بلاد العرب أخلاط من أمم شتى من عرب وفرس وأراميين وعبرانيين وبابليين امتزجوا امتزاجا واحدا مع الزمان حتى أضحوا أمة واحدة، ولما جاء الإسلام زادوا وحدة.

ويذكر البلاذري أن البحرين بعد الإسلام تعرضت لموجات بشرية وغزتها مذاهب دينية متعاقبة أثرت في تكوين سكانها، فقد أصبحت ملجأ للفارين والمنشقين عن الحكومات الإسلامية زمن الدولتين الأموية والعباسية - كما تأثرت بالحركات الإسلامية الثورية كالقرامطة والزنج حتى أحداث العصور الحديثة وغزوات الأوروبيين.

فقد انشغل العالم الإسلامي بالثورات والحروب والنزاعات، واشتدت الأزمات والمعارضات وتعرضت الدولة إلى فترة انقسام خطيرة نتيجة الاختلاف بين المؤيدين والمعارضين، جعلت الحكام والشعوب ينشغلون بها، فدفعتهم إلى إشعال نار الحروب الأهلية وخاصة بين القبائل العربية التي دخلت في صراع يشبه ما كان أيام الجاهلية، كما اشتعلت الحروب والمنافسات بين العنصر العربي والموالي الذين طالبوا بالمساواة في الحقوق مع العرب سياسيا واجتماعيا واقتصاديا مما أشعل الروح الثورية في الشعوب والتمرد على العرب، فظهرت طوائف وفرق ومذهبيات وعصبيات صاحبتها حروب عنيفة دمرت الأفراد والتراث والحضارة. أما العصر العباسي الثاني فقد تميز بالضعف والانقسام وتأسيس الامارات المستقلة شرقا وغربا، كما تميز باختفاء العنصر العربي وتفكك القبائل العربية واختلاط أنسابها وتغير مراكز استقرارها إلى الريف، أو انسحب بعضها إلى الجزيرة العربية مرة أخرى. فتعرضت المنطقة في هذه الفترة لهزات كثيرة نتيجة اضطراب الأحوال السياسية والاجتماعية دفعت بعض سكانها للنزوح إلى هنا وهناك.

---

(١) سليمان بن صالح الدخيل.


الشمال
خارطة موقع لنجه وحوض الخليج
بستك
جنوب ايران
بندر عباس
المقام
لاوان
شيخ شعيب
هندرابي
جزيرة قيس
شيبكوه
بنارك
لنجه
خمير
جزيرة القشم
هنجام
مضيق هرمز
طنب الكبرى
طنب الصغرى
زور
الخليج
ابو موسى
راس الخيمة
ام القيوين
الامارات العربية
الشارقة
دبي
سومكان
طريق سيارات
هود
الشمال
خارطة القرى حول لنجه
عوض
لار
اسير
دهنو
احشام
القابندية
اشكنان
كوهج
بستك
اميران
انجيره
المقام
نخيلو
الخليج
رستاق
مرباغ (مرباخ)
طاحونة
كلات
جفرسلم
كنداران
كارستانة
باورد
كزير
لنجه

ففي أيام الخليفة المعتضد بالله العباسي (٨٩٢ - ٩٠٢م) أصدر أمره إلى واليه في البحرين «محمد بن نور» ليغزو عمان فسار بجيش كبير إليها فاضطربت لأخباره وخرج الناس بأهلهم ومالهم إلى جهات هرمز وشيراز والبصرة، وهاجر عدد كبير من الأسر العمانية، ثم اتجه إلى جلفار ونزوي، وأزال الدولة الإباضية التي حكمت ١٦٣ عاما، إلا أن الأهالي ثاروا عليه بزعامة الأهيف بن حمحام الهنائي، الذي قتل مع خلق كثير من أتباعه في المعارك التي جرت، فعاد «ابن نور» ليستولي على كافة عمان وفرق أهلها وأهلك بقية الحرث والأولاد وجعل أعزة أهلها أذلة وقطع الأرجل والأيدي وسمل الأعين ودفن الأنهار وأحرق الكتب، فذهبت عمان من يد أهلها.

وفي ثورة الزنج تجمع الأتباع حول زعيمهم في القطيف الذي بسط نفوذه على البادية والبحرين، ولكنه فشل فذهب إلى البصرة والتحق به الكثير من موالي البحرين والأحساء والعراق.

وكذلك الزط الذين هاجروا من مواطنهم في الهند إلى الخليج، فاستقروا بأرضه في جنوب العراق، على ساحل الخليج، وقاموا بثورات كبيرة قطعوا فيها الطرق وسلبوا القرى وهددوا الأمن والاستقرار، وامتدت ثوراتهم إلى الأهواز وكرمان وفارس، قطعوا خلالها طرق التجارة عبر البصرة وبغداد مهددين أمن منطقة الخليج، واستمرت ثوراتهم حتى عهد المعتصم في القرن (٩م) فرأت الخلافة العباسية أن تنقلهم للسكنى على الحدود الشمالية بجانب البيزنطيين.

وفي خلال تلك الفترة العصيبة برزت في المنطقة قوى جديدة تمكنت من الاستقلال عن الخلافة وتأسيس ممالك و إمارات مستقلة في أرجاء الدولة الإسلامية، كان أشهرها القرامطة الذين دخلوا في حروب ونزاعات مع الدولة العباسية والفاطمية وغيرها، وإمارة الأخيضر العلوية[١] التي اجتهد حكامها في

(١) بنو الأخيضر زيديون ظهروا في ٢٥٣ هـ.


السودان
منطقة السدود

محاربة العصبية القبلية والقضاء على العنصر العشائري فاستعانوا بالموالي لترسيخ حكمهم، مما اضطر بعض قبائل اليمامة للهجرة إلى شمال أفريقيا وبعض بلدان المغرب العربي. وقد دخلت القبائل في هذه الفترة في حروب تنافسية كانت نتيجتها الأولى هجرة هذه وتلك إلى بقاع مختلفة، مثلما أسفر النزاع الحاد بين بني ثعلب وبني عقيل عن طرد بني سليم من البحرين فاتجهوا إلى مصر وأفريقيا حيث تصاهروا مع القبائل البربرية وامتزجوا بها(١). كما أن حروبا أهلية اندلعت في المنطقة عندما سيطر العيونيون على الحكم في (١٠٧٤ م - ١٢٣٢م)، فتعرضت خلالها الأحساء للصراع الذي وقع بين تلك الأسرة ومما حدث بينها وبين القوى السياسية الأخرى في المنطقة من حروب ونزاعات خاصة مع حكام هرمز وقيس. فقد هاجر إلى تلك الأماكن عدد كبير من القبائل العربية من عمان ونجد واليمن، فاتخذوها قاعدة تجارية انطلقت منها سفنهم إلى الهند وشرق افريقيا والصين، وقد تعرضت هرمز لغزوات المغول بعد اجتياحهم للعراق وسقوط الدولة العباسية وعاصمتها بغداد في أيديهم، فدمروها وقتلوا الكثير من أهلها في (١٣٠١م) فهجرها أهاليها في (١٣١٥م).

وفي الواقع أنه في بداية القرن (١٣م) شهد الخليج أحداثا هامة - حيث تدخل المنطقة في فترة تدهور وتبعية لدول وإمارات مجاورة أحاطتها بحالة من التخلف والتأخر السياسي والاقتصادي - الأمر الذي أغرى بعض الأمراء أن يستغلوا الظروف السيئة السائدة لتأسيس إمارات مستقلة في أطراف الخليج، واتصفت الحالة في هذا الوقت بتنازع الأمراء على الحكم والسيطرة على الوضع - مما نتج عن ذلك الكثير من تنقل الأفراد والقبائل إلى أماكن أخرى.

---

(١) عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، ص٥٤٥.

إن ما أحدثه هجوم المغول على إيران وجنوبها من ذعر وخوف وهلاك، دفع الكثير إلى الهجرة منها هربا من الوضع السيئ والمتردي، فهاجر الأفراد وهربوا إلى الأماكن النائية بحثا عن الأمان والاستقرار، وكان أشهرها وأكثرها اطمئنانا «الساحل الشرقي لأفريقيا». حيث تحولت هذه السواحل إلى أسواق تعامل فيها مزيج من الوافدين إليها من جزيرة العرب والأجانب، فسكنها الغرباء واختلطوا بالسكان وتوالدت أجيال مختلطة وخاصة ما كان منها قريبا من الساحل، حيث ازداد الاختلاط والامتزاج، فجاءها الفرس والهنود وغيرهم ونزحت إليها القبائل لتستقر فيها فترة ثم لترحل إلى جهات أخرى أكثر اطمئنانا في المعيشة.

ولما كان هذا الساحل الشرقي في افريقيا قد شهد الكثير من المدن والإمارات العربية بعد ظهور الإسلام - فإن أعدادا كبيرة من المهاجرين نزحوا إليه بدوافع دينية وسياسية واجتماعية واضطهاد تعرضوا له من قبل الحكام والسلاطين، إلا أن الأعداد المهاجرة إليه أزدادت نتيجة اجتياح المغول للعراق وإيران، فالتحقوا بأبناء جنسهم وحصل الامتزاج مع العناصر الوافدة الأخرى كالهنود والفرس فأدى ذلك إلى ظهور دم جديد، وتجمعت ثقافات متعددة من الصين والهند والجزيرة العربية والخليج.

وفي الحقيقة إن ما ساعد على سيولة تلك الهجرات هو تعلم السكان للملاحة، حيث جاء في الدليل الملاحي الذي وضعه أحد الملاحين الإغريق سنة (٦٠م) والذي عرب باسم: «الدليل الملاحي للبحر الأرتيري» - تضمن وصفا للساحل الشرقي لأفريقيا وحركة التجارة وأسماء الموانئ وتجارة العرب في المنطقة، فذكر كثرة عدد السفن العربية واختلاط العرب وتزاوجهم مع القبائل الأفريقية، وأكد العلاقات بين العرب من جنوبي الجزيرة العربية والساحل الأفريقي، وأن السفن العربية تأتي من سواحل حضرموت وسواحل الخليج العربي لتبادل التجارة مع الساحل الأفريقي، كما شهدت الجزيرة العربية أعدادا كبيرة من الرقيق جلبهم العرب من شرق افريقيا.

أما الجماعات المهاجرة من الأحساء والبحرين وعمان وحضرموت فإنها كانت تنقل معها صورا من الحضارة إلى أفريقيا وهي : إنشاء المنازل والمدن العربية بالصبغة العربية ، فحصل امتزاج ظهر على أثره ثقافة مميزة من عدة ثقافات ، فأخذت لغة السواحلية من لغة العرب وعناصر أخرى فارسية وهندية ، وإن ظلت العربية لغة الثقافة واللغة الرسمية بإمارات الساحل الشرقي - فالمؤسسون لتلك المدن العربية كانوا إما تجارا أو مهاجرين مضطهدين دينيا أو سياسيا مما جعل علاقتهم مع الأهالي سلمية .

لقد اكتشف البحارة العرب المغامرون بحر الزنج فكثر ارتحالهم إلى الشاطئ الغربي للمحيط الهندي ، متاجرين بسلع آسيا مع ذهب أفريقيا وعاجها وصمغها ، وقبل نهاية القرن الأول الميادي انتقل هؤلاء المغامرون إلى مرحلة الاستقرار والإقامة ، فأنشأوا مستعمرات على طول هذا الساحل - مما دفع الآخرين وشجعهم على الهجرة إلى تلك المدن والمواقع فشدوا إليها الرحال مدفوعين بأسباب عديدة : ضغط سياسي أو مذهبي أو ضائقة اقتصادية ، أو بحث عن مقام جديد تستقيم فيه الحياة . وفي خلال القرن (١٠م) كان الإسلام قد انتشر في تلك المراكز وأصبح لكل مدينة مسجدها الخاص ، واشتهر منها من الشمال إلى الجنوب : مقديشو ، براوه ، مافيا ، كلوا ، موزمبيق التي انتشر فيها الإسلام إلى مدغشقر وجزر القمر ، وقد كان ظهور هذه المدن الإسلامية العربية على امتداد الساحل الشرقي لأفريقيا مرتبطاً بسواحل الجزيرة العربية والخليج التي كانت تمدها بالمقومات العربية .

وأول هجرة عربية خرجت من طوائف المسلمين كانت عام ٧٣٩م (١٢٢هـ) قام بها «أتباع زيد بن علي» استقروا على الساحل الافريقي وعرفوا باسم «الأموزيدج» وهو تحريف سواحلي للزيدية(١) .

---

(١) جمال زكريا : دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا ، ص١٢ .

وهجرة أخرى نفذتها طائفة لم ترض عن سياسة «الحجاج بن يوسف الثقفي» فخرجت من الشام إلى «لامو» ثم وفدت جماعة من أهل عمان كانوا قد ثاروا على سياسة «عبدالملك بن مروان» وقاتلوا الأمويين سنة ٦٨٤م، وحين فشلوا فروا إلى بلاد الزنج، فأصبحت إمارة «لامو» أقدم الإمارات الإسلامية ظهورا في ساحل أفريقيا الشرقية. وفي القرن (١٠م) في سنة (٩٠٨م) خرج سبعة إخوة من الأحساء خلال الصراع الذي اشتد بين الخلافة والقرامطة في ثلاث سفن نزلوا بها على سواحل الصومال وأسسوا مدينة مقديشو - فطردوا الزيديين إلى الجنوب وتحالفوا مع سكان البلاد الأصليين من الصوماليين، فظهرت مقديشو كمركز تجاري يعمل بتجارة الرقيق، ثم أنشأوا مستعمرات أخرى في المنطقة مثل: براوة أوبراوات، مركة التي تقع عند نهر «ويبي». وماندا في جزيرة ماندا. وقد زار «ابن بطوطة» في القرن ١٤م مدينة مقديشو، وذكر أن سلطانها كان يدعى: «أبوبكر بن الشيخ عمر» يعتقد أنه من مسلمي الصومال، كما تحدث عن عادات أهلها وسلاطينها ووصف الحياة الاقتصادية ومدى ماوصلت إليه هذه السلطنة من أتساع في النفوذ ونمو في التجارة، وأعجب بالثراء العريض والحياة المترفة فيها.

كما ذكر عنها «ياقوت الحمودي» أنها مدينة في أول بلاد الزنج يجلب منها الصندل والأبانوس والعاج، وأنها عرفت صناعة المنسوجات الرفيعة التي تصدر إلى العالم الإسلامي كله، إذ إنها اختصت بصناعة الغزل فكانت تنتج نسيجاً قطنياً خشناً وأقمشة من وبر الجمل للأسواق المصرية والخارجية، مما يدل على أن أهل الأحساء قد تخصصوا في تلك الصناعات منذ عهد بعيد.

وقد اشتركت هذه الإمارات في الحروب الصليبية ضد الأحباش والبرتغاليين، فالإمارات الواقعة شمال مقديشو حاربت الأحباش، والإمارات الجنوبية كافحت خطر البرتغاليين الذي ضربوا مقديشو بالقنابل بالرغم من أن «فاسكوديجاما» كان قد أعجب بسلطانها حينما رآه في ملابسه الفاخرة مع حاشيته.

وفي تطور آخر للوضع -استطاع العمانيون بعد أن دخلوا ميدان الصراع ضد البرتغال أن ينهوا استعمارهم لشرق افريقيا فاستولى سلطان عمان على ممباسة وموزمبيق، وتمكن «أحمد بن سعيد» من تحرير المسلمين في شرق افريقياً نهائياً عام ١٧٤٠م.

وفي الفترة الأولى من القرن (١٩م) قضى ظهور «زنزبار» الجديدة على تجارة مدن الساحل الشرقي، فقد اتخذها حكامها من سلاطين عمان قاعدة لنشاطهم، حيث اتخذها «سعيد بن سلطان» حاكم مسقط عاصمة له بدلاً من مسقط، فانتقل معه الكثيرون من عرب عمان والجزيرة العربية، فأصبحت زنجبار تسيطر على طرق القوافل في سيرها إلى الداخل وسوقاً رئيسية لموارد الدخل، وقد اعتمد رواد الحركة الكشفية الأوربية والتبشير في تتبع خطوط القوافل العربية وعلى سلطنة زنجبار في إمدادهم بالتسهيلات اللازمة لنجاح عملياتهم الكشفية والاستعمارية.

أما عن هجرات عرب الخليج إلى السودان، فقد نزح إليها بعض من عرب ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان حينما ظهر الإسلام في السودان مع قبائل أخرى، وقد عاش في ثغر أسوان «بنو كنزالدولة»، وهم خليط من الحدارب وربيعة، حارب أبناؤه النوبة وملكوها - فأصلهم من ربيعة بن نزار، كانوا ينزلون اليمامة ثم جاؤوا إلى مصر زمن خلافة المتوكل على الله (٢٤٠هـ)، فنزلوا الصعيد - كما ملك «بنويونس» من ربيعة عيذاب عند قدومهم من اليمامة.

وبنو كنز الدولة هم الذين أضعفوا قوة البجة ومنعوهم من غزو صعيد مصر، كماسمحوا للعرب باستثمار المعادن تحت حمايتهم، ونشروا الإسلام وتعاليمه مثلما نشروا الأمن والأمان في مناطق نفوذهم في الصعيد وفي مملكة البجة، وقد اندمجوا مع البجة بالتزاوج، وأنهى حكمهم الملك العادل «أبو بكر بن أيوب» في (٥٧٠هـ) حين قتل آخر ملوكهم كنز الدولة.

أما الحالة في العصور الحديثة في الأحساء، فإن الأحوال والأوضاع فيها لم تكن في وضع حسن - بل تميزت بالفرقة والاضطراب والفوضى، منذ سقوط الدولة العباسية في (١٢٥٨م) وهجوم المغول على فارس والعراق، فلم تقم بها إمارة قوية ضابطة بل اتجهت إلى الانقسام بين حكام وأمراء وشيوخ تفردوا بالسيطرة على إماراتهم سواء كانت مدينة أو قرية، واستمرت الأحوال على تلك الصورة حتى أيام العثمانيين الذين دخلوا المنطقة في القرن ١٦م (١٥١٧م) فشجعت هذه الأقليات المستقلة لتضمن ولاءها والسيطرة عليها، والحصول على ماتهدف إليه من استنزاف مواردها واقتصادها، إلا أن المنطقة دخلت في صراع وتنافس دوليين بين الدولة العثمانية وقوى أوروبية نشطت في سعيها للسيطرة عليها سياسياً واقتصادياً، الأمر الذي أثر في حركة القبائل والعشائر والأفراد وتنقلها داخل الجزيرة العربية وخارجها، فتدفقت إليها قبائل من ال مره والدواسر والعتوب والعجمان والعوازم وبعض جماعات من بني تميم في أواخر القرن (١٧ و١٨م) في الوقت الذي كان فيه بنو خالد قد سيطروا على المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية أي الأحساء. فكانت هذه الموجات من القبائل تتحرك في أواسط الجزيرة في ظل سيادة بني خالد.

وقد أدت تلك التحركات الكبيرة إلى أن يقوم زعماؤها بتأسيس كيانات سياسية صغيرة سواء على الساحل الغربي من الخليج أو على ساحله الشرقي في فارس، وأشهر تلك الإمارات والمراكز السياسية في تلك الفترة كانت:

- إمارة العيينة بقيادة آل معمر.
- الدرعية بزعامة آل سعود.
- الرياض برئاسة آل دواس.
- حائل بإمارة آل علي.
- القصيم، مع آل حجيلان.

- في نجد الشمالية، حكم آل شبيب.

كما حكم الأشراف في مكة واعتبروا بلاد نجد تابعة لنفوذهم في الحجاز.

- العتوب في البحرين وقطر والكويت، آل مسلم وآل خليفة وآل صباح في أراضي بني خالد.
- البوسعيديون في عمان.
- القواسم في رأس الخيمة.
- بنوياس في أبوظبي ودبي.

كما قامت إمارات صغيرة أخرى على الساحل الشرقي للخليج، مثل بني كعب والمنتفق وآل مذكور وآل مهنا وحكام هرمز.

ولم يكن لتلك الإمارات والمجتمعات البشرية الجديدة نظام سياسي مألوف، بل انتشرت بينها الفتن والاضطرابات والعداوة والحروب التي دمرت المباني وقتلت الأنفس وقطعت الأشجار والزرع.

وأعتبر من أشهر تلك الامارات والمشيخات دولة بني خالد التي امتدت حدودها من الكويت إلى عمان بعد أن خلصوها من العثمانيين، كما تمكن الإمام «أحمد بن سعيد» في عمان ١٧٤١-١٧٨٣ من السيطرة على شؤون الخليج فامتدت حدود بلاده غرباً إلى البحرين والأحساء.

أما ال سعود فقد ظهروا في الدرعية بزعامة محمد بن سعود السياسية وقيادة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الدينية، ونشطوا في نشر الدعوة الوهابية، فدخلوا بسبب ذلك في صراع وحروب طويلة ومتعددة مع الأطراف الحاكمة في المنطقة، فحاربوا بني خالد، واحتلوا الأحساء وأسقطوا دولتهم، وتميزوا عند هجومهم على المناطق المجاورة بأعمال القتل والنهب مما أثر في حياة الأفراد الذين كانوا يتركون أراضيهم طلباً للسلام والتوجه إلى جهات أخرى أكثر أمنا واستقراراً.

كما كان بعض قادتهم يأمرون الأهالي في الأحساء بالهجرة وتركها إلى مناطق أخرى بشرط عدم العودة إليها، فقد هاجر كثير من العلماء والأدباء والوجهاء والمواطنين بعد حروب آل سعود في الأحساء، كان على رأسهم الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي الذي رجع بعد تدمير الدرعية، وتوفي بالمدينة المنورة فدفن بالبقيع. وقيل إنه قتل من علماء الأحساء مائتان.

وقد التجأ بعض أفراد من بني خالد بعد نهاية دولتهم في سنة ١٧٩٥م إلى الكويت والبحرين والزبارة - وقد حاربت الدرعية قوى مختلفة بالإضافة إلى بني خالد، كالأتراك الذين وقفت معهم قبائل المنتفق في العراق والكويت وغيرها من الأطراف المناوئة.

أما في البحرين فقد اشتد الوهابيون في معاملة الأهالي وأرغموهم على اعتناق مذهبهم - مما اضطرهم إلى طلب العون من فارس، فدخلت البلاد في مرحلة صراع حول الحكم بين أسرة آل خليفة، وأدى إلى تدخل قوى خارجية في هذا النزاع مثل الفرس والإنجليز وآل سعود، فضلاً عن الأمراء المحليين - مما دفع معظم الأفراد إلى الهرب والإلتجاء إلى الأطراف المختلفة تخلصاً من هذا الصراع والأضطراب والتوتر. فعند احتلال آل خليفة للبحرين في ١٧٨٣م تعرض الأهالي للقتل فهاجروا منها إلى الأحساء وكان معظمهم من الشيعة، وكذلك هاجر أفراد من الأحساء والقطيف إلى البحرين عندما تم غزو الوهابيين للأحساء في ١٩١٣م.

ومثلما دخل آل سعود في حروب مستمرة مع القوى الداخلية في الجزيرة العربية ومع القوى الخارجية، فقد حاربتهم قوى سياسية مختلفة كالعثمانيين والوالي «محمد علي باشا» الذي تمكن من القضاء على دولة آل سعود في الدرعية الأولى والثانية، وبعد انهيار الدرعية وهدمها تحولت أسرة كبيرة منها إلى الرياض والأحساء.

كما حاربهم البوسعيديون في عمان، الذين تطلعوا إلى السيطرة على البحرين وبعض المناطق على الساحل الفارسي، وكان موقف فارس التعاون مع سلطان عمان في حربه للقوات السعودية المهاجمة لعمان.

وحينما ضعفت قوتهم بعد النزاع بين أولاد فيصل بن تركي، تأثر الوضع بتدخل القوى الأجنبية في المنطقة، وانشغال الأمراء بالحروب فيما بينهم - مثل آل رشيد في حائل الذين تحالفوا مع الأتراك للسيطرة على منطقة الأحساء، كما ساعد بنو خالد قوات «محمد علي باشا» لاسترداد حكمهم بالأحساء، والكويت التي كانت تحارب فقط دفاعاً عن نفسها لتحافظ على استقلالها ما أمكن باتباع سياسة التوازن والحياد بين تلك القوى.

وحينما أسس آل سعود دولتهم الثالثة في أوائل القرن العشرين - دخلوا في حروب طويلة استمرت فترة من الزمن للإستيلاء على الرياض ونجد والحجاز ومناطق أخرى في شبه الجزيرة العربية، وقامت أثناءها ثورات أثرت في دفع الأفراد والقبائل إلى التحرك والهجرة إلى هنا وهناك. فقد حدثت أكبر ثاني هجرة في المنطقة في مطلع القرن (١٣هـ)، إذ هاجر نصف السكان ما بين ١٢٠٥-١٣٥٠هـ/ ١٧٩٢-١٩٣٠م - حيث تركت أعداداً كبيرة من أهل الأحساء والقطيف مواطنها إلى البحرين والكويت والعراق وإيران وقطر والإمارات وإلى الشام أيضاً، عندما رجع آل سعود إليها في ١٩٠٨م، كما تصاعدت الهجرة من نجد أيضاً إلى المنطقة، وتحركت مجموعة أخرى نتيجة الاضطهاد إلى الهند وباكستان.

ومن أشهر الحوادث التي أثرت في تحركات الأفراد وتنقلهم - «خراب الدوحة الثاني» حينما تدخلت جيوش البحرين مع تحالف قبائل العجمان والمناصير وآل مرة بالاشتراك مع أمير (أبوظبي) الشيخ «زايد بن خليفة» بالهجوم على قطر، فنزلوا مدينة الدوحة - حيث أمر زايد بدكها وهدمها فخربوها وشردوا

أهلها الذين فروا تاركين بيوتهم وأموالهم لينهبها المهاجمون ويسلبون ما أمكنهم، فسرقوا الأهالي حتى أبواب منازلهم، ثم أمرهم بالرحيل، فتشرد قسم منهم، وطرد آخرين بالقوة، والتجأ جزء إلى موانئ أخرى على السواحل العربية والفارسية. ويذكر «لوريمر» أن مدينتي الدوحة والوكرة قد أزيلتا تماماً في نهاية ١٨٦٧م[1].

كما أن الشيخ زايد بن خليفة جهز اسطولاً بحرياً بقيادته لمحاربة «العديد» التي أعلنت الاستقلال بزعامة الشيخ «بطي بن خادم القبيسي» من قبيلة القبيسات، الذي انشق عن إمارة أبوظبي فأراد زايد في سنة ١٨٧٨م استعادتها، اذ اعتبرها ضمن أملاكه، وقد تخوف أهل «العديد» الذين لم تكن له القدرة على مقاومة زايد، فهربوا بأرواحهم وأموالهم وجمعوا النساء والأطفال في قافلة لإسالهم إلى قطر، كما أن الرجال خلعوا أبواب منازلهم ودمروا الآبار وفروا إلى البدع في قطر ليكونوا في حماية «قاسم بن ثاني» وحينما وصل زايد «العديد» وجدها خالية من السكان، فقام رجاله بتدميرها ومسحها من على وجه الأرض.

وفي عام ١٨٧٤م هجم «ناصر باشا راشد السعدون» مع المنتفق في البصرة على الأحساء وقاتلوا الأهالي بشدة وضراوة فأفنوا الكثير منهم وأباح الهفوف ثلاثة أيام للنهب والسلب والقتل، مما دفع الأهالي للفرار والهروب فتفرقوا في القرى وإلى البحرين، وتعرف هذه السنة عند أهل الأحساء بسنة ناصر باشا. وقبل ذلك في (١٨١١م) هاجم سلطان مسقط الإمام سعيد، قطر في حملة بحرية فأحرق الزبارة ودمرها تماماً وطرد الوهابيين منها ومن البحرين. كما دمر الوهابيون قلعة «رحمة بن جابر» في الدمام في ١٨١٦ جعل رحمة يرحل لاجئاً إلى بوشهر مصحوباً بخمسمائة أسرة.

---

(١) لوريمر: دليل الخليج – القسم التاريخي، حـ٢، ص١١٧٠.

وأما هجرات العرب إلى الهند فقد امتد تاريخها من الفترة ١٧٧٦ حتى ١٩٤٨م - حينما عملت السلطات البريطانية المسيطرة على القارة الهندية وعدن على تهجير أعداد من العرب في الهند لإعادتهم إلى بلادهم، على اعتبار أنهم كانوا مصدر قلق لها بالرغم من أن فترة بقائهم هناك استمرت زهاء قرنين، اشتغلوا فيها بالتجارة كما قدموا خدمات لجيوش الحكام المحليين. أما بريطانيا فقد تركزت سياستها نحوهم على إبعادهم عن القارة وترحيلهم إلى ديارهم بإجبارهم على ذلك، فغادرت مجموعة من قبيلة «الولايتي» إلى بلادها ١٨١٨م - حيث قدم بعضهم إلى حضرموت ونزح بعضهم الآخر إلى جهات أخرى في الهند في «ناجيور وحيدر أباد» والتي أقاموا بها حتى ١٩٤٣م عندما أجبرتهم بريطانيا على تركها إلى حضر موت.

وكان أكثر من ٢٠ ألف من أبناء القبائل العربية قد استقروا في الهند، فتمركز معظمهم في حيدر أباد، واشتركوا في الجيش الذي حارب السيخ، وتأسست مكاتب لتوريد المهاجرين العرب إلى الهند في بومباي، مثلما يحدث الآن بالنسبة لهجرة الآسيويين إلى الخليج، إلا أن بريطانيا لم تقبل بوجودهم، فعملت بكل مالديها لإرجاع هؤلاء إلى مواطنهم منذ عام ١٨٤٣م في الوقت الذي شجعت فيه على هجرة الهنود واستقرارهم في مدن الخليج والعمل فيها كمواطنين إنجليز.

كما أن الأحداث القاسية والمدمرة التي جرت في المنطقة إثر قدوم الاوربيين إليها لإستعمارها والاستيلاء على خيراتها، والتدخل في أمورها وإعدادها كمراكز استراتيجية هامة لها، كالبرتغاليين والهولنديين والفرنسيين والإنجليز، فإستخدموا أساليب عنيفة قاسية وكل أدوات القتل والوحشية مع المواطنين عند هجومهم على المدن لأحتلالها وبخاصة ما أقدم عليه قائد البرتغال «دالبوكيرك» الذي اتبع سياسة الشدة والقمع والعنف ضد الأهالي العرب والفرس، فسرق ونهب ومنع الصلاة في الجوامع، وقتل الكثير منهم مع استخدام أنواع من

التعذيب وقطع الأرجل والأيدي وسمل العيون وصلم الآذان، الأمر الذي دفع الكثير إلى التحرك والهجرة إلى مناطق نائية تخلصاً من وحشية هذه الحيوانات المفترسة.

كما أن الأهالي قاموا بثورات على هؤلاء المستعمرين بالأتصال مع جهات أخرى مناوئة لهم للتخلص منهم، فاتصلوا بالعثمانيين والفرس الذين تمكنوا في النهاية من إنهاء نفوذهم في المنطقة، فحاربهم الشاة «عباس» وهزمهم في البحرين وأعاد «هرمز» لسيطرة إيران في عام ١٦٢٢ فدمرها مع قلاعها وأتخذ «جمبرون» بدلاً منها مركزاً تجارياً - كما أن مسقط التي تبعت هرمز سياسياً تمكن أهل عمان من طردهم منها في ١٦٥٠م، ثم تدخل الإنجليز في الأحداث وتمكنوا في النهاية بعد طرد هؤلاء من السيطرة على المنطقة منفردين، وهكذا ففي تلك الفترات المضطربة حاولت دول كثيرة وقوى خارجية متعددة الاستيلاء والسيطرة على أراضي الخليج، كان أشهرها ملوك فارس وسلطان مسقط الذين كثيراً ماكرروا تبعية البحرين لهم.

كما أن بريطانيا نظرت إليها حسب مصالحها - فقامت بفصل قطر عن البحرين لتواجه القوة السعودية الصاعدة التي فشلت في إخضاعها لنفوذها، كما أن الدولة العثمانية اعتبرتها ضمن إمبراطوريتها، ونافستها القوات المصرية أيام «محمد علي باشا» في السيطرة عليها.

إن تلك الأحداث المثيرة في المنطقة دفعت الأفراد للتحرك إلى جهات أبعد من مناطق سكنها وأعتبارها موطناً جديداً لهم، فكثيراً ماتحركت القبائل المختلفة على الساحلين الشرقي والغربي للخليج حسب الظروف والملابسات، فهاجر كثير منها إلى العراق والبحرين والكويت مثل قبائل: شمر والظفير وبني خالد، وفئات من نجد والاحساء لم تقبل العيش تحت ظل الحكم الأجنبي.

كما أن مجموعة كبيرة من السكان في الساحل الإيراني نزحت إلى الساحل العربي والمناطق العربية بعد احتلال إيران «لبندر لنجة» في أواخر القرن (١٩م) في الوقت التي أتجهت فيه كثير من القبائل العربية الساكنة على الساحل العربي نحو الساحل الشرقي وأسست إمارات حكمتها فترة طويلة من الزمن، كان أشهرها: «النصوريون» من «بني خالد» الذين انتقلوا إلى فارس قادمين من الجزيرة العربية فاستقروا في قرية «بساتين» شرقي رأس بند والكابندية، كما حكموا منطقة «الطاهرية»[١]، واستقروا في «كنكون» وقرية «بنك»، و«عينات» وقرية «أختر»[٢] وكانوا بزعامة «خالد بن مهنا الجبري».

وكانت عشيرة آل حميدي من بني خالد قد انتقلت من قطر إلى البر الإيراني في الجنوب عام ١٦٨١م في مكان يدعى «كجوة» وتفرقوا في عدة قرى متخذين القاباً مختلفة منها: الصابرية، الأحمدية، الفلامرزية. واستمر حكمهم حتى ١٧١٩م بعد وفاة الشيخ ياسر بن منصور بن خالد بن مهنا الجبري في قرية «البمبرية». وفي ١٧٢٤م احتل الشيخ «جبارة بن ياسر» جزيرة البحرين وسكن بها مع عائلته، إلا أن الحكومة المركزية احتلت الجزيرة في ١٧٣٧م، وقد أصبحوا عجماً تكلموا الفارسية وتشيعوا.

ويسكن بنو خالد اليوم على شواطئ الخليج العربي ابتداء من بوشهر، من قريتي عرب خمسة وعرب الخمسين إلى نهر هنديان على طول الساحل، ومنهم فئة في بندر ريق وآخرون في ديلم وفي جزيرتي خارج وخاركو، وكذلك في مدينة الخليفية والعميدية وفي مسجد سليمان وشمس العرب ورامز. كما نزح الكثير منهم إلى المحمرة وعبادان.

---

(١) تقع سيراف غربها.
(٢) منها آل الرفاعي.

أما في المنطقة الفارسية – أي في المناطق الواقعة بين الديلم وبندر ريق، فهم يقيمون بجوار القبيلتين الفارسيتين الكبيرتين: قبيلة حياة داود والليراوي. وتعد مدينة بندر ريق وكناوة وديلم من أراضي القبيلة الأولى، أما من ديلم إلى ضفة نهر هنديان اليسرى فتعد من أراضي الليراوي، ويفصلهم عن أراضي العرب جسر على نهر هنديان يقع بين جبلين وهو «پل خزعل» أي جسر خزعل(١) كما نزح بعض من أهالي مدينة «لنجة» في الأحساء قرب «الخبر» الحالية، إلى البحرين، وجزء آخر منهم إلى الساحل الشرقي للخليج فنزلوا مكان «لنجة» الحالي في فارس – حيث سموها باسم مدينتهم القديمة التي خربت وزالت أثارها. وقد كانت «لنجة» الاحسائية عامرة قبل القرن (١٠هـ-١٧م) فحصلت بين الأهالي فتنة وقتال استمر طويلاً دفعهم إلى النزوح إلى تلك الأماكن. كما أنهم بنوا بركة سميت بركة العدان، وهي موضع قرب القطيف. كما أن هناك بلدة أخرى على ساحل الخليج في فارس اسمها «جشة» قدم أهلها من الاحساء في بلد بنفس الاسم.

وقد هاجر العرب من الاحساء -الخبر- اليها أيام النفوذ البرتغالي في الخليج ثم عمرت بوفود الفرس إليها في ١١٨٢هـ - ١٧٦٩م فهاجر إليها خلق كثير وأصبحت عامرة بعد عشر سنوات من استيلاء العمانيين عليها ١١٧٣هـ-١٧٦٠م، حيث استمروا يحكمونها ٦٧ سنة إلى ١٢٣٠هـ-١٨١٢م.

ثم قدم إليها القواسم من رأس الخيمة والشارقة بعد حدوث نزاعات بينهم فحكموها منذ ١٢٣٢هـ، كما هاجر «بنو حماد» من العرب القحطانية وكانوا من سكان «خور اعديد» في قطر تركوها إلى الساحل الفارسي في مناطق: مرباخ ورستاق وكريشة وكلي سرخ فحكموا هذه المناطق أوائل القرن الماضي وأقاموا

---

(١) انساب الأسر الحاكمة، ص٢٩.

إمارة مستقلة مثل القواسم حتى أنهى حكمهم رضا شاه بهلوي. وقرية «مرباخ» هي بمنطقة شيبكوه تعتبر مركز إمارة بني حماد المشهورة في تاريخ المنطقة.

كما هاجر أكثر أهالي «لنجة» إلى مسقط والإمارات وقطر والبحرين والكويت بعدما خسرت تجارتها وتدهورت الحالة التجارية والاقتصادية وانقطعت عن مينائها البواخر، وزادت الهجرة بعد إصدار قوانين رضا شاه القاسية، فأصبحت خالية من الناس، أذ كان قد انتهى عصرها الذهبي.

وكذلك هاجرت إلى المنطقة جماعة من آل مرة من بطون «يام»[1] وقبيلة آل حرم وبني تميم وبني مالك التي هاجرت من القطيف فنزلوا منطقة النابند، وانتقلت أيضاً قبيلة المرازيق من العجمان عن طريق عمان إلى بر فارس فسكنت منطقة «كافرخون» والتي سكنها أيضاً القواسم في ١٧٥٦م.

وقد تميزت الأوضاع السياسية والاجتماعية عند هؤلاء بالحروب فيما بينها فكثر القتل والتشريد، وهدمت قرى ومدن بأكملها نتيجة تلك الحروب والمنازعات، كما أن الحكومة المركزية قتلت أحد أفراد بني خالد المشهورين هو الشيخ «مذكور» الذي أعلن التمرد عليها وقرر الإنفصال عنها في ١٨٨٠م، فتفرق أولاده في داخل البلاد وخارجها ولجأ أحدهم إلى البحرين، ثم قام الشيخ حسن بن مذكور بالانتقام من عائلة «الريس» حكام قرية الدشتية وقتلوهم عن آخرهم في ١٨٨٢م على اعتبار أنهم المسئولون عن نكبتهم.

وفي أوائل القرن العشرين - أجبر نظام حكم «رضا شاه بهلوي في ١٩٣٤ وسياسته العسكرية وقرارته القاسية وقوانينه التعسفية وشدته في معاملة المخالفين

---

(١) يام: إحدى القبائل المهمة في نجران والجوف، وتقل عنها المعلومات. فإذا ذكرت يام في نجد: يقصد بها آل الجمعان وآل مرة، وفي الجنوب مابين نجد وعسير واليمن منها عشائر كثيرة أهمها: أجشم، آل فاطمة، المواجد. وكلها لها فروع، وتتبع في مذهبها التشيع.

لها على هجرة أعداد كبيرة من الإيرانيين وقبائل العرب إلى الساحل الغربي للخليج وخاصة اولئك الساكنون في المناطق الساحلية .

ويذكر الرحالة الدانماركي «كارستين نيبور» في كتابه : «رحلات في الجزيرة العربية وبلدان أخرى في الشرق» : أنه يستحيل تحديد الوقت الذي أنشأ فيه العرب مستعمراتهم على السواحل الشرقية للخليج - أي تلك المدن العربية التي أقيمت في فارس ، فيمكن أن تكون قد نشأت في عهد أول ملوك الفرس ، وهو يذكر عن هؤلاء القبائل أنهم يحبون الحرية مثل عرب البادية ، وأن لكل بلدة شيخها ، ومساكنهم متواضعة يسرعون إلى مراكبهم عند اقتراب العدو للاختباء في بعض جزر الخليج ، وهم على علم بأن الفرس لايرغبون في الاستقرار على الساحل المجدب أو التعرض لغزوات العرب البحارة .

ويذكر أيضاً أنه كانت هناك علاقة وثيقة بين الساحل الشرقي للخليج وعمان ، فكثير من القبائل العربية المهاجرة إليه جاءت من عمان في مراحل تاريخية متتالية ، منذ خراب سد مأرب في منتصف القرن ٦ م .

كما أن الطبري يرى أن عدداً من القبائل العربية نزحت من البحرين إلى هذا الساحل منذ القرن ٤م ، وكذلك أجبر عدد من أباطرة الفرس أعداداً من العرب بالقوة على النزوح إليه ، ثم توالت هجرات العرب الأخرى بعد ذلك ، فهاجر آل عمارة من الأزد وهم أولاد الجلندي الذين كانوا قد سيطروا على مساحة كبيرة من الساحل الشرقي للخليج قبل الإسلام ، وكانت الهجرات تزيد إلى هذا الساحل كلما زاد الاضطراب في المنطقة .

أما الدافع القوي الآخر الذي أجبر الأفراد على الحركة والتنقل والهجرة من مواطنها إلى أماكن أخرى ، فقد كان الأمراض والأوبئة والكوارث ، وبالأخص القحط والجفاف الذي تميزت بهما أراضي الجزيرة العربية ، ففي عام

١٧٢٢م حدثت مجاعة وقحط وغلاء في أجزاء من الشام تأثرت بها أجزاء أخرى في الجزيرة العربية حتى اليمن، فنزح كثير من أهل نجد إلى الأحساء والبصرة والشام واستمر الوضع ثلاث سنين. وفي سنة ١٧٦٧ توجه جمع من النجديين إلى الزبير والبصرة والكويت والأحساء أثناء سنوات القحط والجفاف، حيث قرروا عدم العودة إلى بلادهم فاستقروا في تلك الدول، كما أنه في عام ١٨٠٥ وقع قحط وغلاء في أنحاء الجزيرة العربية مات بسببه خلق كثير، وقد هاجر بنو حماد إلى بر فارس نتيجة القحط وقلة الماء في نجد وساحل الخليج العربي.

كما أنه في عام ١٩٠٤م عم القحط المناطق الجنوبية لإيران فقلت المواد الغذائية، وأصبح القوي يهجم على الضعيف ليسلب مالديه من غذاء ومال وحيوان، فكثر قطاع الطرق على القوافل المارة، وحدثت معارك وحروب بسبب تلك الإغارات والسرقات بين الحكام المحليين، مما دفع الأفراد إلى التنقل والهجرة من مواطنهم.

أما الأمراض والأوبئة الخطيرة فكان لها شأنها المؤثر في تلك الحركات والهجرات، فقد انتشر الطاعون في العراق عام ١٦٣٥ وعام ١٦٨٩م - حيث أهلك الكثير وأبادهم، كما أنه في عام ١٦٩٠م مات الكثير في البصرة وخليت من الناس، وأفنى في العراق مايقرب من ٩٠ ألف فرد عام ١٧١٩م كما أباد الكثير في البصرة وما جاورها في ١٧٧٣م - حيث ذكر أنه مات بذلك ٣٥٠ألف في البصرة و٦ آلاف في الزبير، مما دفع السكان إلى النزوح إلى قطر فلم يبق من أهلها إلا القليل. وفي ١٨٠٩ وقع وباء في الدرعية مات فيه الكثير أشهرهم الشيخ القاضي «حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، وفي ١٨٢٠م اجتاح البحرين وباء الكوليرا فانتشرت في القطيف ونجد والعراق وفارس، وكذلك في عام ١٨٧٢ - حيث هلك الكثيرون.

وقد تأثرت الكويت بهذه الكوارث نتيجة قربها من العراق ونجد وغيرها، أما في عام ١٨٣٠ فقد انتشر مرض الطاعون مرة أخرى في فارس والعراق والكويت ونجد فأفنى معظم سكانها ومات أكثر الناس - حيث بلغ عددهم حوالي ٧آلاف خلال أسبوعين. وكذلك أهلك الطاعون معظم الناس في العراق والأقاليم المجاورة في أعوام ١٨٦٧ - ١٨٧٤ - ١٨٧٧ - ١٨٨١ - ١٨٩٢. وفي عام ١٨٩٩م سقط آلاف الضحايا من أثره في مسقط وبوشهر. كما أن وباء الجدري تسبب في موت الكثير في البحرين والقطيف في ١٨٩١م وفي القضاء على آلاف الأفراد في سواحل عمان في أعوام ١٨٩٣ - ١٨٩٩م(١).

وعن الكويت - يذكر أن سفن الكويت كانت تسافر في الشتاء إلى الهند وفيها عدد كبير من الرجال الذين اعتبروا ناجين من الوباء، وعندما رجعوا إلى الكويت وجدوها خالية من السكان إلا القليل - فاضطروا إلى استيراد النساء من المناطق المجاورة بدل الموتى. ويوضح «أحمد البشر» ذلك بأن أهل الكويت لم يجدوا من يمت إليهم بصلة إلا النادر القليل، إذ إن الشخص لم يجد الأهل والأصحاب والأحباب. فقد قضى طاعون ١٨٣١ على الكثيرين من أهلها حتى كادت أن تصبح قفراً لولا هؤلاء المسافرون الذين رجعوا إليها.

وقد أفنى الوباء أكثر من ثلاثة أرباع أهل الكويت - كما أن الانفلونزا التي اجتاحت الكويت عام ١٩١٨م قضت على أربعة الاف فرد وأثرت أيضاً في الجزيرة العربية. وكذلك وباء الكوليرا في الخليج أفنى الكثير من السكان في المنطقة، فقد أهلكت الآلاف في ١٨٢١م بسواحل عمان، وفي ١٨٣٠م بإيران وفي ١٨٧٢ بالبحرين، و١٨٣١م بالحجاز والجزيرة العربية، وفي ١٨٥١م في بوشهر، وأفنى عدداً كبيراً في مسقط وساحل الاحساء في ١٨٦٥م. أما في

(١) خالد فهد الجارالله، تاريخ الخدمات الصحية في الكويت، ص ص٣٢، ٣٣.

العراق فقد فتك بالآلاف من أهل المنتفق وبغداد في ١٨٩٩م.

وبذا يمكن القول إن سير التاريخ والبحث في حركات الأمم والشعوب، أثبت أن العرق الموحد الصافي لايمكن إيجاده في أي منطقة في الأرض، إذ ان عوامل أخرى تعمل على الجمع بين الأمم المختلفة أو إيجاد الفرقة بينها، كاللغة والمنطقة الجغرافية، والتاريخ المشترك، والمصالح الاقتصادية المتكاملة والمصير المشترك.

كما أنه يمكن القول إنه من الصعب تأكيد من يدعي أن أصله يرجع إلى هذا النسب وذاك العرق، فإذا كانت هناك طوائف في المجتمع الخليجي الآن تدعي أن لها أصولاً تاريخية عريقة ترجع إلى تلك القبيلة أو تلك العشيرة فإن ذلك يحتاج إلى أدلة وبراهين ثابتة تؤكد أقواله. فلايستطيع فرد أن يثبت أنه كان من هذه المنطقة وهاجر إلى منطقة أخرى، ثم عاد بعدد سنين طويلة إلىَ منطقته الأولى، لأن الهجرات كما رأينا قد تبادلت بين الساحلين الشرقي والغربي للخليج لفترات طويلة من السنين، كما أن الأحداث الكثيرة والسريعة المتلاحقة التي كانت تجري فيها لم تدع مجالات لتأكيد هذه النظرية أو نفيها، إلا أن المؤكد منها أنه من الصعب إثبات إنتساب الفرد إلى قبيلة ما أو المنشأ الأصلي الذي جاء منه، إلا ماندر.

الفصل الرابع

أحوال المدن العربية وشعوبها بالاحساء كما جاء في كتب المؤرخين والرحالة .

الفصل الرابع

أحوال المدن العربية وشعوبها بالأحساء
كما جاءت في كتب المؤرخين والرحالة

لما كانت الأحساء من المناطق المأهولة والحضارية المتميزة، فقد تسابق إلى مشاهدتها وشد الرحال إليها لفيف من الكتاب والرحالة العرب والمسلمين وغيرهم، للتعرف عليها عن قرب، وتلمس آثارها والاستئناس بطبيعتها ومقابلة شعوبها وماكانت عليه عاداتهم وتقاليديهم، والثقافة والمعرفة المتميزة لديهم، وقد سماها بعضهم البحرين، كما أطلق عليها آخرون الأحساء.

وممن زار البحرين وكتب عنها:

«**ابن قرطبة**» في ٨٦٤م الذي تحدث عن القرصنة في تلك الفترة التي انتشرت في سواحل البحرين - حيث مارسها أهلها، وأنه لم تكن لهم حقول زراعية - بل امتلكوا الإبل ومزارع النخيل، حيث رزع فيها نوع من التمر يسمى «الأنابيج» يستخرج منه نوع من الشراب يمكن أن يغير اللون الأصفر إلى الأبيض.

وذكر من مدن البحرين وقراها في ذلك الوقت: الحجر والقطيف ودارين، وقدر دخل الخليفة من ضرائب المناطق الثلاثة عام ٣٢٧هـ - ٩٣٨م ب٥١٠ آلاف دينار.

وقال أبومحمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المتوفي ٣٣٤هـ (٩٤٥م) في كتابه «صفة جزيرة العرب» عن البحرين ونواحيها.

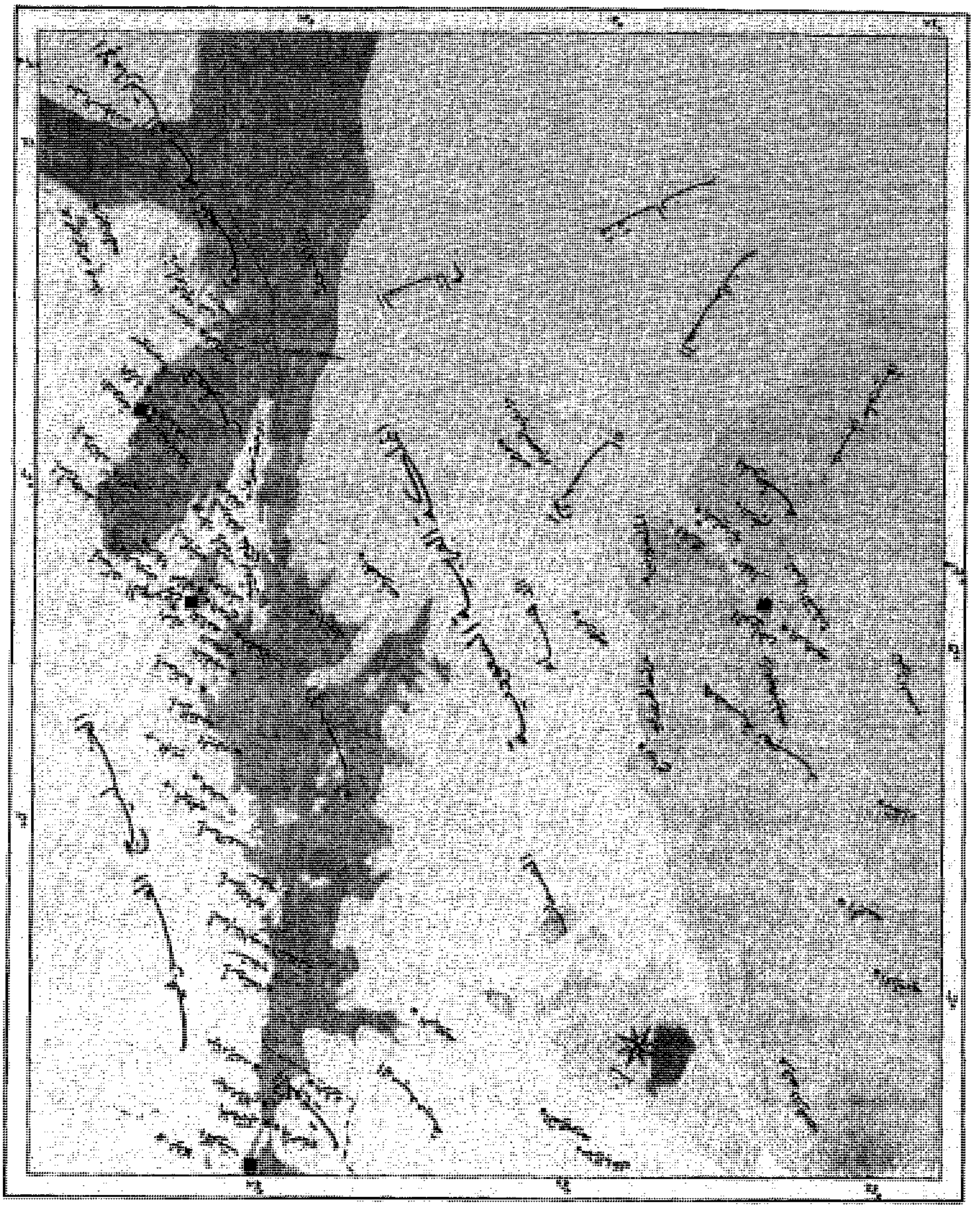
إن مدينة البحرين العظمى هي هجر، وهي سوق بني محارب من عبدالقيس، والقطيف موضع نخل وقرية عظيمة الشأن، وهي ساحل، ثم العقير من دونه، وهو ساحل وقرية دون القطيف ثم السيف، سيف البحر من أوال - وهي جزيرة في وسط البحر - فيها جميع الحيوان إلا السباع، ثم ستار البحرين، وفيها نخل وسكن - ومن المياه المتصلات معقلات، ثم خمس ثم معقل طويلح وهو عن يمين سنام ثم كاظمة البحور ساحل، ثم رحلية إلى البصرة وماء يقال له قطر، ثم ترجع إلى البحرين فالاحساء.

وكان سوقها على كثيب يسمى الجرعاء تتبايع عليه العرب، وعن يمين البحرين ودونها: يبرين والخن، موضع فيه نخل كثير وحصون وعيون جارية[1].

وزار «ناصر خسرو» البحرين عند عودته من الحج في ١٠٥١م وذكر بأن قبيلة «عبدقيس» سكنتها نازحة إليها من تهامة، وأنه في الأصل كانت مجرد حامية تقع بالقرب من الحجر العاصمة القديمة للإقليم. وقدم صورة مشرقة ومحببة عن تاريخ المنطقة وأحوالها الاجتماعية، فقال عندما تتجه شرقاً في البحر من الأحساء تصل إلى البحرين بعد ١٥ فرسخاً حيث فيها النخيل، ويتم فيها صيد اللؤلؤ الذي يذهب نصف المسترج منه إلى أمراء الأحساء.

وبعد قرن من هذا التاريخ، كتب «**ناصري ادريس**» أنه كان من الصعب التنقل بطريق البر من «صحار» ي عمان إلى البحرين نتيجة الحروب والمصادمات المستديمة بين القبائل العربية، فتعذر على الناس الانتقال من منطقة إلى أخرى أو نقل أمتعتهم، ثم تحدث عن البلاد التي تقع شمال القطيف وتقيم فيها قبيلة «عمرو بن ربيعة» وأن من بين مناطق البحرين منطقة الحجر والقطيف والأحساء. ويستمر في قوله: بأن الجزيرة الرئيسية في البحرين اسمها «أوال» ومساحتها ٦

(١) محمد بن عبدالله الاحسائي: تحفة المستفيد، ص٢٤٨.



أميال مربعة وعاصمتها البحرين وهي مكتظة بالسكان، خصبة الأرض تنتج البرسيم والبلح بوفرة، وفيها مصادر مياه كثيرة عذبة، بعضها كالشلالات الصغيرة، كما فيها طاقة لادارة الرحى، ويحكمها حاكم مستقل، وكل السكان راضون عن حكمه وعدله، وحينما يموت الحاكم يخلفه شخص آخر يتحلى بنفس صفات الفضيلة والنزاهة.

وقد شرح «**ابن بطوطة**» الغوص وتجارة اللؤلؤ في الخليج فذكر أن مغاص اللؤلؤ فيما بين سيراف والبحرين في خور راكد مثل الوادي العظيم، والقوارب تحمل تجار الفرس والبحرين والقطيف يشترون مايستخرجه الغواصون. ولما كانت البحرين آخر محطة له في رحلته فقال عنها: إنها مدينة كبيرة حسنة، فيها بساتين وأشجار وأنهار وحدائق النخل والرمان والأترج، كما زرع فيها القطن، وهي شديدة الحرارة، كثيرة الرمال، ويصل منها إلى عمان عن طريق البحر، وأهم جزر البحرين هي «أوال»، وحاضرة الجزيرة مدينة اسمها البحرين، يسكنها الغواصون والباحثون عن اللؤلؤ، ويجئ إليها التجار من جميع أنحاء الأرض - وقد شبه بناء قنوات المياه الجوفية التي تغطي الأرض الزراعية في عمان بالقنوات التي كانت في الاحساء في فترة القرن ١٣م.

أما ياقوت الحموي في معجم البلدان ٦٢٦هـ (١٢٢٧م) - فإنه تناول الطريق إلى البحرين من أعلى الخليج فيقول: إن دجلة تتفرق عند طرف جزيرة عبادان فرقتين: إحداهما تأخذ ذات اليمين فتصب في بحر الخليج عند سواحل أرض البحرين، وفيه تسافر المراكب إلى البحرين وبر العرب وتمتد سواحله نحو الجنوب إلى قطر وعمان والشحر ومرباط إلى حضرموت إلى عدن، وعند السير نحو الجنوب يمر إلى جنابة بلدة القرامطة، ومقابلها في وسط البحر جزيرة خارك، ويعد بحر البحرين وعمان واحداً، على ساحله الشرقي بلاد الفرس والغربي بلاد العرب.

كما أن أبا الفداء الجغرافي ١٣٢١م ذكر عن البحرين، أنها مدينة جميلة ذات حدائق وأشجار ومياه متوفرة تزخر بحدائق الليمون والرمان والقطن، ودرجة الحرارة فيها عالية، تهب عليها العواصف الرميلة فتطمر المنازل أحياناً، ويكون الوصول إليها من عمان عن طريق البحر. وفي وصف «لابن المجاور» ذكر كرم أهلها وغناها، وأن بها ٣٦٠ قرية إمامية.

وفي تقويم البلدان - **أبو الفداء المتوفي ١٣٣٢م (٧٣٢هـ)** - يتحدث عن جزيرة «أوال» أنها بالقرب من القطيف على مسيرة يوم منها، وبها مغاص للؤلؤ مفضل على غيره، وبها ضيعة وكروم كثيرة ونخيل وأترج، كما أن فيها مراعي وصحراء وأن مزروعها - أي موضع الزرع فيها - على عيون بها، وهي حارة جداً.

وفي العصر الحديث كتب «إبراهيم حسن» في كتاب «تاريخ الاسلام» ١٩٣٥م متناولاً طرق التجارة في المنطقة فيقول إن جدة كانت ميناء تبعد عن مكة بنحو أربعين ميلاً تعمل واسطة عقد التجارة بينها وبين الحبشة، فكانت تحمل كنوزها إلى القطيف في أقليم البحرين - حيث تنقل في القوارب مع اللؤلؤ الذي كان يستخرج من سواحل الخليج الفارسي -العربي- إلى مصب الفرات.

أما عن الأحساء فقد تحدث عنها:

«ناصر خسرو» أن **«أبا طاهر الجنابي»** زعيم القرامطة أنشأها في ٩٢٦م وأطلق عليها «المؤمنية»، وذكر أن البصرة هي أقرب إلى الأحساء، تخضع لسلطة المسلمين وتبعد عنها نحو ١٥٠ فرسخاً، وأنه لم يجرؤ أي من امراء البصرة على مهاجمة الأحساء.

والأحساء لفظ يطلق على البلدة وضواحيها والمناطق التي تحيط بها والقلعة أيضاً، إذ تحيط بالبلدة أربعة أسوار حصينة قوية، يفصل الواحد عن الآخر مسافة فرسخ واحد، وبها مصادر للمياه كثيرة في إمكان كل واحد منها أن يدير أربعة

معامل، وينقل الماء بشكل جيد بحيث لايتسرب إلى الخارج.

وفي وسط البلدة مدينة جميلة مزودة بالتحصينات والاستحكامات وبجميع المرافق التي تتميز بها المدن العظيمة، ويعسكر فيها أكثر من عشرين ألف جندي، ويحكمها باعتبارها دولة ذات سيادة رئيسها «أبوسعيد» ولقب الأمراء بالسادة والوزراء بالمستشارين، وكانت المعاملات التجارية تتم عن طريق قطع من الرصاص توضع في سلال أو أكياس يضم كل كيس ٦٠٠٠ درهم، ويمنع تصدير هذه النقود إلى الخارج، وحينما يتقدم المواطنون إلى رجال الدولة يخاطبهم الأمراء بلهجة تتسم بالاحترام والرقة.

وتنتج الأحساء نوعاً من الفوط تصدر إلى البصرة، ويباع فيها كل أنواع لحوم الحيوانات كالبقر والخراف، وهم يعرضون رأس الحيوان المذبوح وجلده أمام اللحم حتى يعرف الناس نوع اللحم الذي يشترونه، وكان الناس يربون الخراف حتى تسمن لدرجة أنها لاتستطيع الحركة فيتم عند ذلك ذبحها، ولم يكن السكان يتعاطون المسكرات.

وفي الوقت الذي كان فيه ناصر خسرو في الاحساء - رأي أن لدى الأمراء ثلاثين ألف (٣٠ألف) عبدزنجي أو حبشي استخدموا في ادارة الزراعة والحدائق، ولم يكن الأهالي يدفعون الضرائب - بل إن الدولة تقدم المعونة لكل مواطن فقير أو عليه دين بدون فوائد إلى أن تتحسن ظروفه، أما الوافدون إليها من الغرباء فإن كل غريب يزور الأحساء يجيد حرفة تجارية تقدم له مساعدة مالية لاستغلالها في تلك الحرفة إلى أن يضمن لنفسه مورداً يعيش منه، كما يمكنه شراء ما يلزمه من معدات وأدوات لحرفته إذا رغب في ذلك، وكذلك يمكنه ألا يسدد السلفة التي صرفت له، وإذا تعطل معمل وكان صاحبه عاجزاً عن إصلاحه- فإن الوالي يأمر خدمه وعبيده لإجراء الإصلاح اللازم دون أن يدفع صاحب الحرفة أو البيت التكاليف المصروفة.

وكانت الدولة تملك بعض المصانع ، كما أن عمليات طحن الدقيق كانت تؤدي مجاناً للمواطنين مع تحمل الحكومة أجور العمال والصيانة .

أما عن الجانب الزراعي ، فيذكر أن الاحساء كانت مليئة بأشجار البلح إلى الحد الذي قدم جزء منه كعلف للحيوانات لتسمن ، وأن في شمالها وقعت القطيف التي تنمو أشجار النخيل بها بكثرة .

وفي كتاب «مسالك الممالك للأصطخري» ت٣٤٦هـ (٩٥٧م) يذكرها على أنها البحرين فيقول : أما البحرين فإنها من ناحية نجد ومدينتها هجر ، ألا أنها ليست من الحجاز وهي على شط بحر فارس ، وديار القرامطة ، ولها قرى كثيرة ، وفيها قبائل من مضر ذوو عدد قد احتفوها ، وفي بطن بحر فارس توجد جزائر منها : لافت وخارك وأوال[١] وغيرها من الجزائر المسكونة ، وبها مياه عذبة وزرع وضرع وأكثر تموراً من غيرها .

أما المسعودي ت٣٤٦هـ (٩٥٧م) فيذكر في المروج عن بحر فارس أن أوله خشاب البصرة إلى عمان مسافة ٣٠٠فرسخ وعليه : ساحل فارس وبلاد البحرين ، ومن عمان وقصبتها سنجار إلى المسقط وهي قرية يستقي أرباب المراكب من أبارها العذبة ، ومنها إلى رأس الجمحمة[٢] وهو آخر بحر فارس .

وفي أحسن التقاسيم للمقدسي ت٣٨٠هـ (٩٩٠م) يذكر البحار السبعة أنها : القلزم - بحر اليمن - بحر عمان - بحر مكران - بحر كرمان - بحر فارس - بحر هجر ، وأن من سار إلى هجر وعبادان لابد له من بحر فارس وكرمان وأما «الشريف الأدريسي» ت٥٦٠هـ (١١٨٢م) فيذكر في «أنس المهج وحدائق الفرج» الطريق في

---

(١) لافت Laft هي قشم وخارك Kharak هي خارج ، وأوال Awal هي البحرين اليوم .

(٢) يسميه ياقوت الجمحمة : سن خارج في البحر بأقصى عمان بينها وبين عدن يسميه البحريون رأس الجمحمة ، له عندهم ذكر كثير فانه مما يستدل به راكب البحر إلى الهند والآتي منه .

الخليج، أنه من الخشبات إلى مدينة البحرين في شاطئ العرب ٩٠ فرسخاً، ومن أوال الجزيرة إلى جزيرة أبرون - (أبرين - يبرين) ١٧ فرسخاً، ومن أبرون إلى جزيرة (حرّ) ٧ خراسخ وإلى جزيرة كيش ٧ فراسخ ومنها إلى بر العرب.

وقد ذكرها «الطبري» بأن اليمامة تقع في صحراء تضم عدداً كبيراً من المناطق التي تسمى إحداها الحجر والأخرى الأحساء بالإضافة إلى سبع أو ثماني مدن أخرى كان القرامطة يحتلونها.

وذكر أبوالفداء الجغرافي ١٣٢١م أن الأحساء في عهده تضائلت أهميتها، وأنها بلدة صغيرة وخالية من الأسواق، وحدد موقعها على بعد مسيرة يومين غرب جنوب القطيف، كما ذكر أنها محاطة بأشجار النخيل من جميع الجهات مثل غوطة دمشق، وأنها تنمو على الساحل في القطيف وإنْ كانت أقل من نخيل الأحساء، وأن فيها مناطق استخراج اللؤلؤ. كما زارها ابن بطوطة الذي عبر الخليج من سيراف، فذكر القطيف وأن قبائل عربية تقيم فيها، وسكانها عرب ينتمون إلى عبد قيس بن الأفصى. وعن الأحساء رأي أن النخيل فيها أكثر من أي بلدة أخرى حتى إنهم يطعمون منها الحيوانات.

وفي «نخبة الدهر» يذكر «شمس الدين الدمشقي» ت٣٢٧هـ (١٣٢٧م) الأقاليم في العالم، وأن الإقليم الثاني فيه من الشرق بلاد الصين والهند، جزيرة سيلان، جاوه، الملتان، ثم على بحر فارس إلى عمان ونجران وهجر والبحرين والبصرة واليمامة، ومهرة وسبأ ومكة - شرفها الله - والمدينة.

ويصف بحر فارس بقوله: إنه بحر مبارك مأمون كثير الخير، اضطرابه أقل من سائر البحار، فيه مغاص اللؤلؤ الصافي والدر الجيد، ومعادن العقيق والذهب والفضة والحديد، وأنواع الطيب والبهار، ويكون مده وجزره مع طلوع القمر وهو مثلث الشكل على هيئة القلع، أحد أضلاعه من البصرة إلى رأس الجمجمة

من بلاد مهرة، والآخر من البصرة إلى تيز مكران، والثالث من رأس الجمحمة يمتد على سطح البحر حيث يبتدئ من تيزمكران إلى أن ينتهي إلى الأحساء والقطيف والبصرة، ومن جزره: خارك، قيس، أوال بساحل بلاد البحرين.

وفي تقويم البلدان - أبوالفدا١٣٣٢ - يقول عن القطيف: إنها بلدة بناحية الأحساء على شط بحر فارس، لها مغاص في شرقي الأحساء بشمال على نحو مرحلتين، ولها نخيل دون نخيل الأحساء، ولها سور وخندق وأبواب، والبحر إذا مد يصل إلى سور القطيف، وإذا جزر ينكشف بعض الأرض، ولها خور من البحر تدخل فيه المراكب الكبار - وبينها وبين الأحساء مسيرة يومين، وبينها وبين البصرة مسيرة ستة أيام، وبينها وبين كاظمة أربعة أيام، وبينها وبين عمان مسيرة شهر، وهي قريب «سلمية» في القدر وأكبر من الأحساء.

وعن هجر يقول: «بلاد البحرين هي هجر في نهايتها الشرقية الشمالية، وإنما سميت هجر بالبحرين، لبحيرة بها عند الأحساء وبالبحر المالح - وهجر اسم يشكل جميع البحرين كالشام والعراق، فليس هو مدينة بعينها.

وفي العصور الحديثة:

ذكر «رافع الطهطاوي» في التعريبات الشافية ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ) أن الاحساء أو هجر على الشط الشمالي من الخليج، فإذا نزلت من هضبة بلاد العرب وصلت إلى بلاد هجر - حيث ينتهي إقليم هجر جهة الغرب بالخليج الفارسي، وحكامه من قبيلة بني خالد إلا أن الوهابيين تغلبوا عليهم.

ومدينة الأحساء في هذا الأقليم مدينة عظيمة على نهر عطشان أو عشطان، وهي بندرة - حتى إنه يقال عن إقليم هجر في بعض الأحيان، أقليم الأحساء. ومن هذا الإقليم مدينة قطيف، جميع أهلها غواصون يستخرجون الدر من البحر فمنهم من يستخرجه لنفسه، ومنهم من لاقدرة له على المصرف فيستخرجه لغيره من التجار بالأجرة.

كما يشاهد فيها آثار قلعة «برتوغالية». ومن مدن هجر: مدينة «قويط» وأهلها غواصون وصيادون للسمك على شط جزائر البحرين. ويقال إنهم عشرة آلاف، وأرضها كثيرة النخيل والأرز والقطن والسوسن والفاغنية وهي «نور الحناء» - ولكن حينما تهب الريح يتحرك الرمل ويضر ببقاع كاملة منها.

ومن بلاد هجر، جزائر البحرين الموضوعة على الخليج الفارسي بقرب بر العرب، يكثر بسواحلها الدر، وأرضها غير صالحة للزراعة، وشجرة التمر هندي الصغيرة في غيرها تكون عظيمة فيها.

ويقول «اسماعيل سرهنك» ١٩٤٣م (١٣٦٣هـ) في «حقائق الأخبار عن دول البحار» عن القطيف: هي ببلاد الاحساء ويقى لها في خليج العجم جزائر البحرين، وبها مغاص لؤلؤ ليس له مثيل في العالم.

أما «اسماعيل علي» ١٩٠٣م فيتحدث في «النخبة الأزهرية» عن المعادن في المنطقة فيقول: أما بالخليج الفارسي فمغاص اللؤلؤ بنواحي عمان والحسا والبحرين.

وعمر رضا كحالة - دمشق ١٩٤٤ يتناول في جغرافية شبه جزيرة العرب، الساحل الشرقي لشبه الجزيرة - بأنه يبدأ من الشمال بحدود الكويت الشمالية التي تبدأ من أم قصر إلى سفوان مارة قرب جبل سنام إلى الباطن وينتهي في سلطنة عمان، ويحتوي على مناطق الكويت، الأحساء، البحرين، قطر، والقسم الشرقي من سلطنة عمان، وأن طبيعة تربة القسم الشمالي من خليج الكويت خصبة، وأما تربة القسم الجنوبي فبعضها رملي وبعضها طيني، وهي على العموم مقفرة وخالية من الزراعة. وعن مدينة جرّة: القطيف، يذكر أنها كانت على الخليج الفارسي مبنية بأحجار الملح، وهي الآن مدينة قطيف، والظاهر أن الأقدمين كانوا يسمون الكهرباء «حجر أروما طيق» أي حجر العطر أو البهار،

وماسمي بالزمرد الأعرج، وقد نسب إلى تلك البلاد، وقيل أنه في مدينة «أيوبة» فلعله هو «حجر الديالاج» (الحجر الأزرق الطوباز).

ويذكر عن الواحات فيؤكد أن أعظمها كان بالأحساء وأكثرها زرعاً وخيرات، ومثلها واحة القطيف الواقعة مقابل الجزيرتين تاروت ودارين.

وعن حدود الأحساء يقول: تطلق الأحساء اليوم على المنطقة الممتدة على الساحل الغربي من «خليج فارس» من حدود الكويت الجنوبية إلى حدود قطر وعمان وصحراء الجافورة، ويحدها من الغرب الصمان.

وتشكل سبخة مطي Mati – وهي الحزام المستنقع العريض – الحدود الجغرافية بين عمان والأحساء، فالأحساء كانت حدود عمان القديمة، ويمر طريق من البريمي إلى الأحساء عبر منطقة السبخة قرباً من البحر ثم يتجه شمالاً، وتستغرق الرحلة من ٢٠ إلى ٢٥ يوماً، وينظر العرب إلى البريمي على أنها فاتحة الطريق إلى الأحساء ونجد فيعتبرونها ضرورية في موقعها القوي في حالة حدوث أي غزو على عمان من ذلك الاتجاه – وأن «الجو» هي المنطقة التي تقع فيها البريمي، تشكل الجزء الشمالي الغربي من إقليم الظاهرة.

أما المستشرقون فكان لهم رأيهم عن المنطقة أيضاً، فقد ذكر «كرنيليوس فان ديك» في (المرآة الوضية) – بيروت ١٨٨٦ عن القطيف: أنها على شط خليج العجم من الأحساء، وفيها مغاص اللؤلؤ، ونخلها دون نخيل الأحساء، وبينها مسيرة يومين، وبينها وبين كاظمة أربعة أيام، ويقربها في الخليج جزائر البحرين، بها مغاص اللؤلؤ ليس مثلها في العالم، أما «كاظمة» فعلى شط خليج العجم إلى الجنوب من الأبلّة.

ويتحدث عن جبل العارض أنه ممتد شمالاً وجنوباً، وطرفه الجنوبي متصل ببلاد اليمن بقرب صعدة ثم يمتد شمالاً إلى قرب خليج العجم، وعلى هذا الجبل

تستقر مدينة هجر واليمامة، وفيها نخيل كثيرة وعيون جارية.

وقل وصل المغامر «سنت جون فلبي» المعروف بالحاج عبدالله، إلى الهفوف التي هي مدينة في الاحساء في عام ١٩٣٢م وقطع الربع الخالي من الشرق إلى الغرب في تسعين يوماً، وقد ذكر القرامطة في كتابه أنهم تمكنوا بزعامة «أبوسعيد الجنابي» أن يؤسسوا دولة مستقلة على شواطئ خليج فارس الغربي ٨٩٩م وأتخذوا الأحساء قاعدة لدولتهم وتحصنوا بها فأصبحت أساس قوتهم ومصدر رعب للخلافة في بغداد.

وفي ختام هذا العرض السريع لأقوال ومشاهدات هؤلاء الكتاب والرحالة والجغرافيين، يمكننا أن نقدر أهمية المنطقة تاريخياً واقتصادياً وإجتماعياً منذ القرون الطويلة التي عاشتها وحتى العصور الحديثة.

الباب الثاني

تطور الأحوال السياسية
في العصور الوسطى ودور الأحساء
في أحداث العالم الإسلامي

الفصل الخامس

أدوات الأتصال والتواصل بين الأحساء والدولة الإسلامية

على الرغم من أنه كان لشبه جزيرة العرب مكانتها المميزة في التاريخ منذ قديمه حتى حديثه أكدتها أحداث وعوامل متعددة إلا أنه يتكرر القول أن معظم فترات التاريخ فيها غامضة وليست واضحة .

فعلى الرغم من أن أقدم الحضارات الإنسانية نبعت فيها ، وكانت خزينة بشرية هائلة ، أمدت تلك الأماكن بالموجات البشرية منذ أقدم العصور ، وموطناً للسامين الذين إنطلقت هجراتهم منها إلى بلاد الشام والرافدين ومصر ، فأسسوا ممالك وإمبراطوريات كبرى فيها ، كما أسست شعوبها حضارات مميزة في اليمن وحضرموت والبحرين (الأحساء) وماكان لتوسط موقعها بين قارات ثلاثة رئيسية في العالم من ميزة خاصة ، دفع بأهلها لركوب البحر والاتجاه شرقاً وغرباً وجنوباً متصلين اقتصادياً بدول وممالك وشعوب بعيدة عن مواطنهم - أضحت مركز الإسلام ومهده ومقراً لنشوء الدولة الإسلامية وتطورها ، وما أعقبها من اجتهاد أهلها في نشر الدين الإسلامي في المناطق المجاورة والقاصية هادفة تحرير الإنسان فيها .

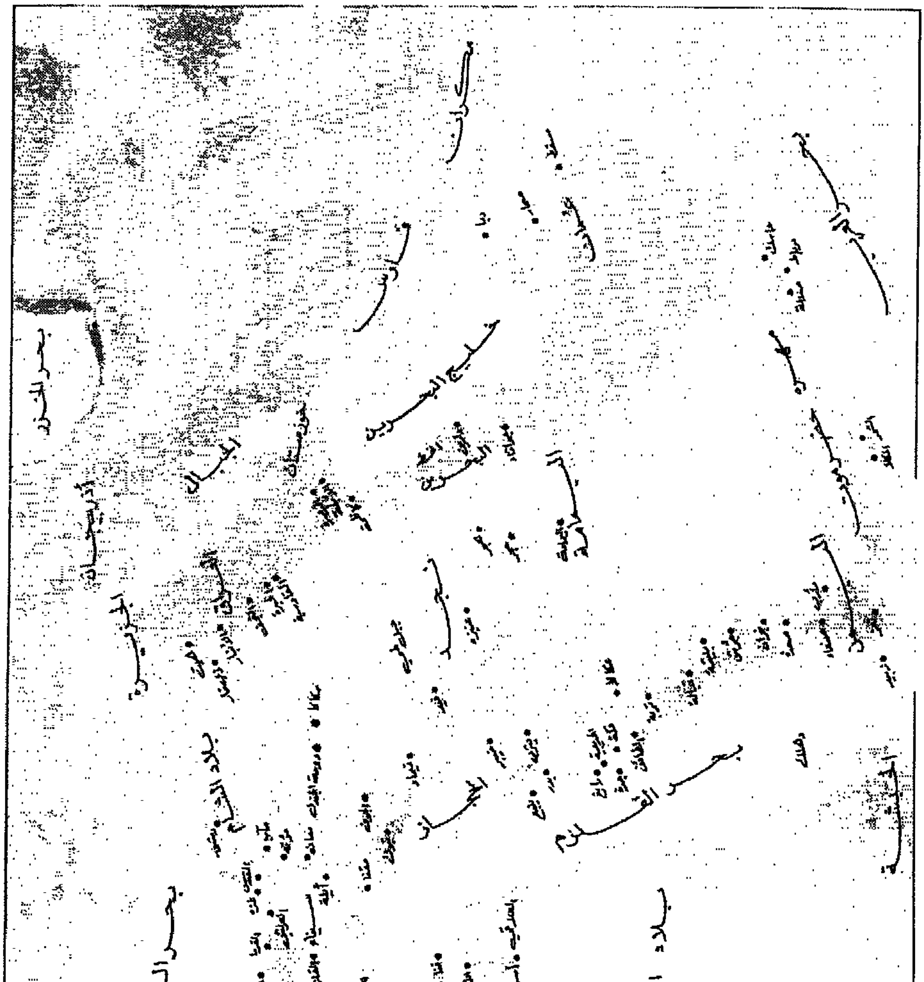
على الرغم من كل ذلك - فانه يتكرر الحديث غالباً عن دورها الغامض ، وحياتها المغلقة ، والتساؤل عن مكانها المجهول في التاريخ ، ويرجع الكتاب

والمؤرخون ذلك عادة إلى: عدم توافر المصادر التاريخية المعتمدة، أو قلة ما كتب عنها المؤرخون، أو انشغال العالم الإسلامي عنها فترة طويلة من الزمن بسبب ظروفه السياسية المعقدة، أو أن المعلومات التاريخية عن الصلات الخارجية للأحساء خلال العصر الإسلامي متواضعة.

وفي الحقيقة إن دور الجزيرة العربية في الأحداث التاريخية العالمية ليس غامضاً أو مجهولاً كما قيل ويذكر - بقدر ماكان إهمالاً من جانب الحكام والقادة في رعايتها والإعتناء بأفرادها وشعوبها، إذ إن دورها معلوم، وأحداثها معروفة ومشهورة في كتب التاريخ تناولها الكتاب والمؤرخون في صفحات متناثرة تحتاج إلى الجمع والتنظيم والتنسيق، بالإضافة إلى وجوب إهتمام الكتاب بالدراسة والبحث عن أخبارها وشئونها ثم تسجيلها في الكتب والمراجع.

فقد عرف عن المنطقة أن شعوبها أسست ممالك ودولاً فيها منذ أقدم الأزمنة، كما اشترك أبناؤها في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعرفت ديارهم، وفي الزمن الإسلامي قدمت وفودهم على النبيﷺ في المدينة وكتب إلى عمالهم وشعوبهم، كما أن الخلفاء الراشدين تعرفوا عليها وعلى أهلها واشتركوا معهم في حروبهم وفتوحاتهم وفي الثورات الداخلية والخارجية التي حدثت في مواطن متعددة، كما تناول أخبارها كبار الكتاب من العرب والأجانب منذ الأزمنة القديمة، وزارها الرحالة العرب والأجانب منذ تلك الفترات البعيدة، واحتكوا بشعوبها وعرفوا تقاليدهم وعاداتهم، كما قدم اليها المكتشفون الأجانب والمغامرون والمستعمرون في القرون الحديثة، فحاربوا في أراضيها وجنباتها ومدنها.

إن ما قيل عن ندرة المعلومات عن تاريخ المنطقة خلال فترة الدولة الاسلامية منذ قيامها في المدينة المنورة بسبب ما جرى فيها من أحداث، كان لها تأثيرها في ضياع جزء كبير من المعلومات عن وقائع تاريخ المنطقة، هو ما أدى الى القول في



بحر الخزر
أذربيجان
الجزيرة
بحر الروم (المتوسط)
بلاد الشام
العراق
الجبال
خوزستان
فارس
كرمان
خليج البحرين
البحرين
نجد
اليمامة
عمان
الحجاز
مصر
بلاد النوبة
بحر القلزم
اليمن
حضرموت
مهرة
بحر العرب
الحبشة

معظم الاحيان أن الجزء الشرقي من الجزيرة العربية لا تتضح معالمها وأخبارها في تلك الفترة ، مع العلم بأن السبب في ذلك يرجع الى عدم اهتمام الحكام والقياديين في الدولة الاسلامية بها واهمال شئونها وعدم الاعتناء بأفرادها ، فلا يعود ذلك الى ضعف المنطقة أو قلة امكاناتها البشرية والمادية ، فاذا قيل إن الاحساء لم تكن لها أهمية في العالم الاسلامي ، أو لم يكن لها دور إيجابي في الأحداث خلال تلك الفترة ، أو إن المعلومات عنها كانت قليلة وربما نادرة ، فإن ذلك في الحقيقة لا ينطبق على واقعها ، ويصبح أساسه من الصحة ضعيف .

إن الأحساء في الواقع كانت على اتصال دائم ومستمر منذ منذ بداية ظهور الاسلام في الجزيرة العربية بالدولة الاسلامية الى انتهاء دورها كجزء تمتع بالاستقلالية ، في بدايات القرن العشرين . وقد تركز ذلك الاتصال عن طريق وسائل وقنوات رسمية وشعبية أكدت دورها الفعال في المشاركة مع الدولة الاسلامية وشعوبها سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا ، اذ ان الأهالي فيها شاركوا المسلمين بالحجاز في كل خطواتهم واجراءاتهم وسياساتهم منذ اللحظة الاولى لظهور الاسلام ، وتشابهت الاحوال والأحداث فيها مع بقية أجزاء العالم الاسلامي وما يجري فيها ؛ فقد كانت ثاني منطقة تدخل الاسلام بعد المدينة المنورة . ويمكننا التعرف على أدوات الاتصال ووسائل المشاركة فيما سنتناوله في هذا الفصل .

وقد حددنا معالم ذلك في النواحي التالية :

١ - **أساليب التواصل أيام الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين.**

٢ - **الثورات والانتفاضات في العهود الاسلامية .**

٣ - **تأسيس الدول والممالك المستقلة في المنطقة.**

٤ - **بيان أحوال العالم الاسلامي فيما بين القرنين (٧م و ١٦م).**

أولاً : في أيام الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين: وقد تم التواصل بين الجانبين في هذه الفترة بالادوات والوسائل التالية :

- **معرفة الرسول ﷺ نفسه بالمنطقة.**
- **قدوم الوفود اليه ﷺ من زعماء المنطقة للتعرف على قائد المسلمين، والاعلان عن تقبلهم للاسلام.**
- **المراسلات المتبادلة بينه ﷺ وبين روءساء المنطقة.**
- **اختيار مندوبين منهم للعمل في إدارة الرسول ﷺ.**
- **تعيين الولاة والحكام للعمل كزعماء للمنطقة مسئولين أمام الحكومة الاسلامية.**
- **بروز محدثين وعلماء وكتاب وشعراء في المنطقة .**
- **اشتراك الولاة والأهالي في الفتوحات الاسلامية .**
- **الاتصال التجاري ، بدعم ميزانية الدولة وانعاش اقتصادها.**
- **انتشار المذاهب الاسلامية والتشيع خاصة.**

ومما ذكر من أخبار قيمة في التاريخ ، أن النبيﷺ كان له معرفة مسبقة بالمنطقة وعن الأحساء بالخصوص ، وبدأ ذلك واضحا من محادثاته مع رءوساء الوفود التي قدمت اليه من الأحساء لتقديم الولاء والطاعة له ﷺ واعلان تقبلهم للدين الاسلامي . ففي أثناء الحديث الذي جرى بين النبي ﷺ والمنذر بن عائذ زعيم وفد عبد القيس أوضح النبي ﷺ معرفته التامة بهم بقوله (إني وطئت بلادكم وفسح لي فيها) ثم شرح بالتفصيل معالم مدينة الاشقر حينما ذكرت أمامه (فوالله لقد دخلتها وأخذت أقليدها[1] ، ووقفت على عين الزارة) الامر الذي

(١) أي المفتاح . وهي يمانيه .

يدل أنه ورد تلك السوق الشهيرة وأنه كان على علم بقرى البحرين والاحساء. وقد جاء في الاخبار أنه ربما قدم اليها لاغراض تجارية وأن الاحساء أو البحرين كانت جزءا من رحلاته التجارية التي كان يقوم بها أثناء عمله لصالح أموال السيدة خديجةعليها السلام.

ويذهب اخرون الى أبعد من ذلك بأنه ربما كانت الاحساء هى المكان الذي تلاقى فيه الرسول ﷺ مع «بحيرا العبدي» الراهب، حينما كان مع عمه " أبي طالب" في الطريق الى تجارة الشام ، أى أن رحلته الى الشام أخذت طريق الاحساء ، فأقام بها حينما نصحه الراهب بالبقاء حتى عودة عمه من الشام ، ومن ذلك تمكن في فترة الانتظار هذه من التعرف على أماكنها بدقة أوضحتها أحاديثه مع الوفود التي قدمت لزيارته من الاحساء . وفي أقوال أخرى ذكرت في هذا المجال أن «المنذرين عائذ الاشج» كان صديقا لراهب يجتمع به في دارين ، فتعلم منه معلومات قيمة عن الانبياء وبظهور النبي ﷺ خاصة : مما دعا المنذر لأن يرسل أفرادا الى الحجاز للاستفسار عن صدق نبوته ورسالته .

ولما كان الراهب قد أخبره أن نبيا يخرج بمكة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، وبين كتفيه علامة وأنه يظهر على الاديان ، فأن الاشج بعث عمرو بن عبدالقيسى ابن أخته الى مكة ومعه تمر هدية للنبي ﷺ للاستعلام عن مدى صحة تلك المواصفات، وحينما تأكد منها أسلم، فعلمه النبى ﷺ القرآن فرجع الى بلاده داعيا الى الاسلام، ثم تزعم الاشج وفد أهل هجر مع اثنى عشر رجلا أسلموا جميعا عند الرسول ﷺ . وقد تسابق أهالي المنطقة الى زيارة الرسول ﷺ عندما علموا بظهوره ودعوته فدخل أغلبهم في الإسلام، متقبلين الدين الجديد، ومن أبرز من وفد عليه ﷺ من الأحساء.

- الجارود العبدي: سيد عبدالقيس، إذ حضر في وفد عام ١٠هـ وأسلم بعدما كان نصرانيا وقد أبدى النبي ﷺ فرحه لإسلامه(١).

- مجاعه بن مرارة: من بكر بن وائل، وكان شريفاً جاء في وفد بني حنيفة.

- عبدالله بن عوف الأشج، وقيل إن اسمه: المنذر بن الحارث أو المنذر بن عائذ الأشج، كان على رأس وفد أهل البحرين إلى البني ﷺ الذي رحب بهم بقوله: نعم القوم عبدالقيس، وقد استضافهم عشرة أيام كان يسأل فيها النبي ﷺ في الفقه والقرآن. وكان النبي ﷺ يدنيه إلى جانبه في المجلس، وفضله في الجوائز التي منحها لأعضاء الوفد، كما أنه ﷺ امتدحه بقوله: (فيك خصلتان يحبهما الله: الحلم والأناة).

- صحار بن عباس العبدي: وقد سأل النبي ﷺ عن المسكرات فنهاه عنها.

- طَلْق بن علي الحنفي: أمره الرسول ﷺ وقومه بأن يبادروا إلى كسر البيعة. الكنيسة - الموجودة في بلدهم وينضحوا مكانها من الماء ويتخذوها مسجداً ففعلوا وأدوا الصلاة فيها. كما أنه اشترك مع الرسول ﷺ وأصحابه في بناء مسجده.

أما بالنسبة إلى الجانب الإداري في الدولة، فإن الرسول ﷺ بعث بولاته إلى المنطقة حينما دخل أهلها في الإسلام وأصبحت واحدة من المقاطعات الإسلامية التابعة للمسلين، وكان أشهرهم «العلاء بن عبدالله الحضرمي» الصحابي الذي ولاه على البحرين في (٨هـ) وقيل إنه كان على القطيف، وأبان بن سعيد كان على الخط، ثم عينه عاملاً وقائداً عسكرياً هناك.

---

(١) أبومحمد عبدالملك بن هشام: سيرة النبي ﷺ، ج٤، ص١٨٦.

وهناك من يؤكد أن المنذر بن ساوي كان هو الوالي أيام الرسول ﷺ وأن العلاء عُيّن كمرشد وقائد للجيش الذي قدم لحماية البلاد، ثم أصبح والياً أيام أبي بكر. كما أن أبان بن سعيد عمل حاكماً من قبل الرسول ﷺ حينما علم بحبه العلوي، فقد كان علوي الهوى أموي النسب، فولاه البحرين بدلاً من العلاء الذي اضطربت الأحوال في عهده، مما كان له أثره في تهدئة الأمور. وقد ذكر أنه اعتزل الولاية أيام أبي بكر فرجع إلى المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة، واشتغل كذلك «ثمامه بن أثال» عاملاً للرسول ﷺ على هجر واليمامة، حيث كان قد ملك اليمامة على عهده ﷺ[1]. ومن زاوية إدارية أخرى، فإن النبي ﷺ كان لديه عدد من المندوبين يستخدمهم في إيصال الرسائل إلى الجهات المختلفة، فاختار عدداً من شخصيات المنطقة كمبعوثين ورسل من طرفه لأداء مهمات رسمية إلى مناطق خارج الدولة الإسلامية، واشتهر من هؤلاء:

العلاء الحضرمي: الذي عد واحداً من كتاب الرسول ﷺ والمندوب النبوي طوال عهده إذ أنه كان ضمن من يعرف الكتابة من أهل قريش الذين كانوا بضعة عشر رجلاً أكثرهم من الصحابة، وخرج من هؤلاء كتاب الدواوين وكتاب الرسائل والقرآن، ولما أعجب الرسول ﷺ بعقله وشجاعته، بعثه إلى المنذر بن ساوي أمير البحرين يدعوه للدخول في طاعة المسلمين.

سليط بن عمرو العامري: وهو أحد رسل النبي ﷺ الذين بعثهم إلى الملوك في عام (٦هـ) فقد أرسله إلى هوذة بن علي الحنفي أمير اليمامة.

ومن المعروف أن النبي ﷺ قد أتصل بالأحساء عن طريق المبعوثين والرسل، حين بعثهم برسائل وكتب إلى زعماء المنطقة مبيناً المنهج الإسلامي ومبادئ

(١) أبو محمد عبدالملك بن هشام: المرجع السابق، ج٤، ص٢٤٦.

الدين، والخطط التي ينبيغ عليهم السير عليها في معاملة الأهالي في دعوتهم لاعتناق الدين الإسلامي.

ومن أهم كتبه التي بعثها لأهل هجر:

كتابه ﷺ إلى اسيَبخْت بن عبدالله[1] صاحب هجر وعامل كسري: (أوصيك بأحسن الذي أنت عليه من الصلاة والزكاة وقرابة المؤمنين، وإني قد سميت قومك «بني عبدالله»، فمرهم بالصلاة وبأحسن العمل وأبشر. والسلام عليك وعلى قومك).

وكتب «المنذر بن ساوي» عامل كسرى على البحرين إليهﷺ بشأن الشعوب والأديان في أرضه: (أما بعد يارسول الله فإني قد قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود فأحدث في ذلك أمرك). فرد عليه النبيﷺ موضحاً موقفه من مجوس أهل هجر: (أعرض عليهم الإسلام فإن أسلموا فلهم مالنا وعليهم ماعلينا، ومن أبي فعليه الجزيه في غير أكل لذبائحهم والنكاح لنسائهم).

وكان النبي ﷺ قد كتب إلى المنذر كتاباً مفصلاً في معاملة المسملين وإدارة البلاد: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي. السلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله ومحمداً رسول الله، أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فأترك للمسلمين، ماأسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فأقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن

---

(١) وهي فارسية تعني سي بخت أوسه بخت. (أي ثلاثين خظ أو ثلاثة حظوظ) فيكون اسمه ذو الثلاثين حظ

أقام على اليهودية أو المجوسية فعليه الجزية).

كما كتب ﷺ إلى أهل هجر البحرين وهي الأحساء، يدعو مجوسهم إلى الإسلام، فمن أقبل قبل منه ومن أبي ضربت عليه الجزيه على ألا يؤكل لهم لحم وذبيحه ولاتنكح لهم امرأة.

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله إلى أهل هجر:

سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لاإله إلا هو، أما بعد فإني أوصيكم بالله وبأنفسكم ألا تضلوا بعد إذ هديتهم، وألا تغووا بعد أن رشدتم، أما بعد فقد جاءني وفدكم فلم أت اليهم إلا ماسرهم، وإني لوجهدت حقي فيكم كله أخرجتكم من هجر، فشفعت غائبكم وأفضلت على شاهدكم، فأذكروا نعمة الله عليكم، فإذا جاءكم امرائي فاطيعوهم وأنصروهم على أمر الله وفي سبيله).

وكان الرسول ﷺ قد كتب إلى العلاء الحضرمي أن يقدم عليه بعشرين رجلاً من عبدالقيس، فقدم عليه بهم وعلى رأسهم «عبدالله بن عوف الأشج».

كما أن النبي كتب رسائل إلى: هوذة بن علي شيخ اليمامة، وثمامه بن أثال رئيس اليمامة، وإلى قبيله عبدالقيس في البحرين قائلاً في مقدمته: (هذا كتاب من محمد رسول الله لعبد القيس وحاشيتها من البحرين).

أما في العصر الراشدي:

فقد استمر ذلك الإتصال والتواصل بين خلفاء الدولة الإسلامية وبين الأهالي في الأحساء وزعمائها إذ لم ينقطع ذلك الأتصال، فقد عين كل خليفة منهم ولاة من قبلهم يديرون شئون البلاد والعباد، كما كان الحال أيام الرسول ﷺ. ومن أشهر هؤلاء في هذه الفترة:

- أبو هريرة، عبدالرحمن بن صخر الدوسي: الذي استعمله عمر بن الخطاب على البحرين في ٦٤٠-٦٤٢م ثم عزله بعد فترة.

- الحارث بن أبي العاص الثقفي، وعثمان بن أبي العاص، وقدامة بن مظعون.

أما في أيام الإمام «علي بن أبي طالب» عليه السلام فقد تولى الأحساء والبحرين كل من: النعمان بن العجلان الأنصاري، وعمرو بن أبي سلمة المخزومي، ربيب الرسول ﷺ وابن أم سلمة زوج الرسول ﷺ، وسبرة بن عمرو العبدي في ٦٥٦م، وقثم بن عباس بن عبدالله بن عبدالمطلب في ٦٦٠م.

كما أن الخلفاء كانوا يتصلون بالأهالي بمكاتبتهم للإستعلام عن الأمور السياسية والإدارية فيها. فقد كان الإمام علي عليه السلام يكاتب عماله وولاته للقدوم إليه للمساعدة في حروبه أمام معاوية والخوارج، فكتب إلى عامله في البحرين «عمرو بن أبي سلمة المخزومي» (إني قد وليت النعمان بن العجلان البحرين بلا ذم لك، فأقبل غير ظنين وأخرج إليه من عمل ماوليت به، فقد أردت الشخوص إلى ظلمة أهل الشام وبقية الأحزاب، فأحببت أن تشهد معي لقاءهم، فإنك ممن استظهر به على إقامة الدين ونصر الهدى، جعلنا الله وإياك من الذين يعملون بالحق ويعدلون).

كما أنه عليه السلام كتب إلى «النعمان بن العجلان» عندما أخذ مال البحرين وذهب به، فكتب إليه مهدداً متوعداً، جعله يحمل المال ويلحق بمعاوية.

كما أن السيدة عائشة زوج الرسول ﷺ كتبت إلى الأمصار تعرفهم موقفها من الفتنة وخروجها على الإمام علي عليه السلام وكان أهل اليمامة من بين تلك الأمصار دعتهم إلى نصرتها والتوجه معها في هذه القضية.

أما عن اشتراك الأهالي في الفتوحات الإسلامية، فقد كان لهم نصيبهم الكبير في أداء الجهاد في سبيل نشر الدين الإسلامي. فقد شارك عدد من ولاة المنطقة وأهاليها في قيادة الجيوش الإسلامية قاصدين فتح آفاق جديدة تتبع ديار الإسلام، فهم اشتركوا في حركات الفتوح قيادة وجنوداً.

ومن أشهر من برز في هذا المجال العسكري: العلاء الحضرمي الذي عمل قائداً عسكرياً في المنطقة – حيث تمكن من عبور مياه الخليج العربي إلى بر فارس فاتحاً الجانب الشرقي للخليج. ولما كان العرب في صدر الإسلام لم يعتنوا بالحروب البحرية لبداوتهم وعدم تعودهم ركوب البحر[1]، فإن عملية العلاء العسكرية البحرية، تعد أول عملية من نوعها في تاريخ المسلمين.

وقد قرر الهجرم على فارس بحراً دون استئذان من الخليفة «عمر بن الخطاب» أو إخباره بتحركاته، مما كان له الأثر في عزله بعدئذ. إذ إن الجيش قد تورط عندما لم يتمكن من العودة بحراً – حيث حاصرهم الفرس وأحاطوا بهم في الطرق، مما جعله يطلب النجدة من العاصمة، فأرسلت إليه قوة كبيرة نزلت الأجزاء الشمالية من الخليج – ربما كانت أجزاء من الكويت – والتقت بالجيش المحاصر فتمكنوا من دحر القوات الفارسية، والتخلص من الأزمة التي وقع فيها الجيش والموقف المحرج الذي وضعوا فيه، وعاد المسلمون بالغنائم بعد أن فقدوا سفنهم – الأمر الذي أغضب «عمر» فعزل العلاء.

كما أن جيش المسلمين بقيادة «خالد بن الوليد» الذي كان قد توجه إلى الأحساء لمساعدة الأهالي في حروب الردة، توجه منها للاشتراك في فتح العراق، وسمع بقدومه الساسانيون حكام الفرس، فأمر كسرى قواده بالتوجه إلى

---

(١) كان العلاء الحضرمي قد عرف «حديثاً» عن الرسول ﷺ، يذكر فضل ركوب البحر جهاداً في سبيل الله، رواه أنس بن مالك، فأراد غزو فارس بحراً.

الكواظم وإلى الحفير، فالتقى بهرمز عند كاظمة في واقعة ذات السلاسل، تمكن المسلمون فيها من الانتصار عليهم في ١٢هـ (٦٣٣م)، وقد عد هذا اللقاء هو الأول بين الفرس والمسلمين.

وانطلقت الجيوش الإسلامية أيضاً من «الزارة Zurazi» لفتح بلاد فارس والهند فقد تم الاستيلاء على «أصطخر» بفارس في هد الوالي «عثمان بن أبي العاص»، واعتبرت تمهيداً لفتح كرمان، كما تم عزو الهند في عهد الوالي نفسه فوصول قرب بومباي وجزيرة سيلان، وغزا كذلك «الحارث بن مرة العبدي» في عهد الإمام علي عليه السلام الهند تطوعاً. كما اشتركوا في غزو الروم عام ١٦هـ.

وممن اشتهر في تلك العلميات العسكرية خارج أراضي الدولة الإسلامية، «الجارود العبدي» الذي اشتهر في فتوحات العراق وفارس كواحد من القادة الشجعان، و«فرات بن حيان العجلي»، الذي بعثه النبي صلى الله عليه وآله لقتال مسيلمة عام ١١هـ، ثم اشترك في فتوحات العراق، و«زياد بن عمرو المنذر» الفقيه الذي كان من أصحاب الإمام علي عليه السلام وتمكن من فتح أرخبيل «حوار[1]» على الساحل الغربي لقطر، وأشجع عبدالقيس الذي اشترك مع الامام علي عليه السلام في حرب الجمل، وميسرة بن مسروق العبسي الصحابي والقائد العسكري الذي شارك المسلمين في حروب المرتدين باليمامة، كما اشتهر «إبراهيم بن الأغلب» مؤسس دولة الأغالبة في تونس ١٨٤هـ، الذي انحدر نسبه إلى بني تميم - حيث دخلت أعداد كثيرة من بطون تميم إلى المغرب ضمن جيوش الفتح.

(١) في معجم البلدان لياقوت: (حوار) ناحية من نواحي هجر يقال لها حوارين أيضاً وسميت بهذا الاسم نسبة إلى أكبر جزيرة هناك وهي حوار.

ومن ذلك يتضح أن أهل الأحساء (البحرين) اشتركوا في العمليات العسكرية التي قامت بها الجيوش الاسلامية لفتح بلدان جديدة تخضع لحكم المسلمين، كما أنهم تورطوا في الحروب الأهلية التي دارت في البلاد الإسلامية أيام الأمويين والبعاسيين، وتدخلوا في تعيين الحكام والخلفاء والوقوف مع هذا وذاك لترجيح الطرف الذي يميلون إليه. فضلاً عن دور التجار والمهاجرين في نشر الإسلام في مناطق شرق آسيا والساحل الشرقي لأفريقيا... الأمر الذي يؤكد وبدون جدال دور المنطقة الإيجابي في سير الأحداث في العالم الإسلامي والتأثير في حياته ومعالمه السياسية.

وإذا تحولنا إلى الجانب العلمي والأدبي - فإن المنطقة هي أفضل من خرّجت عدداً كبيراً من المحدثين والعلماء والفقهاء والأدباء والشعراء شاركوا أخوانهم في بقاع الأرض في نشر الأحاديث والعلوم الدينية ومايلزم الحياة الدنيوية، فقد كانت القطيف والأحساء والبحرين، القاعدة والمنبت في العلوم تتسلم كل منها القيادة في ذلك، وكان للشعر فيها تفوق وأجادة منذ أيام «طرفة بن العبد» إلى زمن «علي بن مقرب الاحسائي».

وممن برز من المحدثين والفقهاء:

على بن شيبان الدؤل بن حنيفة،لذي حدث فيما نقله من بعض أحاديث النبي ﷺ، وطلق بن علي الحنفي، الذي حدث عن النبيﷺ أيضاً. وجارية أبونمران الحنفي، الذي شاهد النبي ﷺ وسأله حول بعض الأمور الدينية ونقل عنه بعض الروايات، وهلال بن سراج بن مجاعة الحنفي، وعكرمة بن عمار العجلي، الذي سمع من القاسم بن محمد وسالم بن عبدالله ونافع مولى عبدالله بن عمر، وطاووس، كما روي عمن سبقه من المحدثين، وأيوب بن النجار اليمامي وعمر بن يونس اليمامي.

أما الشعراء فقد اشتهر منهم:

عبده بن الطبيب التميمي، من شعراء عبدالقيس المخضرمين، وجرير بن عطية بن حذيفة الخطفي، الذي كان أشعر أهل عصره، فقد ظهر عليهم جميعاً إلا الفرزدق والأخطل، والعباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي (أبو الفضل) قال عنه البحتري: «إنه أغزل الناس - حيث كان شاعراً رقيق الغزل»، وطرفة بن العبد وأخته الخرنق بنت بدر، وميمون بن قيس بن جندل من بكر بن وائل، الذي عد من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات، مدح الرسولﷺ في قصائده، كما اشتهر هوذة بن علي بن ثمامه كشاعر وخطيب أدرك الإسلام إلا أنه لم يسلم.

ومن الشاعرات عرفت عنان الناطفيه، جارية من مولدات اليمامه، كانت شاعرة جميلة ومليحة الأدب والشعر، لها أخبار مع العباس بن الأحنف ومع أبي نواس، قيل إن هارون الرشيد اشتراها بـ ٢٥٠ ألف دينار.

كما برز من الشعراء الشيخ جعفر الخطي الذي عاش بين القطيف والبحرين حين هجرها إلى البحرين ثم إلى إيران، فكان يذكر سيهات، القطيف عنك، نبكات ومرابع الخليج والحياة البرية والبحريه، حيث كانت القطيف مولده وبلده الأول.

أما عن وجود التشيع والشيعة في الأحساء وإنتشار المذاهب الإسلامية، فان معظم الرواة يذهبون إلى أن التشيع بدأ فيها وفي البحرين منذ ظهور القرامطة والإسماعيلية، ثم أصبح السكان إماميين جعفريين، كما ذكرت أقوال أن قبائل ربيعة البحرانية تحولت إلى المذهب الشيعي في القرن ١٧م بعد جلاء القوات البرتغالية وإحتلال الفرس للبحرين، أو في عهد القرامطة الذين تمكنوا من البلاد في القرن (١٠م).

فتقول الروايات إن «يحيى بن المهدي» قدم البحرين في (٢٧٨هـ) وهي الفترة التي تغيب فيها الإمام المهدي المنتظر عليه السلام آخر الأئمة الاثني عشر، وبشر أهل القطيف بغيبة الإمام عليه السلام وظهوره، فدعاهم إلى مناصرته إذا ظهر أمره. الأمر الذي يدل ويؤكد على أن سكان المنطقة كانوا شيعة قبل ظهور القرامطة، فقد اعتنقوه مذهباً منذ أيام الرسول صلى الله عليه وآله وفي زمن الوالي «أبان بن سعيد بن العاص» خاصة حينما كان يعمل والياً على البحرين من قبل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فهو أول من بذر التشيع هناك، ولذا جهد معاويه وعبدالملك في محاربة الأهالي وقتل مشاهير الشيعة منهم.

وقد وقف الكثير من أهل الأحساء مع الإمام علي عليه السلام في حروب الجمل وضفين وغيرها، فقد تزعم «زيد بن صوحان العبدي» الذي اشتهر بإخلاصه له أربعة آلاف من أهل البحرين والأحساء.

وأشتهر من المخصلين للإمام علي عليه السلام أيضاً: الحارث بن مره العبدي[1]، وصعصعه بن صوحان العبدي[2]، الذي نفاه «المغيرة بن شعبة» بأمر من معاوية إلى البحرين فمات فيها. كما اشتهر من بين هؤلاء الذين وضعوا أساس المذهب الجعفري: حكيم بن جبلة العبدي الذي استشهد في الجمل، وصحار بن العباس العبدي، وقدامة بن مسروق العبدي. فولاء عبدالقيس للإمام عليه السلام معروف واشتراكهم معه في حروبه معروف أيضاً فقد مدحهم الإمام عليه السلام بقوله: «أنتم درعي ورمحي وأنصاري، كما وصف راياتهم بأنها رايات الله.

كما أن من ولاته من ثبت منهج أهل البيت في البحرين أمثال؛ أبان بن سعيد وعمرو بن أبي سلمة وعبدالله بن عباس: كانت علاقة هوءلاء بالامام

---

(١) أحد القواد في صفين، وغزا الهند في ٣٩ هـ.
(٢) من سادات عبدالقيس وخطبائهم، قاتل مع الإمام علي عليه السلام في معاركه وكان الناطق بلسان الثوار الذين قاموا على عثمان بن عفان.

علي عليه السلام متميزة واعتبروا من أنصاره وشيعته ، فهم ارتبطوا بالرسول صلى الله عليه وآله وبأهل بيته ولذا ضعفت العلاقة بينهم وبين الامويين نتيجة موقفهم الموالي للامام عليه السلام وتميزت بالعداء والابتعاد عن حكومة الامويين ، فدخلوا في جماعات المعارضين لتلك الدولة والحكومات واشتركوا بالثورات المختلفة ضدهم، وحاربوا ولاتهم مثل عبيدالله بن زياد والحجاج بن يوسف الثقفي.

ومنهم أيضا من حارب بجانب الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء واستشهد في معركة الطف مثل" رشيد الهجري الذي اشتهر كواحد من حواري الامام علي عليه السلام ومن أصحاب الحسن والحسين عليه السلام قتله عبيدالله بن زياد بعد أن قطع يديه ورجليه ثم لسانه فمات أو اعدم شنقا في الكوفة . كما ساندته «ماريا ابنة سعد العبدية» إذ اجتمع في بيتها أصحاب الحسين عليه السلام وشيعته يتدارسون الموقف السياسي أيام يزيد بن معاوية : كما أن «الطرماح بن عدي بن حاتم الطائي» ساند الامام الحسين عليه السلام في موقفه ، وطلب منه عدم التوجه الى كربلاء والبقاء في حائل في حماية قبيلته (فسر بنا حتى ننزلك جبلنا الذي يدعى أجا ، فقد امتنعنا به والله من ملوك غسان وحمير . والله ما دخل علينا ذل قط . ثم تبعث الرجال الى من ينزل أجا وسلمى من طيء فيأتيك الرجال وأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بالسيوف) ولكنه لم يتمكن من الاشتراك معه في المعركة فقد ذكر الطبري وغيره بأنه لم بقدر له ذلك، إذ كانت المجزرة قد تمت عند وصوله ساحة المعركة(١) .

وقد اشترك أيضا من عبدالقيس في جيش التوابين منهم؛ المثنى بن مخرمة العبدي ، وأبو الجويريه العبدي بن الاحمر، كما كانوا في جيش المختار بن أبي عبيد الثقفي وفي ثورة عبدالرحمن بن الاشعث الشعبية على الحجاج بن يوسف

---

(١) كانت طيء التي تسكن حائل من أنصار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام واشتهر منها عدي بن حاتم الطائي.

كما اضطروا للاشتراك في ثورات الخوارج على الامويين لا اعتناقا لمبادىء هوءلاء بل جهادا ضد الدولة الاموية واهدافها غير المرغوبة لديهم.

ومنهم من تتلمذ على يدي الامام جعفر الصادق(ع) مثل: «سفيان بن مصعب العبدي» كشاعر لاهل البيت. وحينما ظهر في مكة "قاسم بن محمد بن جعفر بن هاشم العلوي» آمرا للمعروف، نفي الى البحرين فشارك الاخرين من أقرانه في نشر مبادىء التشيع وعقائده في المنطقة.

وبذا فإن انتشار التشيع حدث في صدر الاسلام. حيث كان الاهالي بجانب أهل البيت(ع) منذ تلك الفترة المبكرة فقام بنشره في الخليج افراد من عمال الامام علي(ع) في الاحساء والبحرين حتى أصبح أنصاره وأتباعه كثيرين هناك في أوائل القرن (٣ هـ) وأصبحت القطيف أهم مراكز التشيع فيها، فالغالبية من أهل الاحساء كانوا شيعة موالين لاهل البيت منذ عهد الامام(ع) واستمروا في ولائهم حتى ان الامويين لم يتمكنوا من تثبيت أقدامهم في المنطقة لكثرة المناوئين لهم فيها، بجانب نزوح كثير من المعارضين لهم اليها، اذا اعتبرت الاحساء منطقة المعارضة الاولى للحكم الاموي والعباسي، حتى ان العباسيين اتخذوها منطقة منفى للمعارضين فلم تعد لها علاقة بالخلافة العباسية منذ القرن (٣ هـ).

أما ما ذكر عن القرامطة أنهم كانوا الناشرين للمذهب فإنه قول لايستند الى واقع وحقيقة وذلك بسبب واضح، انهم استغلوا انتشار التشيع وميول الاهالي والقبائل للمذهب، فتمكنوا من الاستقرار والاستمرار في المنطقة.

- **وأما في ما يتعلق بالاتصال التجاري ودعم ميزانية الدولة،** فان الأحساء اشتهرت بالموارد الاقتصادية منذ تاريخها المبكر، حيث عظمت ميزانيتها مما كان لها الاثر في انعاش الاقتصاد الاسلامي زمن الرسول(ص) والعهود التالية. ومن المعروف أن ثروتها الوفيرة كانت سببا لاطماع القوى السياسة

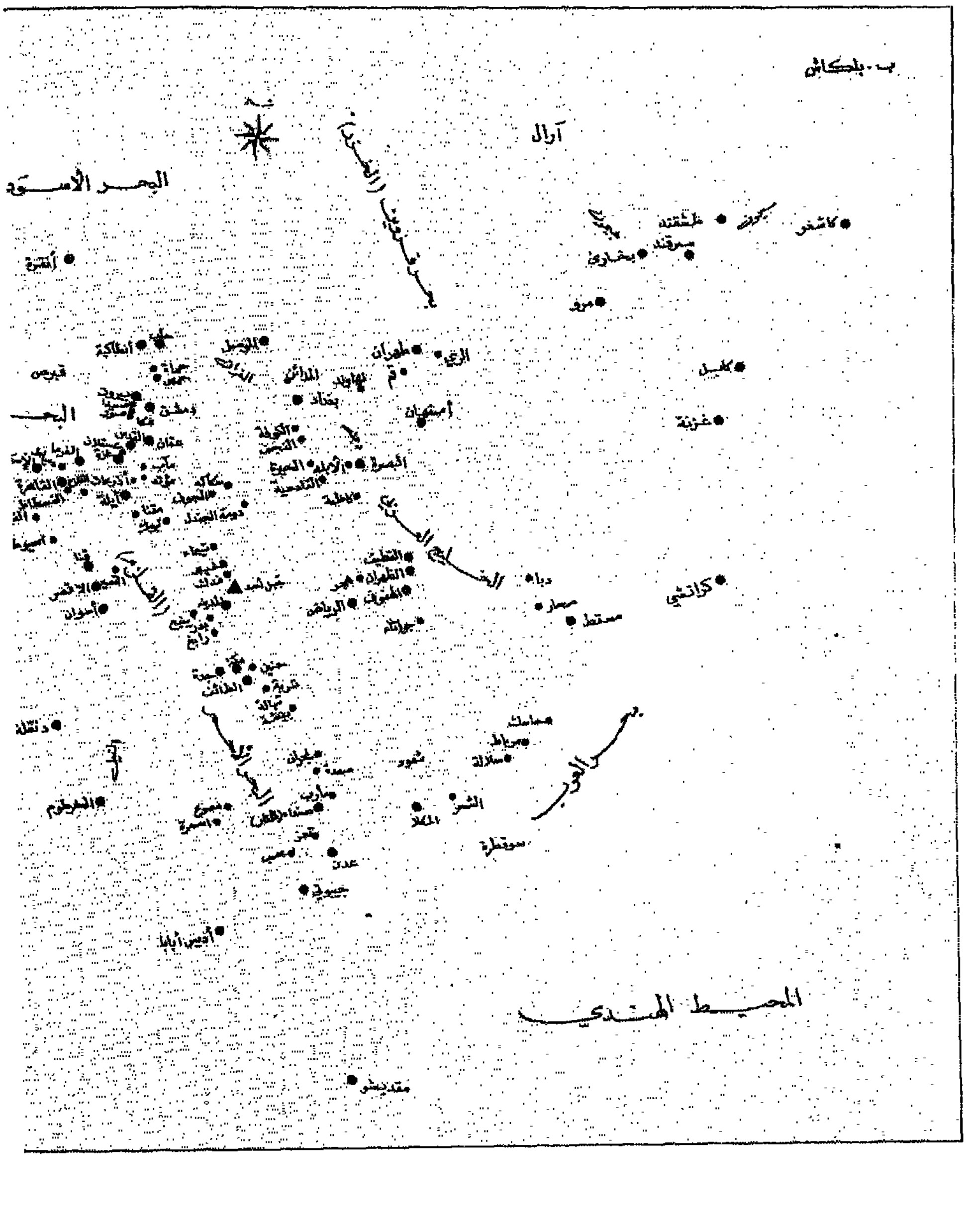
المجاورة لها والبعيدة عنها تطلعت اليها راغبة في السيطرة على خيراتها ، كما أنها اشتهرت بمساعدتها المالية للشعوب الاخرى نظرا لكثرة مواردها وزيادة أموالها ، فقد تميز أهل الاحساء بالكرم بضيافة المهاجرين ، وهى لم تكن حديثة العهد في هذا الازدهار والنمو الاقتصادي اذ انها تميزت بذلك منذ القدم حيثما تقدم ملك سلوكيا (في سوريا) للسيطرة عليها فاشترى أهلها أنفسهم وحريتهم ونعمتهم بالمال والذهب .

أما في العصر الاسلامي فقد كان خراجها كبيرا أيام النبىﷺ والدولة الاسلامية فيما بعد، فعندما احتاج المسلمون أيام النبىﷺ الى عون مالي سريع ، بعثﷺ «قدامة بن مظعون وأبا هريرة» الى المنذر بن ساوي يطلب منه إعداد المال اللازم (فادفع اليهما ما اجتمع عندك من جزيه أرضك) وعجل في رسالة أخرى لارسال الصدقات والعشور حينما طلب من العلاء الحضرمي ذلك : (فابعث معهما أى مع المندوبين السابقين ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور)[1] وقد اشتهروا بالاعمال التجارية والاتصال التجاري مع الحجاز فقد كانوا يبيعون سلعهم في أسواقها حيث شوهدوا في أسواق مكه والمدينة والطائف .

وسنتناول تفصيل هذا الجانب في الفصول القادمة[2] .

(١) مجلة الواحة – فصلية تعني بشئون التراث والثقافة والأدب في الخليج – العدد الرابع مارس ١٩٩٦ بيروت ص١٠٦

(٢) للإستزادة عن ثروات المنطقة وغناها يفضل الرجوع إلى الفصل١٢ .



ب. بلكاش
آرال
البحر الأسود
كاشغر
سمرقند
بخارى
مرو
كابل
غزنة
أنقرة
أنطاكية
قبرص
الموصل
الري
بغداد
أصفهان
دمشق
البصرة
كراتشي
مسقط
الرياض
الطائف
الخرطوم
أسوان
عدن
سوقطرة
جيبوتي
أديس أبابا
المحيط الهندي
مقديشو

الفصل السادس

الثورات والانتفاضات في المنطقة

الفصل السادس

الثورات والانتفاضات في المنطقة

أولا: التأثر بحركات الردة في الاسلام

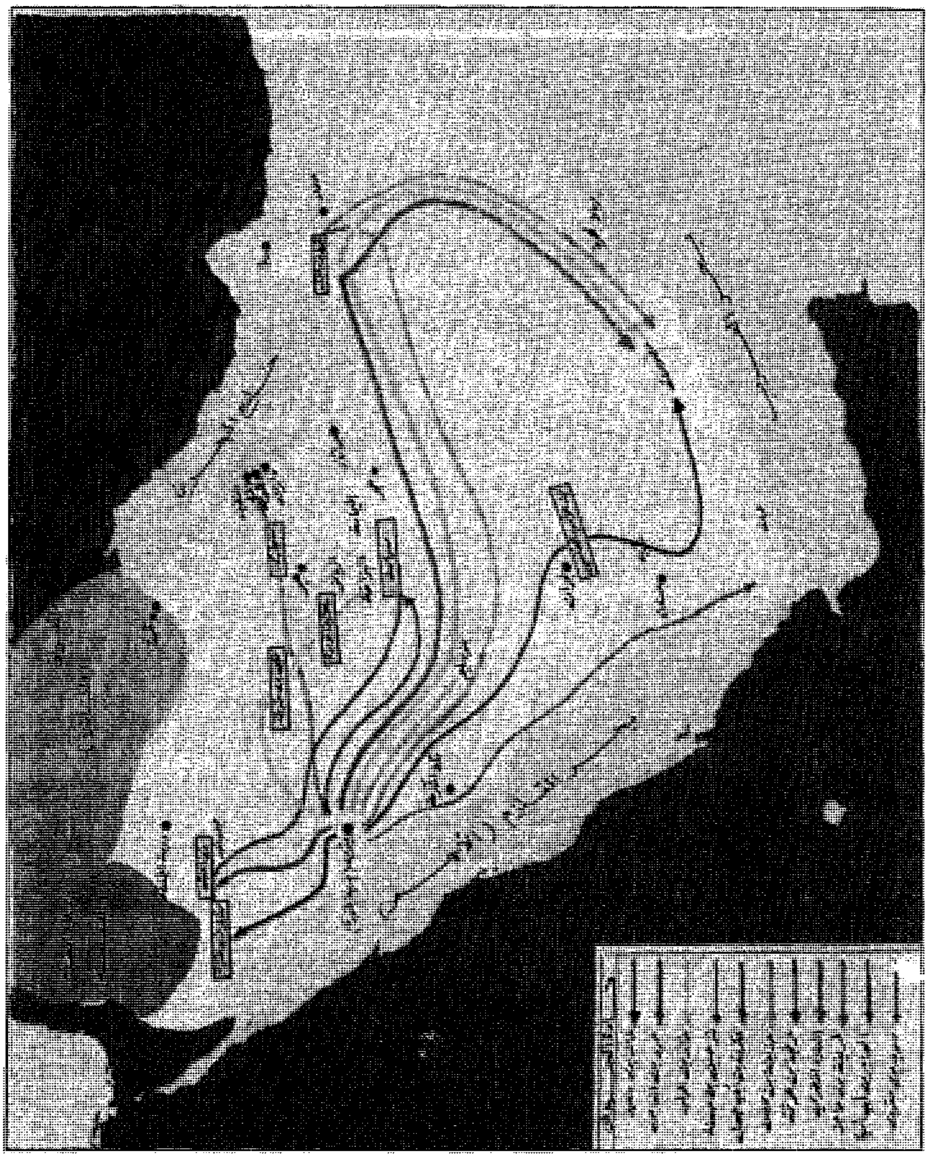
تميز تاريخ العرب قبل الاسلام بالنزعة القبلية ولم تختف بعد ظهوره فقد كان ولاء الفرد للقبيلة بدلا من الدولة حين تأسست ونشأت عدة دول في جمع أطرافها. فعند وفاة الرسولﷺ لم تكن هناك وحدة فعلية أو رابطة دينية اسلامية تؤلف فعلاً بين كافة قبائل شبه الجزيرة العربية، بل كانت هناك نزعة قبلية وعصبية هدامة وضغائن ومنافسات موروثة تطفو على سطح المجتمع العربي حيناً وتختفي حيناً آخر.

وإذا كانت نسبة كبيرة منها قد أذعنت للإسلام، فإنها لم تذعن إيماناً بالعقيدة، بل إذعاناً لقوة جديدة، إذ إنها أسلمت لتسلم من القتل والأسر والسبى، فقد ظلت رواسب الماضي بأبعاده وأوضاعه الخلقية والاجتماعية والفكرية حية في القلوب والنفوس والعقول، فلم تستطع الدولة الإسلامية حتى في قمة ازدهارها أن تنجح في تشديد قبضتها على كافة قبائل الجزيرة العربية وجعلها موالية للدولة لا للقبيلة التي ينتمون إليها، فقد كان تأثير الإسلام في السنوات العشر بعد الهجرة، أقوى في قريش وثقيف وفي البيئة المحيطة بالرسولﷺ وفي الأفراد المتصلين به مباشرة، أي بيئة أهل البيت وصحبه الكرام. ولذا فقد كانت الردة حركة مبكرة ومؤثرة في تاريخ الإسلام والمسلمين، إذ إن الخارجين على الدين والدولـــة انتشــروا من مشارف الشام شمالاً حتى حضر موت واليمن جنوبــاً، ومن الأحساء والبحرين وعمان والخليج شرقاً حتى البحر الأحمر غرباً.

وفي ساحل الخليج العربي، اشتهرت منها حركتان هامتان في البحرين واليمامة:

ففي اليمامة: ظهر مسيلمة بن حبيب الحنفي المشهور بالكذاب، وهو من بني حنيفة النازلين في اليمامة، وكانوا قد أسلموا وبعثوا وفداً إلى النبيﷺ في عام (١٠هـ) كان منهم مسيلمة. وعندما عاد إلى وطنه تنبأ وزعم أنه شريك الرسولﷺ في النبوة، طمعاً في أن يكون لقبيلته نفوذ في بلاد العرب وخاصة أنها كانت الأقوى من قبيلة قريش في الجاهلية، وأن أتباعه كثروا بعد وفاة الرسولﷺ إذ وصلت أعدادهم إلى أربعين ألفاً أحرجوا «أبا بكر» عند محاربتهم. ولم يتمكن قائد المسلمين: «عكرمة بن أبي جهل» من التخلص منهم حيث انهزم امامهم لعدم خبرته في الأمور العسكرية وتسرعه بالحرب والهجوم، فأرسل الخليفة أبوبكر «خالد بن الوليد» مع جيش كبير من القبائل لايقل عدده عن عشرة آلاف أو اثنى عشر ألفا يضم شخصيات معروفة: زيد بن الخطاب، عبدالله بن عمر، عبدالرحمن بن أبي بكر، وحش الحبشي - قاتل حمزة عم النبيﷺ- وفي المقابل بلغ عدد بني حنيفة وحلفائهم أكثر من أربعين ألف مقاتل، تمكنوا من إلحاق الهزيمة بالمسلمين أول الأمر، إلا أنهم ضعفوا فأنهزموا وقتل مسيلمة[1] مع كثير من بني حنيفة. وقد سميت هذه المعركة: واقعة الحديقة (وهي كالحصن) أو عقرباء. وقد نتج عن المعركة القضاء على بني حنيفة، فلم يظهر لهم ذكر بعد ذلك في التاريخ عسكرياً، كما أنها اعتبرت أكبر حركات الردة لما قتل فيها الكثير من الجانبين - إذ بلغ عدد قتلى بني حنيفة عشرين ألفاً من الأفراد في حين أنه استشهد من المسلمين المهاجرين والأنصار والتابعين ١٢٠٠ (ألفان ومئتان) كان منهم (٣٦٠) من أهل المدينة، مما أضطر أبا بكر أن يأمر بجمع القرآن لما رأى من

(١) قتله وحشي الحبشي.



كثرة من قتل من قراء القرآن والصحابة. وقد ساعد في هذه المعارك بجانب المسلمين جماعة من قوم بني حنيفة المسلمين، كما ساعد قوم من عبدالقيس المسلمين في حرب أهل عمان المرتدين[1].

كما ادعت «سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية» النبوة في تغلب من أرض الجزيرة بالعراق، وزحفت لغزو أبا بكر فراسلت «مالك بن نويرة» في تميم وحالفها فأقبلت إليه، إلا أنها تركته إلى مسيلمة في اليمامة، فتزوجها ليكونوا قوة واحدة كبيرة أمام المسلمين، ولكنها ضعفت فرجعت إلى الجزيرة ثم أسلمت أيام معاوية بن أبي سفيان وماتت بالبصرة، وكانت قد اتخذت من (لأشعث بن قيس) مؤذناً لها.

أما في البحرين أو الأحساء:

فقد جرت فيها أول ردة في الإسلام، حيث أدعى «الأسود العنسي» النبوة على عهد الرسولﷺ فاستولى على اليمن وأخذ مابين حضرموت إلى البحرين والأحساء إلى عدن، إلى أن قتل في أول عهد أبي بكر.

وكان أسبق أهل البحرين إلى الإسلام: «الجارود بن المعلى بن عمرو بن حنش» الذي جاء المدينة المنورة فأسلم على يدي الرسولﷺ. ثم أرسل النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى «المنذر بن ساوي العبدي» كبير عبد قيس داعياً له فتقبل الإسلام فأسلم، وأقام العلاء أميراً بالبحرين من قبل النبيﷺ. إلا أنه بعد موت «المنذر» أعلن الأهالي الإرتداد عن الإسلام، فتمكن «الجارود» من إقناعهم بالعودة إلى دينهم.

---

(١) أبو محمد عبدالملك بن هشام: مرجع سابق، ص١٨٧.

ولكن بقية ربيعة من بكر بن وائل مع أعداد من الكفار تزعمهم «الحطم بن ضبيعه» الذي دعا إلى قتال أبي بكر ومنع الزكاة، فسار بجماعته حتى نزل القطيف وهجر واستمال الكثير من أهلها، كما اتصل بالمرتدين في دارين، وضرب حصاراً شديداً على المسلمين من عبد قيس في جواثا» التي ثبت سكانها على الإسلام.

وأرسل اليهم الخليفة «العلاء الحضرمي»، ولحقه «ثمامة بن أثال الحنفي» في نفر من بني حنيفة، فساروا حتى نزلوا هجر، فتجمع المرتدون إلى الحطم وحفروا الخنادق، إلا أن المسلمين هجموا عليهم ليلاً وهم سكارى فهربوا نحو جزيرة دارين، فعبر المسلمون الخليج سباحة وقاتلوهم. فقتلوا منهم الكثير ثم رجعوا إلى البحرين وذلك في عام (١٢هـ). وهكذا سقطت حركات الردة في الجزيرة العربية وعادت إلى الإسلام قبل نهاية عام (١٢هـ). ومن الجدير بالذكر أن خالد بن الوليد لم يحارب مع العلاء في حروب البحرين، لأنه حين وصلها كان العلاء قد انتهى من أمر المرتدين، ولذا أمر بالتوجه من هناك إلى العراق.

كما أنه من الضرورة الإشارة إلى أن المرتدين في هجر، لم يرتدوا عن الإسلام، بل كان منهم من لم يقبل بدفع الزكاة أو الخمس أو الجزية، ومنهم من لم يقبل شخص الخليفة بعد النبي ﷺ على أثر أحداث السقيفة، أما القليل منهم فقط لم يتقبل الدين. ومما يدل على اثبات اسلامهم أنهم بعد الانتهاء من هذه المشكلة مباشرة ألف العلاء الحضرمي جيشاً بقيادته وسار بحراً للإستيلاء على أجزاء من فارس، فأيده الكثيرون ودخلوا ضمن جنوده، مما كان له الأثر في مساعدة المسلمين للإنتصار على الفرس في العراق بعد فترة وجيزة.

كما أن وفد عمان الذي سار إلى أبي بكر أعلن في تبريره للإمتناع عن دفع الزكاة تأكيداً بعدم خروجهم عن الطاعة بأنهم رغبوا في الاستقلال عن الدولة الإسلامية بعد النبي ﷺ فحسب.

ثانياً: الثورات المعارضة للحكم الأموي والعباسي

كان الخليج في الواقع أهم مصدر للقلق وموضع ثورات عدة عارضت الحكم الأموي والعباسي نتيجة لاضطراب الأمور السياسية وعدم الرضا عن الأحوال السائدة، وقد امتد أثر هذه الثورات إلى المناطق الشمالية للخليج، إلى البصرة حيث عاشت فيها جماعة من عبدالقيس وغيرهم، فآزرت تلك الحركات والثورات التي اندلعت في الأحساء والبحرين من أفراد قبائلهم وأهاليهم.

ومن أشهر الحركات الفردية التي بدأت في معارضة الحكم الأموي، أعمال الشاعر «مالك بن الريب» الذي ظهر في المدينة المنورة، وفي أيام ولاية «مروان بن الحكم» حيث برز هذا الشاعر الذي ربط في شعره، حياته بحياة الجماهير والتعبير عن مشكلاتها وآمالها، وكان من بني تميم تزعم عصابة من فقراء قومه وأغاروا على أحياء العرب، يتربصون بالقوافل ناشرين الذعر والخوف، فذاع صيته وعظم خطره مما دفع «مروان» الوالي أن يطلب من والي نجد التصرف حياله والإسراع بالقبض عليه، فتم ذلك وأرسل مع رفاقه إلى المدينة - إلا أنه تمكن من الفرار من حبسه بعد أن قتل حارسه متوجهاً إلى البحرين ثم إلى فارس، فقام بالإعلان والدعاية ضد الحكم الأموي ومظالم الأمويين وأخطائهم، وإهتمامهم بحصر المال فيهم وعدم إنفاقه على الفقراء. كما أنتقد سياستهم الجائرة في معاملة القبائل العربية. وقد تمكن والي خراسان «سعيد بن عثمان بن عفان» أن يقنعه بإعلان التوبة أيام معاوية، فترك حياته السابقة واشترك في غزوات المسلمين في خراسان والمشرق.

وفي أيام عبدالملك بن مروان أعدت الجيوش في ولاية الحجاج بن يوسف لمواجهة الثورات المضادة للحكم الأموي، فأعد جيشاً كبيراً في (٧٧هـ) لمهاجمة عمان وإدخالها ضمن الدولة الأموية. إذا إن حكامها رفضوا الدخول في طاعتها منذ عهد معاوية، ولكن أهل عمان هزموا الجيش الأموي هزيمة ساحقه، فأعد

الحجاج جيشاً آخرا أكبر عدداً وعدة، وتقابل مع جيوش عمان في «أبوظبي» الحالية - إلا أنه تقهقر ثانية عبر صحراء الدهناء رغم قوته وتفوقه، وكان قد أعد في نفس الوقت جيشاً بحرياً أبحر عن طريق الخليج فنزل ساحل الباطنة وتمكن من هزيمة أهل عمان في بداية المعركة، إلا أن «سليمان بن عباد» استطاع تدمير وحرق ٥٠سفينة من الأسطول الأموي، ففرت بقية السفن إلى عرض البحر، مما دعا الحجاج إلى العودة والتراجع بجيشه فانسحب من مواقعه إلى جلفار (رأس الخيمة) الأمر الذي دفع الحجاج إلى إعداد قوة أخرى كثيفة اتجهت عبر الصحراء إلى عمان، فتمكن في هذه المرة من هزيمة أولاد عباد: «سليمان وسعيد الجلندي» وفرارهما إلى إلى شرق افريقيا.

وفي ٨٦هـ - ٧٠٥م خرج «مسعود بن أبي زينب العبدي» بالبحرين على «الأشعث بن عبدالله بن الجارود» الذي ترك البحرين فسار مسعود إلى اليمامة وعليها: «سفيان بن عمرو العقيلي» الذي تولاها من قبل «عمر بن هبيرة» فتقاتلاً بشدة حتى قتل مسعود، فأقام بأمر الخوارج بعده: «هلال بن مدلج» الذي استمر في قتال رجال الحكم الأموي، ولكنه قتل في المعارك كما قتلت «زينب» أخت مسعود، وقيل إن «مسعود» هذا غلب على البحرين واليمامة (١٩عاماً) حيث انتهت حركته في ١٠٥هـ. وقد قضى على ثورة أخيه «سعيد» أيضاً في هجر، وقد وقف بنو عبدالقيس في البحرين معارضين للحكم الأموي فترات طويلة، فقاموا بثورات متتابعة تشتعل في البلاد من وقت لآخر منذ (٧٨هـ) كان أشهرها:

ثورة الريان النكري: الذي اجتمع مع أفراده في دارين والزارة، ومعه بنو عبدقيس - فتمكنوا من هزيمة الجيش الأموي، إلا أن الحجاج بن يوسف الثقفي أرسل إليهم جيشاً كبيراً من (١٢) أثنى عشر ألفا من المقاتلين تمكنوا من التخلص من الريان وقتله في ٨٠هـ (٦٩٩م).

كما قتلوا «داوود بن أبي محرز» من عبدالقيس الذي ثار بالقطيف وقاتل رئيس شرطتها بعدما أحرز انتصارات على الجيش الأموي وأعمل الهزيمة فيهم.

وتمكن أيضاً «المهير بن سلمى بن هلال» في (١٢٦هـ) من السيطرة على اليمامة بعد أن أبعد «علي بن المهاجر» الوالي الأموي على هجر. فبعد أن قتل الخليفة الأموي «الوليد بن يزيد» الذي عرف بميله إلى اللهو والشراب واللذة، مما أثار سلوكه الناس وأثر في هيبة الدولة والخلافة، ثار «المهير بن هلال» من بني حنيفة في (٧٤٣م) باليمامة مسانداً من أهلها، محارباً لواليها علي بن المهاجر الكلابي، الذي خيره بين ثلاث: أن يقيم عندهم كفرد عادي، أو يسير إلى منازل عمه، أو يأخذ ماشاء من المال ويمضي إلى بلده. إلى أنه رفض تلك الخيارات، فسار إليه المهير من هجر وقاتله فهزمه وأحرق قصره، مما جعل ابن المهاجر يهرب إلى المدينة، فتملك المهير اليمامة وحكمها.

وخلفه «عبدالله بن النعمان القيسي» الذي حاول التوسع في إمارته، فدارت حروب بين القبائل كما في أيام الجاهلية، حيث أصبح القوي يهاجم الضعيف، وثارت الفتن والفوضى حتى (٧٤٥م) - عندما بعث الخليفة الأموي: «مروان بن محمد» واليه على العراق: «المثنى بن يزيد بن هبيرة» للسير إلى اليمامة والقضاء على المهير واستلام الحكم فيها.

لقد اعتبرت الأحساء من أكبر المناطق التي اندلعت فيها الثورات ضد الحكومات الإسلامية في دمشق وبغداد، وأسخن مركز لها، فقد شارك الأهالي في ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وثورة التوابين بزعامة سليمان بن صرد الخزاعي، كما قدم إليها إبراهيم بن مالك الأشتر»[١] ليساهم في تلك الثورات.

---

(١) له عقب في القطيف في الوقت الحاضر.

أما في العصر العباسي: فقد اشتهرت فيه ثورة الزنج وثورة أهل عمان .

ففي عهد أبي جعفر المنصور أصبح «السري بن عبدالله الهاشمي» والياً على البحرين واليمامة (١٣٦هـ) وكانت العادة أن يقيم أمير الساحل الشرقي - الأحساء - بالبحرين وتشمل سلطته إقليم عمان .

وقد خالف أهل البحرين واليمامة حكم «أبي جعفر» في (١٥٢هـ - ٧٩٨م) وثاروا بقيادة «سليمان بن حكيم» الذي أعلن التمرد على الخليفة ، وقتل أفراده الوالي «أبي الساج» فوجه إليه إليه القائد : «عقبه بن أسلم الهنائي» حيث تمكن من قتل عدد كبير من ربيعه ، وسبى العرب والموالي .

وفي عهد المعتضد بالله العباسي ، امتنعت عمان عن دفع الزكاة المفروضة إلى بغداد ، كما أنها لم تسمح لأي مبعوث أو مندوب من قبل الخلافة في بغداد أن يقدم إلى عمان لجمع تلك الضريبة ، مما جعل الخليفة يستاء من هذه التصرفات ، وزاد الموقف سوءاً أن معاملة الفئات الإباضية لأفراد أهل السنة اثارت غضب واستياء أفراد أهل السنة الذين طلبوا تدخل الخليفة لنجدتهم مما هم فيه من موقف سيئ ، إذ إن وفدا من قبائل نزار ، سارع إلى مقابلة أمير الساحل الشرقي -الأحساء- ليشرح القضية ومايجري من حروب أهلية بين هؤلاء ، وماتعانيه الطوائف السنية من معاملة سيئة على يد الإباضيين ، وطلب من الخليفة التعجل بإرسال حملة تأديبية لمعاقبة هؤلاء .

وقد ظل العمانيون من الفترة (٨٩٢-٩٠٢م) بعيدين عن الغزوات ، حتى قامت تلك الجماعة منهم والذين كانوا يكنون الولاء لطائفتهم أكثر من بلادهم ، بدعوة الخليفة العباسي لشن غزوة شرسة على عمان .

ودعا الخليفة إلى إعداد حملة عسكرية ضخمة ، فتكون الجيش من ٢٥ ألف رجل ، وقسمت الحملة إلى فرقتين : تتحرك إحداهما من البصرة والأخرى تأخذ

طريق البر من الأحساء، وقادها «محمد بن نور» حاكم البحرين الذي عُرف بقسوته وشدته. فعبرت الحملة السبخة[1] إلى أبوظبي ثم البريمي[2] ثم إلى الجو[3] عام (٨٩٣م) وتقابلت مع الفرقة القادمة من جلفار، وهاجموا «نزوى» عاصمة الإباضيين، فسقطت بأيدي قوات محمد بن نور وانتهت بمذبحة رهيبة وسلسلة من المجازر الوحشية وعمليات سلب ونهب، وقطع رأس الإمام «غزان بن تميم العماني» وبعث به إلى الخيفة في بغداد، فتم إخضاع عمان كلها وفرضت الطاعة عليها بقوة السلاح.

أما ثورة الزنج ٢٥٥هـ - ٨٦٩م:

فقد خرج «علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي زين العابدين» في البصرة، وقيل إن اسمه: «علي بن محمد بن عبدالرحيم» ونسبه في عبدالقيس، فأدعى أنه من نسل «العباس بن علي بن أبي طالب»، جمع الزنج وخرج من سامراء في ٢٤٩هـ) إلى البحرين، ودعا الناس بهجر إلى طاعته فاتبعه كثيرون. وكان أهل البحرين قد عظموه وأجلوه، وقاتلوا أصحاب السلطة معه، إلا أن جماعته رفضته وتنكرت له، فانتقل إلى الأحساء ونزل عند قوم يقال لهم «بنو الشماس» ومعه أصحابه المقربون منهم: يحيى بن محمد الأزرق البحراني، وسليمان بن جامع، قائد جيشه، فتنقل في البادية. إلا أن معظم جماعته تفرقت عنه بعد هزائمه، فسار إلى البصرة ونزل في «بني ضبيعة» عام (٢٥٤هـ) ثم توجه إلى بغداد، ولكن المقام لم يعجبه فرجع إلى البصرة، حتى تمكن من جمع كثير من السودانيين الذين مناهم بالمال والجاه والحياة المترفة فسار بهم إلى القادسية

---

(١) سبخه مطي Mati تشكل حسب المراجع العربية الحدود الجغرافية بين عمان والأحساء التي كانت حدوداً لعمان القديمة.
(٢) هي فاتحة الطريق إلى الأحساء ونجد.
(٣) المنطقة التي تقع فيهاالبريمي وتشكل الجزء الشمالي الغربي من أقليم الظاهرة.

فنهبوها، وانتهبوا دار البعض من بني هاشم فيها السلاح، كما حاربوا أهل البصرة وأخذوا سلاحهم، مما مكنهم من تنفيذ ثورتهم والإكثار من القتل والنهب والسبي براً وبحراً في المدن والقرى وعلى السفن، وقتل يوم البيداء في البصرة جمعاً كثيراً حتى جمع الرؤوس، فتمكن الرعب في قلوبهم وأمسكوا عن قتاله.

وكتب الناس إلى الخليفة بتلك الأخبار المفزعة فبعث إليه من يحاربه، إلا أنه تمكن من الإفلات.

وقد أكمل أعماله الثورية بالاستيلاء على ٢٤ مركب بحري وعلى أموال كثيرة ثم دخل «الأبلة»[١] وقتلوا فيها خلقاً كثيراً وأحرقوها، مما دعا أهل عبدان إلى أن يكتبوا إليه خائفين يطلبون منه الأمان وتسليم بلدهم، فأخذها بما فيها من عبيد وسلاح، فسار مع أصحابه إلى الأهواز فأحتلوها وقتلوا وأحرقوا ونهبوا وخربوا مافيها، فهرب منها الجند والأهالي، فوصل ذلك مسامع أهل البصرة فتركها أكثرهم مذعورين إلى بلدان أخرى.

ولما اشتد أمر الزنج وعظم شرهم وخطرهم، أرسل المعتمد على الله العباسي إلى أخيه «أبي أحمد الموفق» يعينه والياً على الكوفة وبغداد والبصرة والأهواز وفارس ومكة واليمن، كما عقد «ليارجوخ - ياركوج» ولاية البحرين واليمامة في (٢٥٧هـ) على أن يتولى هؤلاء مسؤولية حرب الزنج والتخلص منهم.

أما صاحب الزنج فقرر أن يدخل البصرة ليخربها، فأمر «محمد بن يزيد الدارمي» أحد أصحابه بالبحرين أن يجمع الأعراب للإلتحاق به، فدخلوا البصرة وقاموا بالتخريب والحرق والقتل حتى أحرقت من عدة مواضع ثم أنصرف عنها. أما «أبو أحمد الموفق» فقد حاول أن يهزمه عندما بدأ محاربته، ولكنه لم يفلح،

---

(١) مكان يبعدعن البصرة ٤ فراسخ ٢٢كم كما تبعد عن بيان (بوبيان) ٥ فراسخ ٢٨كم وعلى ركنها خور عظيم الخطر هو خور الأبلة.

إلا أنه تمكن من قتل قائده يحيى البحراني، مما أثر في موقف صاحب الزنج، ثم تابعهم إلى «أبي الخصيب» وأحرق منازلهم وأكثر في قتلهم إلا أنه لم ينجح في التلخص منه فسار إلى سامراء.

وقد عين الخليفة المعتمد العباسي، «موسى بن بغا» واليا على اليمامة والبحرين في سنة ٢٦١هـ بدلاً من يارجوخ على أنه القادر على التعامل مع الموقف، ولكنه بعد الدخول في معارك معهم تركهم في سبيل حالهم. فتولى قيادة المواجهة العسكرية معهم «أبو العباس بن الموفق» الذي دخل في حروب متصله ومتقطعة معهم، فقتل منهم الكثير وأسر منهم الكثير حتى تمكن من محاصرتهم في كل مكان، فاستسلم أكثرهم، فكتب إليه كتاباً يمنحه الأمان إلا أنه رفض مباحثته والتفاوض معه، وكان قد أختار مدينة محصنة سماهما «المختارة» كان على الموفق وإبنه أن يتخلصا منه في هذه المدينة.

وقد شارك صاحب الزنج في هذه الفترة (٣٠٠ألف) محارب، كما شاركته النساء في المعركة بجانب الرجال، وتمكن الموفق بعد أن أمنهم استمالة الكثير من أتباعه، فاستخدم أسلوب الحصار الاقتصادي، فأقطع عنهم الطرق والاتصالات والمواد الغذائية والمؤن، إلى أن شعروا بشدة الحصار ووطأته، فخرج بعضهم من المدينة وهرب بعضهم الآخر، ونجح الموفق في استمالة عدد من قواده البارزين الذين تبعهم الموالين لهم.

وبعد إعداد جيد من تكتيك عسكري، تمكن من دخول قصره وإحراق منازله وقصوره ومنازل قواده، وأسر أولاده، والاستيلاء على أمواله ونسائه ونساء المسلمين في (٢٦٩هـ) فسيرهم جميعاً إلى بغداد، ثم أحرق داره فهرب إلى دور أخرى مجاورة لأحد قواده، إلا أنه بعد أن اشتبك معهم في حروب طاحنة وطويلة، تمكنوا من قتله في ٢٧٠هـ على نهر أبي الخصيب، فرفع رأسه على قناة ليتأمله الناس فيعرفوه.

وفي الواقع إن ثورات الزنج قد بدأت منذ أيام مصعب بن الزبير وفي ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (٦٩٤م) واستمرت إلى خلافة المنصور العباسي، وقيل عن صاحبها «علي بن محمد» أنه فارسي الأصل. وأن ثورته كانت محاولة للحصول على الحقوق الاقتصادية والاجتماعية للأفراد المظلومين، فاستمرت حركته مدة عشر سنين. وقد اتخذت ثورة الزنج صفة الدولة فكانت لها عاصمتها (المختارة) وجيش وشعار وعلم وعلاقات خارجية ونظام وقواعد أساسية لإصلاح المجتمع.

ومن الثورات التي اشتهرت في تلك الفترة من الحكم العباسي: ثورة الزط في عهد المعتصم.

ويرجع أهل الزط إلى الهند أنزلهم الساسانيون على شواطئ الخليج الشمالية[1] وفي جنوب العراق، ونظراً لظروفهم المتخلفة فقد أثاروا القلاقل والفوضى أيام الحرب الأهلية بن الأمين والمأمون، حيث فشل المأمون في القضاء عليهم، فسيطروا على الطرق والتموين وتحكموا في طرق التجارة والموصالات، وعزلوا الخليج عن البصرة وبغداد، وفرضوا الرسوم على المراكب والسفن، واشتغلوا بأسلوب حرب العصابات تجاه الدولة العباسية، واتخذوا «محمد بن عثمان» رئيساً لهم.

وقد تمكن المعتصم بعد حروب ومعارك من القضاء عليهم بعد استسلامهم، فدخل بهم القائد العباسي بغداد يوم عاشوراء في (٢٢٠هـ) ثم نقلوا إلى خانقين في آسيا الصغرى ليعملوا كجنود في الثغور المواجهة للروم.

وقد استمرت حركتهم عشرين عاماً بثوا فيها الفوضى والقتل والسلب والنهب في شمال الخليج.

---

(١) ربما كانت الكويت الحالية.

وفي الأحساء، سار أمير من أمراء العرب من بني عامر، وكانت بلاده متأخمة للأحساء في عشرة آلاف مقاتل من العرب قاصدين البصرة في (٤٨٣هـ)، بالرغم من أنه لم يتمكن من دخولها فإن واليها هرب خوفاً منهم، كما هرب الأهالي، فدخلها العرب ونهبوها وأحرقوا المواضع فيها ودارين للكتب. وكان ذلك أيام السلطان ملكشاه السلجوقي. ولكنهم تركوها بعد وصول الإمدادات العسكرية من بغداد.

وفي القرن (١٢م) قام «الصلغوري» أتابك فارس بضم جزر الخليج إلى ولايته، فعبر الخليج العربي إلى ضفته الغربية ليضم إقليم البحرين والأحساء إليه، فتلاشى سلطان بني عيون وتأسست إمارة عربية بزعامة أسرة عربية جديدة هي أسرة «آل عصفور» في المنطقة بتأييد من الأتابك الصلغوري.

وظهر في عام (٨٤٠هـ) في أرض واسط بالعراق «المهدي المشعشع» الذي عرف بالسحر وعلم المخاريق، فالتف حوله الأعراب في الخوزستان والجزيرة والبحرين، ولما كثر أتباعه طمع في الملك والحكم فجهز جيشاً للسيطرة على الحويزة، واستولى على البصرة، فانتشرت دعوته بالعراق كلها حتى خاف منه الأمير أسبهان، فهاجم بغداد في (١٤٥٤م) وهدم المشاهد والأضرحة ثم توجه إلى بهبهان، فحاصرها، إلا أنه قتل في ٨٦١هـ.

فتسلم من بعده زمام الأمور أبوه «المشعشع» الذي خالف ابنه في إقرار العنف، واستخدم الوسائل اللينة وأسلوب العطف، والحزم المدبر فتمكن من الاستيلاء على البحرين كلها وعلى معظم بغداد وبلاد البختيارية في فارس، وقد جرت هذه الأحداث في عهد الدولة «البارانية» المعروفة أيضاً بالدولة «القراقويونلية» وتعني «قراقويونلو» الأغنام السود التي اتخذوها شعاراً لهم. وكان المؤسس الحقيقي لها الأمير قرا يوسف في (١٣٩٠م) والذي اتخذ تبريز عاصمة له، وبعد وفاته اختلف أبناؤه على الحكم وتحاربوا فاستولى «أسبهان»

على بغداد وأكثر البلدان، ولم يكن حسن السيرة بل اتصف بإهمال شؤون الناس وتعذيبهم. وقد ذاع أمر المهدي المشعشع في فترة حكمه.

وقد استمر حكم هؤلاء إلى أيام الشاه اسماعيل الصفوي حين حارب المشعشع في (١٥٠٨م) وفرق جنده واستولى على خوزستان والحويزة وعمل على محو مذهبهم ونشر المذهب الجعفري فيها.

كما تعرضت اليمامة في العصر العباسي لغارات بني نمير في (٨٤٦م)[1].

وفي (٨٠٥م) ثار سيف بن بكير على هارون الرشيد، وهو من عبد القيس فسيطر على هجر وحاربه في عين النورة حيث قتل سيف.

كما اندلعت ثورات بني محارب العبديين وأبي معبد الشني، وداوود بن النعمان، الذين لم يكونوا من الخوارج كما ذكر عنهم، إذ إن أهل البحرين من عبدالقيس كانوا موالين لآل البيت عليهم السلام ولذلك تكررت ثوراتهم على بني أمية، فقد اشتركت قبائل العرب من عبدالقيس والأزد وبكر بن وائل في تلك الثورات، لتردي الأحوال والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وإهمال شئون الخليج أيام الدولتين الأموية والعباسية.

---

(١) اشتهر هؤلاء بصناعة النعال.

الفصل السابع

أحوال العالم الإسلامي فيما بين القرنين السابع والسادس عشر (م)

الفصل السابع

أحـــوال العالم الإسلامي فيما بـــين القرنين السابع والسادس عشر (م)

تتبعنا في الفقرات السابقة من فصول الكتاب، تطور وسائل التواصل بين الأحساء والدولة الإسلامية في المدينة المنورة ودمشق وبغداد، أكدنا من خلالها الأتصال المستمر بين الجانبين وعدم الإنعزالية بينهما، وأن الأحداث التي جرت في العالم الإسلامي أثرت فيها مثلما أثرت الأحداث في الأحساء على أحوال العالم الإسلامي، أي أن التأثير كان متبادلاً بينهما، مؤكدين بذلك وضوح المواقف والمعارف والمعلومات عما جرى من أمور مختلفة في المنطقة - الأمر الذي يعني أن تاريخ المنطقة لم يكن غامضاً أو مجهولاً، بقدر ماهو إهمال وعدم إعتناء بشئونها، مما نرجح أن يكون سبب ذلك هو انشغال العالم الإسلامي بأحداثه المثيرة التي شغلت القيادات السياسية عن ذلك الإهتمام والإعتناء بأمر السملمين والشعوب الساكنة في أراضي الدولة الإسلامية.

ولكي نقدم وضوحاً أكثر للموقف، فإننا سنقوم بسرد موجز للأحداث والمشكلات التي عمت الأقطار الإسلامية منذ وفاة الرسول الأعظم ﷺ وحتى ظهور الدولة العثمانية في القرن ١٦م.

فقد واجه المسلمون أولى مشكلاتهم الخطيرة التي تسببت في انقاسمهم وتفككهم، وهي قضية الخلافة التي ابتدأ فيها الصراع والنزاع بين أفرادهم منذ عصر «عثمان بن عفان» حينما عارضت الأقاليم الإسلامية حكمه وبخاصة في الكوفة والبصرة ومصر والمدينة المنورة، فتطورت الأحداث إلى حصاره وقتله، مما كان سبباً مؤثراً في ابتداء الانقسامات والثورات في مناطق الإسلام، وإنتقال الزعامة السياسية من الجزيرة العربية إلى عواصم أخرى جديدة كالكوفة ودمشق

وبغداد والقاهرة - الأمر الذي أدى إلى تناقص سلطان الجزيرة العربية السياسي، وقد زاد الموقف تصعيداً حينما عارض «معاوية بن أبي سفيان» خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فاشتغلت شعوب المسلمين بقبائلهم وعشائرهم في حروب ومعارك لم يكن لها أي مبرر صحيح وحقيقي سوى إثارة الفتنة والتخريب، وإنتهى ذلك بتأسيس عصر جديد أعتمد على أساليب ملتوية للتوصل إلى الحكم والتحكم في الشعوب، مما أشغل العالم الإسلامي في صور من النزاع والثورات والحروف في كل أرجائه منعته من التطلع إلى بناء الدولة الإسلامية الحقيقية - إذ تغير نظام الحكم فأصبح توريثاً للولد والأخ، مما دفع معاوية إلى أختيار أبنه «يزيد» غير المؤهل لتلك المناصب السامية، فابتدأت فترة انقسام أخرى خطيرة تعرضت لها الجبهة الإسلامية حتى ان الدولة المركزية نفسها أصبحت في وضع خطير وحالة انقسام وإنهيار أشعلتها الثورات والفتن والاضطرابات المستمرة.

وعندما نجح الفرع المرواني في استلام الحكم بعد إقصاء الفرع السفياني - تصدى حكمامهم للثورات المعارضة بأشد أنواع العنف والقسوة، إذ تميزت سياستهم في هذه الفترة في اختيار أشد الرجال عنفاً وأقساهم قلباً لإدارة أجهزة الدولة كالحجاج بن يوسف الثقفي وزياد بن أبيه، وعبيد الله بن زياد.

ولما اتسعت أطراف الدولة الإسلامية ودخلتها شعوب جديدة في أواخر القرن الأول الهجري، مما زاد في أعداد المسلمين، رأي الحكام ما أدت إليه هذه الأعداد الغفيرة من نقص في موارد الدولة المالية، إذ إن اعتناق هؤلاء الأفراد للإسلام كان يعني نقصاً في الجزية والخراج، فاعتبروا ذلك شراً لهم - بالرغم من أنه لم يكن شراً بل خيراً، فكان عليهم أحد خيارين للتخلص منها: إما الإلتزام بحرفية مبادئ الإسلام، وإما إلغاء المثالية وعدم اعتبارها، ولما كان التسليم بحرفية الشريعة كان يعني عجز الدولة عن مجابهة نفقاتها وأعبائها -حسب نظرتهم- فاختاروا المسلك الثاني وهو عدم الاعتناء بالحرفية والمثالية، فألزموا



الأفراد الذين أسلموا بدفع الجزية والخراج، كما دفع التعصب الشديد للعنصر العربي إلى إقصاء الموالي -غير العرب- عن أية وظائف رئيسية وأعمال متميزة، مما جعلهم يبدون التذمر والسخط على الحكام الأمويين خاصة والعرب عامة. وقد أعقبت مطالباتهم في المساواة مع العرب في الحقوق السياسية والاجتماعية والمالية، حركات معارضة قوية للتخلص من التمييز العنصري، تزعمها الفرس الذين كانوا أكثر اعتزازاً بتاريخيهم وجنسهم، وشاركهم هذا السخط العرب أنفسهم ورجال الدين.

إلا أن الأوضاع استمرت في التدني -فساد التذمر وروح السخط، وزاده ماتطور من أفكار الخوارج ومذهبهم تمشياً مع آمال هذه الطبقات في المساواة مع العرب، فقرروا أحقية كل مسلم قادر على رعاية شئون المسلمين بتولي الخلافة وعدم حكرها على العرب، مما أشعل الروح الثورية لدى الشعوب المقهورة والتمرد على العرب، ليس من جانب الفرس فحسب، بل انتقل هذه المرة إلى البربر في شمال افريقيا، الأمر الذي الح على الخليفة «عمر بن عبدالعزيز» أن يغير الجوانب السياسية في وقته للتخفيف من الوضع المتردي، فأمر بالتوقف عن حركة الفتوح والعمل على تنظيم تلك البلاد المفتوحة للتنسيق في نشر الإسلام فيها والإلتزام بالشريعة، وإرجاع الأراضي المغتصبة إلى أصحابها أو إلي بيت المال، والعمل على المساواة بين العرب وغيرهم، وإباحة الهجرة للناس إلى أي مكان، مما جعل الأمل قوياً في أن تحقق سياسته نجاحاً كبيراً، إلا أن خلفاءه أوقفوا تلك الأعمال الشرعية فتشددوا في معاملة غير العرب مما كان لها ردود أفعال شديدة أيضاً، فامتلأت السجون وأزدادت الثورات المناوئة، والحرب بين أمراء البيت الأموي للفوز بمنصب الخلافة، واشتعلت الحرب الأهلية في الشام نفسها، وبدأ قتل الحكام والولاة - حتى أن «مروان بن محمد» آخر خلفائهم قضى سنوات حكمه في مناهضة أفراد البيت الأموي ومنافساتهم له، وذلك في نفس الوقت

الذي اشتعلت فيه الثورات والتمردات في الولايات الإسلامية قادتها طوائف ومذاهب مختلفة، كالشيعة والعباسيين والموالي والخوارج، بالإضافة إلى الأخطار الأجنبية المحاطة بالدولة الإسلامية، مما جعل الخلفاء والحكام يجتهدون في القضاء على تلك الحركات المناوئة تاركين العمل الرئيسي الذي يجب على المسلم أن يؤديه وهو جهاد أعداء الدولة الإسلامية على حدودها. إضافة إلى كل ذلك فقد انصرف الكثير من الحكام والخلفاء في حياتهم إلى اللهو والعب والمجون والحياة البعيدة عن أخلاق الإسلام ومثله، كما عاشها السلف الصالح، مما أثار غضب المسلمين وزاد من سخطهم على أعضاء الدولة. أما الأمر الذي اعتبر أكثر إثارة فكان اشتداد الروح العصبية القبلية، فعلى الرغم من أن الإسلام دعا إلى نبذ العصبية القبلية- إلا أنها ظلت كامنة في النفوس وأيقظتها سياسة الدولة وعصبية الولاة، فقد كانوا يختارون رجالهم وأعوانهم في الحكم والإدارة من العصبيات المفضلة لديهم أو التي كانوا ينتمون إليها، كما أنها وقفت وراء المؤيدين لهذا وذاك وكل متظلع إلى تلك المناصب العليا، مما جعل الشعوب تدخل في صراعات ونزاعات تقاسي من ويلاتها، حيث إنها كانت تنتهي عادة بقيام حروب عنيفة بين الأطراف المتنافسة.

وبذا فقد امتلأت أيام الحكم الأموي بالثورات والتمردات منذ بداية تأسيسها حتى نهايتها وسقوطها، وقد تعددت أطرافها وقياداتها والقائمون عليها والدافعون لها والداعون لها، فمنها ثورات خيرة وحقيقية ذات أهداف نبيلة سامية كالتي دعا إليها أبناء أهل بيت النبوة: مثل الإمام الحسين عليه السلام وأخته السيدة زينب عليها السلام وابنه الإمام علي بن الحسين عليه السلام، إذا أن استشهاده عليه السلام بعث الروح الثورية في المجتمع الإسلامي للتمرد على الحكم الأموي، فأصبح الأخذ بثأر الحسين عليه السلام شغل أهل العراق وغيرهم - حيث إنه عبد الطريق للأمم بالخروج على ولاة الفسق والفجور وإلى جهاد الظلم من استطاع إليه سبيلاً، فقد أثار

مقتله سيلاً من الثورات المتتابعة في المجتمع الاسلامي، مثل ثورة عبدالله بن حنظلة الغسيل الأنصاري في المدينة المنورة التي راح ضحيتها عدد كبير من الأنصار في موقعة الحرة، وثورة زيد بن علي وابنه يحيى، وعبدالله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب إلى ثورات أعضاء البيت الأموي نفسه - حيث تحرك الكثير منهم لإسقاط حكامهم والاستيلاء على السلطة، إلى ثورات الخوارج الذين أصبحوا شوكة في جنب الحكم الأموي، فأثرت تلك الثورات المتكررة والمستمرة إيجابيا في أضعاف الدولة واسقاطها بالتالي. كما أن الثورات التي جهد بها وأثارها أبناء الصحابة وأنصار أهل البيت مثل «ابن الزبير» في مكة الذي قضى معظم حياته في قتالهم منذ أيام يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان، وثورة التوابين وحركة المختار بن أبي عبيدة الذي اشتهر بحبه للعدل وكرهه للظلم، اذ اعتبر يد العدالة التي جاء لتقتص من قتلة الامام الحسين عليه السلام حيث شبهه بعض المؤرخين بالرئيس الامريكي "ابراهام لنكولن" أو شبهوا هذا به لانه اعتبر محررا للعبيد والموالي في الدولة الاسلامية، وثورة عبد الرحمن بن الاشعث الذي أيدت سياسته وموقفه جميع الفرق السياسية والدينية، فبايعه أهل الثغور وأهل الدين والعلماء وأشراف العرب والموالي، والشيعة والخوارج والمسيحيون، فاعتبرت ثورته أضخم حركة شعبية تحررية لاشتراك نخبة من العلماء والفقهاء والشعراء والمثقفين الاحرار بها أمثال: عامر الشعبي وسعيد بن جبير وكميل بن زياد ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وقنبر مولى الامام علي عليه السلام. كما اشترك البربر في ثوراتهم في أفريقيا - حيث هاجموا العرب هناك وقتلوا قوادهم وتحالفوا مع الرومان لإضعاف موقف المسلمين هناك، والموالي أيضاً كان لهم دورهم الكبير في تلك الثورات نتيجة انقسام المسلمين إلى عرب وموال - مما أدى إلى سوء الأحوال الإجتماعية وحرمان بعض الطوائف من حقوقها، فقد حرم الموالي من الحصول على العطاء كالعرب نظير التحاقهم بالجيش، وعدم السماح لهم بركوب

الخيل أثناء الحروب، وتعيين مسجد خاص لهم لأداء الصلاة، وجبانة خاصة لدفن موتاهم، وعدم السماح بتزويج ابنة العربي لمولى، مماجعلهم يشتركون في معظم الثورات التي اندلعت في أقاليم الدولة الاسلامية، وبخاصة ثورات المشرق التي تزعمها «الحارث بن سريج» و«جديع بن على الأزدي» المعروف بالكرماني، واللذان استمالا الموالى بمنحهم وعوداً بالعمل على إسقاط الجزية عنهم وإشراكهم في الأعطيات الخاصة بالمقاتلين المسلمين، وكذلك دخلوا ضمن ثورة «أبي مسلم الخراساني» التي اشترك فيها جميع العناصر الساخطة على الأمويين مع الارستقراطية العربية، وبايعته القبائل العربية على العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والطاعة للرضا من أهل البيت؛ واعتبر ذلك تحالفاً بين آل علي عليه السلام والعباس للقضاء على الحكم الأموي وإعادة الخلافة إلى أصحابها الشرعيين - على الرغم من أن ذلك لم يحدث.

فالعباسيون اعتمدوا على الأرستقراطية الفارسية في الحكم مما نتج عنه صراع طويل ومرير بين العنصرين العربي والفارسي، ذلك لأنهم فشلوا في تحقيق ماوعدوا به طبقات الموالي - الجماهير الشعبية - من مساواتهم بالعرب وتحسين أحوالهم المعيشية، إلا أن هاتين الطبقتين المتنافستين اتحدتا في العمل على تحقيق استقلالهما وتثبيت مكانتهما عندما شعرتا بضياع نفوذهما السياسي في دار الخلافة بعد تفوق العنصر التركي منذ أن أتخذ منهم «المعتصم» قوة للقضاء على نفوذهما، الأمر الذي أضعف نفوذ الخلفاء في العصر العباسي الثاني وأدى إلى تفكك الدولة الكبيرة الواسعة الأطراف إلى دويلات مستقلة شرقاً وغرفاً حتى لم يبق فيها إلا الصورة الرسمية فقط.

وكانت الثورة العباسية قد رفعت شعارات إعلامية لتحقيق الأهداف التالية:

- المساواة بين الشعوب وذلك بانصاف الفئة التي أسلمت وتعربت واندمجت في ظل الدولة العربية الإسلامية.

- **والإمامة لآل محمد**: وذلك بصرورة نقل الخلافة من بني أمية باعتبارهم غاصبين، فكان من الأهمية جعل الإمامة في أهلها المستحقين لها على أمل إصلاح الأمة على يد آل البيت.

- **الإصلاح بالدعوة**: إلى التمسك ببعض الأصول الإسلامية كالجزية، وسيرة الولاة والخلفاء وإقرار العدالة المثالية، إذ إن أحداثاً مثيرة مرت على المسملين تركت في النفوس آثاراً مريرة، مثل: حصار الكعبة، وانتهاك حرمة المدينة يوم الحرة، وسفك دماء أهل البيت ﷺ والابتعاد عن سيرة الخلف الصالح، وسياسة الجبر والقهر والاستبداد واضطهاد المعارضة وحب الترف واللهو وكثرة المظاهر، وتعدد المذاهب وتصارعها وظهور أقوال كثيرة غير مألوفة واحزاب ومبادئ غير معروفة والاعتماد على العصبية في الحكم والتناحر من أجله.

وهكذا، فقد ظهر العباسيون على سطح الحياة الإسلامية بانتقال جذري وتطور عميق في حياة المسلمين، إذ فتحوا صفحة جديدة في الصراع العالمي وموقف العالم الإسلامي من القوى المحيطة به، فتطورت علاقات الدولة الإسلامية بالبيزنطيين، فلم تعد الدولة العباسية تهتم مباشرة ببلاد الشام وشرق البحر المتوسط كما اهتم بها الأمويون، إذ إن الإمارات الاسلامية المستقلة في المغرب والأندلس تولت مسئولية الدفاع عنها، فقلت الاشتباكات البرية والبحرية وأتخذت طابعاً جامداً، واعتنوا بنظام الثغور وأقاموا سلسلة من الحصون والمراكز العسكرية تمركز بها المرابطون الذين انشغلوا بالعارات الخاطفة، وانصرفوا نحو الشرق لمواجهة الخطر الصيني الذي تطور إلى علاقات وثيقة بين الطرفين سياسياً وتجارياً. كما تحالف الرشيد مع «شارلمان» امبراطور الدولة الرومانية الغربية لمحاربة جبهة متحالفة ضدهما تكونت من الأمويين في الأندلس مع أباطرة القسطنطينية، فالأول يرغب في التخلص من الأمويين والثاني يتطلع إلى السيادة على العالم المسيحي في الشرق.

كما أن هذا العصر تميز بالتحرير الاسلامي حينما بدأت العناصر المسلمة الجديدة تدخل ميدان الثقافة والعلوم وتسيطر على الحياة السياسية والجيش حتى أصبحوا أداة للحركات الاستقلالية التي انطلقت في العالم الاسلامي.

ففي القرن (٣هـ) في العصر العباسي الأول تحررت طبقات العمال والفلاحين من أغلال النفوذ السابق وتم الإعفاء من الجزية، واباحة ملكية الأرض والتخفف من الضرائب وقلة الهجرة من الريف إلى المدن والاستقرار بأمان في مناطقهم - فأنطلقت الطبقة الوسطى تغامر في ميادين الاقتصاد المفتوحة - عصر الانفتاح - فحصلوا على الثروات حولتهم إلى طبقات أرستقراطية جديدة ذات قوة ونفوذ، مما جعل الوقت مهيأ لقيام الحركات الاستقلالية، وظهور أفكار ومبادئ فكرية وثقافية جديدة كان لها الأثر في إنشاء المدارس الإقليمية والتنافس بينها، فبرزت كثير من الدعوات الهادامة كالروائدية والزندقة وغيرها، فواجهتهم الثورات المضادة والأفكار المناوئة.

وإذا كان العصر العباسي الأول هو عصر النفوذ الفارسي الذي انتهي في (٢٣٢هـ) فإن العصر العباسي الثاني تميز بغلبة العنصر التركي مابين (٢٣٢-٣٣٤هـ) حين أعاد الفرس نفوذهم حتى (٤٤٧هـ) وانتهى بعودة النفوذ التركي حتى سقوط بغداد في ٦٥٦هـ. فقد برزت أسر وعائلات كبيرة كان لها شأنها في الحكم والادارة والسياسة مثل البرامكة الذين زاد نفوذهم أيام الرشيد وأثروا في نظام الحكم حين قرروا إمكانية ولاية العهد لأكثر من اثنين، مما أدى بعدئذ إلى الصراع بين الأطراف المتنافسة على الحكم، وكذلك أسرة بني سهل أيام المأمون، حتى أيام المعتصم الذي اعتمد على الأتراك الذين سيطروا على بغداد فتركها الخليفة إلى سامراء التي اتخذها عاصمة له ومعسكراً لجنده الأتراك. فإذا قيل أن العصر الأول تميز بالقوة والتمسك بالإمامة والخلافة والدعوة وتقوية الصلة بالأتباع في المشرق والمغرب، فان العصر العباسي الثاني شاهد زوال كل ذلك، إذ

فقد الخلفاء الفعالية والصلة، فظهرت دعوات جديدة استقلالية في أرجاء الدولة كالقرامطة في الاحساء والشام، والخوارج في المغرب والإسماعيلية في اليمن ومصر والمغرب.

ويمكن توضيح ذلك بصور أفضل عندما نتناول بإيجاز أحداث العصرين، فقد قامت في الدولة العباسية كما في الدولة الأموية ثورات وتمردات كثيرة بسبب الأنصراف عن المبادئ والأهداف المعلنة، فقد ثار «محمد ذو النفس الزكية» في المدينة المنورة مؤيداً من قبل الإمام مالك الذي أصدر فتوى في صالح العلويين وأحقيتهم بالخلافة، كما قام أخوه إبراهيم بالبصرة والأقاليم الفارسية، والحسين بن علي بن الحسن في مكة، وادريس بن عبدالله الذي سار إلى مراكش بالمغرب الأقصى واستغل ميل البربر الطبيعي لآل البيت وسخطهم على الحكم الإسلامي منذ العصر الأموي، فبايعوه بالخلافة وأسس دولة الأدارسة العلوية، وهي أول دولة علوية نجح العلويون في إقامتها، فاستمرت دولته من (١٧٢ إلى ٣٨٥هـ) مما جعل الرشيد يمنح الأغالبة في تونس الاستقلال ليجعل منهم دولة حاجزة بينهم وبين الأدارسة.

كما أن يحيى أخوه اتصل بالديلم ونشر دعوته عند الفرس الشيعة، ومحمد بن إبراهيم بن اسماعيل، أحد أحفاد الحسين عليه السلام انتزع الكوفة، ومحمد بن زيد الذي اتسعت دعوته وامتدت إلى الحجاز والبصرة، وإبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق الذي دعا لنفسه باليمن، وثورة الزنج الكبرى التي كاد زعيمها أن يستولي على بغداد نفسها، والقرامطة الذين ظهروا في القرن ١٠م، وغزوا سورية وفلسطين ومابين النهرين وأسسوا دولتهم في الأحساء، وثورات قبائل البربر في المغرب وأخرى في خراسان، وفي مصر التي قامت بها الثورات القومية التي أدت في النهاية إلى تأسيس إمارات مستقلة بها.

أما العصر الثاني - فإنه تميز بظهور حركات استقلالية وقيام إمارات مستقلة في الشرق والغرب، مما أفقد الخلافة الفعالية والتأثير فعاشت رمزاً للدولة الإسلامية إلى أن دخلها المغول وأنهى وجودها. كما تميز أيضاً بالحركات الفكرية الهدامة كالمزدكية والمانوية والزندقة، دفعت الدولة إلى تنظيم حملات قوية تصارع هذه الحركات - كما قاوم العلماء هذه التيارات الهدامة، كما وضح في هذا العصر افتقاد الدولة لهيبتها، فأصبح الخلفاء عرضة لتنكيل الطامعين والمستبدين حتى لم تعد الدولة قادرة على التوزان بين القوة المركزية في بغداد واللامركزية المتطورة في الأقاليم نتيجة مطالبة المسلمين الجدد بنصيب أوفر في الحقوق - وهو الأمر الذي أدى إلى استقلال الإمارات واعتراف الخلفاء بها طوعاً أو كرها.

إن ضعف الخلفاء والتدخل في حياتهم بالسجن أو التعذيب أو العزل، وانصرافهم إلى اللهو والترف أفقدهم في الحقيقة وضعهم الأساسي، ففقدوا الهيبة والقداسة في نفوس الأفراد فتعرضوا لصور كثيرة من الذل والإمتهان.

أما أهم الدويلات والإمارات المستقلة في هذا العصر فيمكن تناولها بإيجاز لبيان الوضع السائد في تلك الفترة - فقد قسمت الدولة العباسية إلى مشرق ومغرب، كانت مرو عاصمة للقسم الشرقي، ودمشق أو العسكر في مصر عاصمة للقسم الغربي، وكان قد جرى العرف بجواز قيام سلطان آخر أو أكثر إلى جانب الخليفة، على أن يستمد سلطانه من هذا الخليفة. فالدويلات التي قامت في المغرب الأقصى، شملت دولة في القيروان برئاسة «عقبة بن نافع» والأغالبة في تونس، والرستميين في تيهرت بالمغرب، والأدارسة الشيعة الذين أسسوا مدينة فاس كمركز ثقافي لنشر الثقافة العربية وأصول حضارتها حتى أصبحت نموذجاً للمدارس في المغرب، وقاموا بدور كبير في نشر الإسلام، وكان لهم الفضل في ذلك في حوض السنغال.

أما في منطقة فارس، «فظهرت الدولة الطاهرية» بخراسان بقيادة «طاهر بن الحسين» الذي سيطر بالاضافة إلى تلك الأجزاء على اليمامة والبحرين وعمان وعين عليها ولاته، وكون جيشاً من نزلاء السجون والرعاع والسوقة، للهجوم على بغداد فساءت الأحوال وغلت الأسعار ومنع الماء والدقيق عن الخليفة الأمين في حربه ضد المأمون. «والدولة الصفارية» في أقليم فارس، والزيارية في جنوب بحر قزوين بطرستان، والسامانية في خراسان وفيما وراء النهر، وقد شجعوا اللغة الفارسية الحديثة وإحياءها وتشجيع القومية الإيرانية وثقافتها الجديدة.

«والدولة البويهية» الشيعية التي تحكمت في الخلافة والسيطرة على الخليفة، فامتد نفوذهم في أرجاء واسعة حتى سيطروا على العالم الإسلامي كله، وأقاموا علاقات مع الفاطميين في مصر واستمرت دولتهم حتى (٤٤٧هـ) بظهور السلاحقة الأتراك الذين سيطروا على الوضع في (٩٥٦م) وعلى أجزاء الدولة العباسية.

وفي الشام، ظهر «الحمدانيون» من بني تغلب، واتسعت دولتهم في عهد «سيف الدولة» الذي جاهد في حرب البيزنطيين عشرين عاماً كانت مقدمة للصراع بين المسلمين والمسيحيين في الحروب الصليبية القادمة، وحارب أيضاً الإخشيد حتى أنهى حكمهم الفاطميون - وكذلك استولى «نور الدين محمود زنكي» على الشام وأسس إمارات فيها، وتبادل الحروب مع الصليبيين طوال مدة حكمه.

أما «مصر» فقد كانت تربة خصبة لدعاة العلويين، حيث كثر وجودهم بها أيام العباسيين، وقد تمكن «أحمد بن طولون» من تأسيس دولة وراثية له في مصر، ثم تلتها دولة الإخشيد، وقد أنهى «محمد بن سليمان الكاتب» الدولة الطولونية من قبل الخليفة العباسي بعدما أذل أبناءه وعاملهم معاملة الأسرى، كما أحرق جنوده المؤسسات والمباني ونهبوا ما أمكن - أما الإخشيد فقد أعلن

القرامطة عليهم الحرب حتى ضعفوا فأنهاهم الفاطميون. وقد استقلت مصر في عهدهم لأول مرة تماماً عن الدولة الإسلامية، بل أصبحت مركزاً لإمبراطورية واسعة قوية، ذات حضارة مجيدة مزدهرة ضمت مصر والمغرب والشام وبلاد العرب واليمن وجزيرة صقلية، وإذا كانوا قد اعتنوا بالقضاء على الدولة العباسية فإن المغول أسقطوها في ٦٥٦هـ. وقد بنوا القاهرة عاصمة والأزهر مركزاً دينياً لنشر الدعوة الإسماعيلية، وأقاموا علاقات مع الهند وحولوا تجارتها مع الشرق الأوسط من الخليج إلى البحر الأحمر، وقد حاربهم العباسيون في الشرق والأمويون غرباً في الأندلس، كما كان القرامطة خطراً مهدداً لهم في فترة محددة.

أما في الأندلس فقد تأسست الدولة الأموية مستقلة عن الخلافة العباسية ومناوئة لها، سكنتها دويلات مغربية استمرت حتى (١٤٩٢م) وقد جهد العباسيون للقضاء عليها منذ لحظة تأسيسها وتحالفوا مع الغرب في سبيل ذلك واستغلوا القبائل العربية فيها لإثارة القلاقل والفتن والمتاعب أمام الحكم الأموي، إلا أن جميع خططهم فشلت في تحقيق أهدافهم.

كما أن «محمود الغزنوي» تمكن من إقامة دولة غزنوية في الهند مابين (٩٦٢-١١٨٦م) فسيطرت على إقليم البنجاب والسند وافغانستان، وكانت تعبيراً عن أقليمية هندية ثقافياً وسياسياً. وقد استمرت الحركات الاستقلالية في الهند بعد هذه الدولة إلى أيام الاحتلال البريطاني لها حين أنهوا آخر دولة هندية إسلامية فيها وهي دولة المغول.

وبذا فقد تفككت الدولة الإسلامية الكبيرة إلى أقسام صغيرة ودويلات مستقلة، حتى لم يبق في يد الخليفة إلا وسط العراق، كما أن السلطة الفعلية تحولت إلى الوزير حيث تقلد الإمارة ورئاسة الجيوش فأصبحت له الرئاسة التامة في الدولة.

إن تلك الأحداث المثيرة التي مرت على العالم الإسلامي اضعفت كيان الخلافة حين استولى الأمراء على السلطة والوزراء على الحكم وتزايدت الفتن بين العربان وغلت الأسعار وظهرت الأوبئة الخطيرة والمجاعات، مما أدى إلى إنفصال الدولة في شمال أفريقيا، وفي بغداد والحجار، واحتل النورمان صقلية، واحتدمت النزاعات بين عناصر الجيش الذي ضم المغاربة والعرب والأتراك والأرمن والسودان. وقد اشتهر في تلك المنافسات والمشاحنات ماحدث من نزاع بين شاور وضرغام لتنافسهما على السلطة في مصر، وماجرى بعد ذلك من أحداث حين تدخل نور الدين محمود في الشام بجيشه الذي قاده أسد الدين شيركوه لإصلاح الوضع بين هؤلاء الوزراء، وكان صلاح الدين الأيوبي مصاحباً لهذا الجيش فتمكن من استغلال الوضع واستخلاص مصر لنفسه. فتخلص من الفاطميين وأنهى دولتهم، ونفى معظم أفرادهم إلى الصعيد وأزال الكثير من مظاهر الشيعة ومذهبهم، ومنع الاختلاط بينهم وحدد اقامتهم.[(١)] إلا أن نور الدين قرر محاربته حين علم بطمعه ونواياه في الاستقلال بمصر، إلا أنه مات قبل تنفيذ خططه، الأمر الذي ساعد صلاح الدين على تأسيس دولة له ولأسرته في مصر والشام سنة (١١٧٦م) وحارب الصليبيين فترة ثم مات فبدأت سلسلة من المنازعات والصراعات بين «أبناء البيت الأيوبي» أنهت دولتهم في سنة (١٢٥٠م) فساعد ذلك الصليبيين على احتلال مصر، إلا أن المماليك الذين برزوا أيام الأيوبيين تمكنوا من الصمود أمامهم وإيقافهم عند حدهم.

وكان الخلفاء العباسيون والأمراء الطولونيون والأخشيد والفاطميون قد اعتمدوا على هؤلاء المماليك في تأسيس إماراتهم وإنشاء دولهم، فزادت أعدادهم في مصر والشام منذ ١١٩٣م) واستخدمهم أبناء البيت الأيوبي في

---

(١) أخرج صلاح الدين قبور الخلفاء الفاطميين في مكان خان الخليلي وحمل عظامهم على الحمير لترمى في المزابل.

منافساتهم وصراعاتهم الداخلية لتقوية وجودهم أمام خصومهم، فشهدت الفترة من نهاية القرن ١٢ وبداية القرن ١٣م ازدياد نفوذ المماليك في مختلف الإمارات العربية الإسلامية، وأصبحت لهم الكلمة المسموعة في الأحداث والخلافات التي تعرضت لها المنطقة، كما تمكنوا من تدبير المؤامرات لإسقاط الحكام والتدخل في شؤونهم السياسية، والعبث بمصالح البلاد والعباد والإعتداء على أموال الناس وأرزاقهم. إلا أنهم أثبتوا وجودهم وكفايتهم في الادارة، وقوة إيمانهم بأنفسهم أمام أخطار كبيرة وقوية واجهها العالم الإسلامي في منتصف القرن (١٣م) كان أهمها الخطر الصليبي والتتار، وغزاة الشرق والغرب والعثمانيين.

ومن أكبر تلك الغزوات وأعظم الأخطار التي تركت اثاراً خطيرة في تاريخ الشرق غزوات التتار، حين نجح زعيمهم جنكيزخان في توحيد قبائلهم في أوائل القرن(١٣م) حتى أصبحوا قوة رهيبة اندفعت غرباً نحو اسيا والشرق الأدنى، حتى قرر هولاكو التوجه إلى فتح إيران ومصر والشام وبلاد الروم، فأنهوا الدولة الخوارزمية وسيطروا على إيران ثم دخلوا بغداد في عهد المستعصم بالله العباسي (١٢٥٨م) وقتلوا فيها من الأهالي وأجروا مذبحة رهيبة استمرت أربعين يوماً، وأشعلوا النار في المدينة فزال كثير من تراث الإسلام، كما قتلوا الخليفة واستأصلوا جذور البيت العباسي كله.

وقد أحدث كل هذا هزة عنيفة في العالم الإسلامي فأعلن جميع أمرائه خضوعهم للتتار واسترضاءهم بالاستسلام طلباً للنجاة وتجنباً لسوء العاقبة، فأسرع أمراء البيت الأيوبي يعلنون خضوعهم لهم، إذ لم يقدروا الموقف، فأغاروا على ممتلكاتهم وذبحوا الأفراد في المدن وقتلوا أمراءهم وحملوا رؤوسهم وطافوا بها في جميع أنحاء الشام، ولاشك أن تخاذل الأمراء الأيوبيين أمام التتار واستسلامهم وفرارهم أمامهم كان بمثابة تنازلهم عن ملكهم، فتولى الدفاع عن ممتلكاتهم المماليك بزعامة قطز في مصر، الذي هدده المغول بالويل والثبور وسوء

العاقبة إذا قاومهم، (فنحن مانرحم من بكى ولانرق لمن شكى، وفتحنا البلاد وطهرنا الأرض من الفساد وقتلنا معظم العباد فعليكم بالهرب وعلينا بالطلب).
إلا أن المماليك تمكنوا في عين جالوت (١٢٦٠م) من المجابهة والصمود أمامهم فهزموهم وولوا الأدبار وأنقذوا البلاد من الخراب والدمار. ولقد ثبت للمماليك أن الأمراء الأيوبيين لم يتقاعسوا عن صد التتار ونفورهم من الجهاد فحسب بل إنهم تواطؤوا معهم واشتركوا في جبهتهم في محاربة إخوانهم المسلمين، مما أفقدهم أي حق شرعي في الملك.

أما الخطر الثاني الكبير فقد كان من جانب الصليبيين القادمين من الغرب، وإذا كان الخطر المغولي مفاجئاً لايرتبط هدفه سوى بالرغبة في التوسع والنهب وسفك الدماء، فإن الخطر الغربي ارتبط بأصول قديمة ترجع إلى أيام التوسع الإسلامي في القرن (٧م) هادفاً لأغراض سياسية واقتصادية بمسحة دينية.

وقد تتابع دفاع المماليك تجاههم منذ «بيبرس وقلاوون والأشرف خليل» لينجحوا في إنهاء وجودهم بالإمارات التي أسسوها في الشام وطردهم نهائياً منها.

وقدم الخطر الثالث من الشرق أيضاً وهو تيمور لنك الذي اتخذ سمرقند قاعدة لأعماله التوسعية في القرن (١٤م) فاستولى على ماوراء النهر وخراسان وإيران واتجه إلى الشام واستولى على بغداد في ١٣٩٣ وخربها وقتل الكثير من أهلها، كما حارب العثمانيين واستولى على أنقرة، إلا أنه توفي فتعرضت دولته الواسعة للتمزيق، وتمكن المماليك من حفظ ممتلكاتهم في الشام ومصر.

وجاء الخطر الرابع من الغرب ثانية، فقد كان عصر الاكتشافات قد بدأ واتجه المغامرون الأوروبيون وبخاصة أهل البرتغال إلى المناطق العربية بعدما عرفوا طريق رأس الرجاء الصالح، مما جعلهم في وضع المهدد لمصالح الدول العربية

الاقتصادية وخاصة مصر، فاستنجد أمراء جنوب شبه الجزيرة العربية بالسلطان المملوكي قانصوه الغوري للتخلص من هذاالخطر الجديد، إلا أن البرتغال هاجموا المدن العربية في الخليج في ١٥١٣م.

وفي هذا الوقت كان العثمانيون قد برزوا في المنطقة كأكبر خطر هدد نفوذ المماليك في أوائل القرن ١٦م فبعد أن احتلوا جهات في أوروبا توجهوا نحو الشرق للتوسع على حساب الصفويين الشيعة في فارس والعراق، كما أنهم رأوا ضرورة التلخص من المماليك لاحتلال مصر والشام فانهزم المماليك أمامهم في عدة مواقع، وأستخدم السلطان سليم لهجة شديدة في تهديده لآخر حكامهم طومانباي حيث عيره بأصله (إنك مملوك تباع وتشتري ولا تصلح لك ولاية ملك) وإذا رفض الأذعان له فإنه (سيدخل مصر ويقتل جميع من فيها من المماليك ويشق بطون الحوامل ليقتل الجنين الذي في بطنها من المماليك). وهكذا تمكن العثمانيون من إنهاء حكم المماليك فدخلوا القاهرة وأعملوا السيف في كل مملوك رأوه في الشوارع ونهبوا المدينة، فبدأت دولة بني عثمان تحكم المنطقة العربية منذ (١٥١٧) لعدة قرون قادمة.

وبعد، فقد تبين لنا من كل ذلك، أحوال العالم الإسلامي السياسية والإجتماعية، فقد وضح ضعف الخلفاء والقادة وارتباك الحكومات، مما أطمع الولاة وأنصارهم في الحكم، فتنازعوا فيما بينهم في سبيل ذلك، فانشغلوا عن مصالح الأمة بمصالحهم الخاصة، وغلبت روح العشيرة ومصالحها الجزئية على روح الأمة ومصالحها الحيوية العامة، فكانت أداة ووسيلة إلى تدمير الأمة ككل، فالخليفة في الواقع لم يعد خليفة رسول الله ﷺ بل أصبح ملكاً، والأمة لم تعد جماعة متعاونة مع هيئة الحكم لرفع شأنها وتوسيع نطاقها، بل أصبحت رعبة لا رأي لها، والمقاتلون لم يعودوا مجاهدين في سبيل الله، بل جنوداً يعملون للدولة مأجورين فيها لتحقيق أهدافها وخدمة رجالها، والأموال لم تقتصر على مايرضاه

الشرع بل على جباية مفروضة من الخليفة ورجاله، تستخدم لمصالحهم، والأجور لم تدفع من بيت مال المسلمين بل من بيت مال الخليفة.

ومن جانب آخر، نرى أنه كان للنساء السطوة على الخلفاء فيتدخلن في شؤون الحكم حتى أصبح الأمر والنهي بيد تلك النساء اللاتي أصبح لهن نفوذ في تقرير مصير الوزراء وكبار الموظفين في العزل والتعيين، مثل صاحب المظالم الذي تولته امرأة من خادمات السيدة أم الخليفة المقتدر، التي عزلت الوزراء وصادرت أموالهم، فكثرت التوليات والعزل، وانتشرت الرشاوي والمحسوبية والوساطات في سبيل الوصول إلى المناصب العليا، وخرج القواد على الخليفة وتصرفوا بالأمور حتى أن بعضهم استعان باللصوص والمجرمين في الحكم والادارة بشرط تأمين الأموال لهم. كما انتشر الغناء والإهتمام بمجالس الطرب، فقد حفلت قصور الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة والأعيان بالندماء والمغنيين والموسيقيين، وجعل لهن الخلفاء مراتب وطبقات فاجتمعوا على أبوابهم حيث أجزلوا لهم الأعطيات، كما رفعوهم إلى أعلى الدرجات.

أما في العصر المملوكي، فقد كثرت الاضطرابات والفتن والحروب الأهلية، وتعسف أمراؤهم في جمع الأموال وفرض الضرائب حيث فرضت على الحوانيت والأراضي والعقارات والطواحين والسفن ودواب النقل وخدم القصور والأوقاف الخيرية، وكان ذلك كله على حساب الشعب الذي ازدادت حالته سوءاً وفقراً. كما أن الأفراد تقسموا إلى طوائف، فوجدت عصبيات عنصرية تناحرت فيما بينها طوال العصر المملوكي.

ونأتي الآن لنسأل عن دور الجزيرة العربية أو بالأخص شرقيها الأحساء - موضوع البحث - في تلك الأحداث المثيرة التي مرت على العالم الإسلامي. إننا نلاحظ أن المسلمين احتلوا أقاليم فارس الجنوبية والشاطئ الشرقي للخليج، أما أقاليم الشاطئ الغربي فقد أسلمت دون قتال، حيث أوفدت بعوثها ووفودها إلى

المدنية المنورة لتعلن إسلامها على يدي الرسول ﷺ فأصبح الخليج بحيرة إسلامية في ٦٤٣م، ومثلما قامت في المناطق الإسلامية حركات معارضة للحكومات والخلفاء في الدولة الأموية والعباسية، فان منطقة الخليج اشترك أفرادها في تلك الحركات والمقاومات، فعندما حدثت الردة في الجزيرة العربية اشترك أبناء الخليج في أحداثها وقامت فيها أكبر حركات الردة، كما اشتركوا مع باقي أفراد المسلمين في الفتوحات الإسلامية، وكانوا أول الشعوب التي حاولت غزو المناطق غير الإسلامية بحراً، كما أنهم كانوا في صفوف جيش الإمام علي عليه السلام ضد مناوئيه وفي حروبه ضد معاوية في صفين، كما أن الفترة مابين (٦٨٤-٦٩٢م) كان الجنوب العربي موالياً لعبدالله بن الزبير حيث انقطعت السيادة عليها، كما احتل الخوارج النجدات وغيرهم مناطق الخليج وبسطوا سلطانهم على الجزيرة العربية، وقامت فيها الإمارات المستقلة عن الخلافة المركزية مثلما حدث في الأجزاء الأخرى من الدولة الإسلامية كدولة القرامطة وغيرها. وقد حاولت المنطقة في العصر العباسي استرجاع مكانتها في العالم الإسلامي بزعامة العلويين وبشكل خاص من الفرع الحسني، فقاموا بعد استيلاء العباسيين على الحكم بالمعارضة والثورة، ونظروا إلى الأماكن النائية لإقامة حكم اسلامي فيها بجانب دولة الخلافة، كالقرامطة الذين أسسوا دولة قوية في هجر والبحرين، مثلما انتهز الآخرون من العلويين الفرصة عند ضعف واضطراب الأمور في الدولة المركزية بعد استئثار الأتراك بالسلطة فنشطوا بالدعوة في الولايات البعيدة عن مركز الخلافة واقامة خلافة فاطمية شيعية في افريقيا ومصر كان لها اتصال دائم بالجزيرة العربية ومنطقة هجر والبحرين وبخاصة أثناء حكم القرامطة.

وقد لاحظنا أن الأحداث المثيرة والكثيرة والمتتالية والقوية لم تعط الفرصة لحكام العصر الأموي والعباسي للأهتمام بالشعوب والمناطق الإسلامية، ولذا فقد أهملوا الجزيرة العربية - إلا مكة والمدينة - ونتيجة لذلك فقد سادت الغوضى في

أرجائها وانقسمت إلي ولايات وإمارات ودول يحكمها أمراء مستقلون لاسلطان لأحد عليهم فوصل الأمر فيها وكأن الجاهلية الأولى قد عادت إليها، ففي البادية كانت القبال العربية تعيش في الأحساء دون أن يكون لها أي دور سياسي وذلك لانتقال العاصمة العربية إلى دمشق وبغداد والقاهرة والأندلس وغيرها، كما فرقتها تناحر القبائل فانقطعت الصلات التاريخية بينها وبين أجزاء العالم الإسلامي.

كما أن المنطقة أصبحت ملجأ للفارين أو طالبي السلام والأمان نتيجة الغزوات الخطيرة التي تعرضت لها الدول الإسلامية، فكانت خير مأمن مستقر (مطمئن) لهؤلاء الأفراد، فمنذ القرن الحادي عشر والأخطار الخارجية تحدق بالمناطق الإسلامية، إذ قدم اليها التتار والصليبيون فاضطربت ديار الإسلام والجزيرة العربية كانت من ضمنها، فكثر الفتك والقتل والسلك والنهب، مما أثر سلباً عليها، فمرت الجزيرة العربية بأسوأ عصورها وتفشت الأمراض الإجتماعية وكثرت الفتن وزاد الغلاء حتى باع الناس أولادهم، فساءت نفوس الناس وفروا من العراق والشام ومصر خوفاً من هؤلاء الغزاة والطغاة إلي الحجاز والقسم الشرقي من الجزيرة بحثاً عن الأمان والسلامة والنجاة بأموالهم وأولادهم.

وإذا كانت مناطق نجد وغيرها في الجزيرة قد انتشر فيها الجهل وعدم المعرفة وعدم الاهتمام بالعلم، فإن مناطق أخرى فيها كانت على العكس من ذلك، فقد استمرت مناطق مثل اليمن ومكة والمدينة والأحساء بالأهتمام بتلك الجوانب المعرفيه حيث عاش فيها الأئمة العلويون، والأحساء كانت على اتصال بمناطق العلم والحضارة في الدول الإسلامية، حتى أنه عندما دخلها الوهابيون في القرن(١٨م) كان من بين ماخربوا وهدموا، الكتب والمكتبات الموجودة فيها. وتتغير الأوضاع في المنطقة حين يصلها المكتشفون الأوروبيون ويسيطرون على بعض مناطقها الاستراتجية الهامة، ويدخل معهم العثمانيون في سباق التنافس

على السيطرة والاستيلاء، فنرى أن الجزء الشرقي من الجزيرة وخاصة الأحساء كانت من بين الأجزاء التي حاربوا من أجل الاستيلاء عليها، وكذلك الفرس دخلوا مع هؤلاء وأولئك في حروب تنافسية للاستيلاء والسيطرة في الوقت الذي كانت قد تأسست فيها أقوى دولة ظهرت في الجزيرة العربية وهي «دولة بني خالد» الذين اتخذوا الأحساء مركزاً ومقراً لهم.

الفصل الثامن

تأسيس الدول والممالك والإمارات المستقلة

القرامطة - الخوارج - الأخيضريون

١ - دولة القرامطة :

أمبراطورية القرامطة :

اعتبرت ولاية البحرين - الأحساء الحالية - تربة صالحة خصبة لنمو الحركات الثورية، وذلك لانعزالها وصعوبة الوصول اليها، واختلاط سكانها الذي ضم كثيراً منهم ممن ساهم في ثورة الزنج والثورات الأخرى. وقد تمكن القرامطة في أوائل القرن (١٠م) من السيطرة على الولاية بعد أن طردوا رجال الدولة العباسية - فقد كان ظهورهم على مسرح الأحداث حوالي عام (٢٧٧هـ) بعد القضاء على ثورة الزنج بسبع سنوات، مما كان له الأثر الكبير في تطور الأحداث في السنوات التالية.

وقد سميت حركتهم بالقرامطة نسبة إلى «حمدان قرمط» - حيث تذكر المراجع أنه أسس الحركة القرمطية في «واسط» بين الكوفة والبصرة، خلال عام (٨٩٢م) وأنشأ فروعاً لها كان من بينها فرع البحرين الذي أسسه «أبوسعيد». ودخل في طاعة «حمدان» كثير من الأنباط السواديين وبعض الأعراب الذين اعتبروها دعوة علوية، وغيرهم، وكان الفقيه «عبدان» من مؤلفي كتبهم الفقهية.

واشتهر من رؤسائهم: «أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي»(١): وهو القائد الذي تمكن من السيطرة على البحرين لنشر دعوة القرامطة - حيث استولى على «هجر» العاصمة، وأتخذ الأحساء عاصمة لدولته الجديدة التي أسسها في

---

(١) الجنابة: بلدة صغيرة على ساحل فارس بينها وبين سيراف ٥٤ فرسخاً وهي دشتسان ومن توابع بوشهر وهي بندر كناوة وهي سيئة الهواء ورديئة الماء لازرع فيها لأن أرضها سبخه (ياقوت الحموي - معجم البلدان)، ويذكر القزويني عن بندر كناوة، أن الإيرانيين يسمونها كنفه أو أب كندة لتلوث مياهها. وقد عرف بعد ذلك مصدر هذا التلوث، إذ وجد في أرضها النفط الذي كان فيها منذ القدم مما كان يسبب ذلك التلوث.

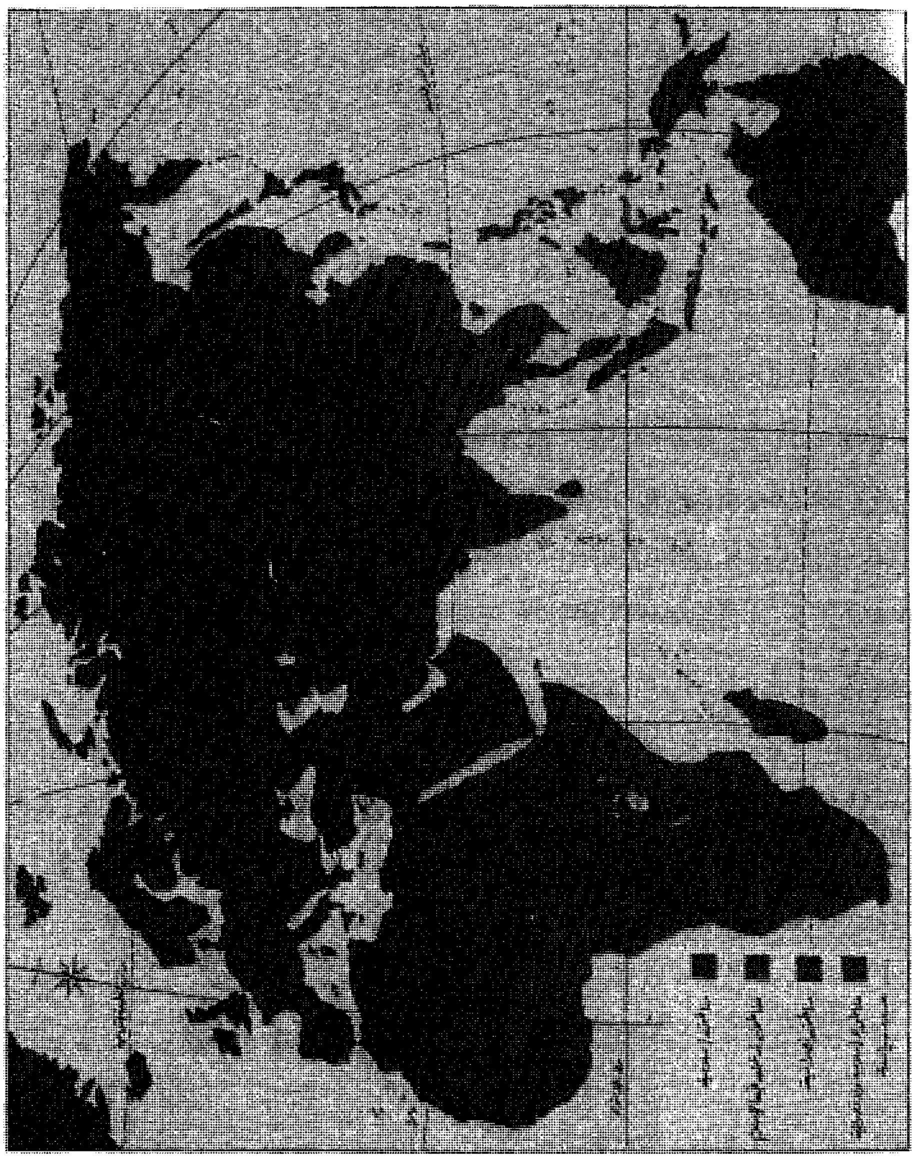
(٩٠٠م-٢٨٦هـ) فأصبح لها شأن كبير في جزيرة العرب - إذ تمكن من بسط نفوذه على كثير من أرجائها. وخاصة أنه جعل الإمام «الحسين بن علي بن أبي طالب»عليه السلام مثلاً له، أي مطالباً بحق الحسينعليه السلام فكثر أتباعه من الفلاحين والصناع والبدو والأعراب وبث فيهم الروح الثورية ودفعهم إلى الانطلاق والثورة - وبذا فان حركته لم تكن سلمية بل ثورية دعت إلى حمل السلاح في وجه الدولة، وأول حملة مسلحة قاموا بها كانت في (٢٨٤هـ) حينما هددوا بغداد العاصمة دون أن يتمكن الخليفة العباسي من الدفاع عنها، بسبب كثيرة المويدين والأنصار للدعوة الجديدة في بغداد، ثم هاجم البصرة وفتك بجند الخليفة المتعضد ثم سار إلى هجر.

فقامت بها حكومة ملكية وراثية في بيت «أبوسعيد» بمعاونة مجلس مكون من اثنى عشر عضواً، كان هو القائد الأعلى للجيش وبيده السلطة المطلقة، واقتصر سكانها من العرب في العمل بالجيش، حيث أنشأ جيشاً قوياً ابتدأ بتدريب الأطفال في دور خاصة بهم على ركوب الخيل واستخدام الأسلحة الحربية فنشأوا نشأة عسكرية، كما استخدم العبيد في زراعة الأرض.

وبعد أن أغتيل أبوسعيد في (٣٠٢هـ-٩١٢م) جاء بعده في الحكم ابنه «أبو طاهر سليمان» الذي شيد الأحساء عام ٩١٢م[1] وجعلها عاصمة له. وفي ٩٢٣م أنشأ قلعة ضخمة في الأحساء سماها «المؤمنية» كما سميت بدار الهجرة. كان طموحاً إلى المجد والعظمة، فنظم شؤون دولته على أنه سيتحكم في جزيرة العرب كلها، فركز سياسته على تأييد الفاطميين ومعاداة العباسيين، ذلك أنه قام بإشغال العباسيين عن توسع الفاطميين وتوطيد نفوذهم في المغرب - أي أن غاراتهم كانت حاجزاً للفاطميين ومساعداً لهم لتوسيع نفوذهم وازدياد قوتهم في المغرب

---

(١) الأحساء مدينة بالبحرين عمرها أولاً أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد وأطلق اسمها فيما بعد على المنطقة كلها فأصبحت تعرف بالأحساء بدلاً من البحرين.



تمهيداً لفتح مصر، فقد كانت غاراتهم وحروبهم بالمشرق تتفق مع حملات الفاطميين على مصر، كما كان لاتحادهم مع الفاطميين في نشر المذهب الإسماعيلي أثره في سطوع نجم العلويين في القرن الرابع الهجري.

وحينما طلب من الخليفة العباسي أن يوليه البصرة ولم يجب على طلبه، توجه إلى الكوفة وسيطر على الجزيرة وزحف على البصرة وحصل على مغانم كثيرة عاد بها إلى هجر. وفي ٣١٦هـ هاجم بغداد وارتد عنها بعد أن خربها وكأنها لم تكن في ٩٢٧م، فقد تمكن من هزيمة الجيش العباسي المكون من أكثر من ثمانيين ألف جندي بجيشه الذي قدر بألفين وسبعمائة فرد، فهزم القائد العباسي «أبو الساج» أيام الخليفة العباسي المقتدر، وكاد أن يستولى على بغداد نفسها حينما أصبح على بعد ١٦كم منها. وقد أضطر الخليفة العباسي أن يدفع له ٢٠ألف دينار كل سنة للتخلص من هذا المأزق. كما أنه خرب الربذة بعد قرنين ونصف من وفاة «أبي ذر الغفاري» إنتقاماً له، إذ أنه قد أصبح بعد نفيه إلى الربذة(١) رمزاً لكل الحركات الإسلامية المطالبة بالعدالة الاجتماعية.

وكانت عمان آخر قطر يسقط في أيديهم، مثلما كانت الأولى في الثورة عليهم عندما اكتفى القرامطة بأخذ الزكاة من أهل عمان دون أن يتدخلوا في شؤونهم الخاصة، إلا أن العمانيين فضلوا سيادة القرامطة على الخضوع للخلفاء العباسيين ذلك أنه في عهدهم استعادوا مركزهم السياسي وعادوا إلى حياة السلم والاستقرار والتطلع إلى الرخاء والثروة، مما مكنهم من اختيار حاكم مستقيم متبحر في العلم، خمد في عهده الصراع المذهبي وازدهرت الحياة الروحية للأمة فيه، فاعتبره عهده أبرز العهود في التطور الحضاري، ذلك هو الإمام «أبو القاسم سعيد بن عبدالله».

---

(١) الربذة في قلب نجد خربت في (٣١٩هـ) بعد حروب بينها وبين بلدة ضرية المجاورة حين انتصر القرامطة على أهل ضرية فهرب أهلها وخربت.

وكان أبو طاهر قد تغلب على عمان في ٣١٧هـ ثم استقلت بعض السنين حتى عاد إليها القرامطة في (٣٥٤هـ) إلا أنهم لم يسيطروا عليها طويلاً، فقد تآمر عليهم «عبدالوهاب بن أحمد بن مروان» وأخوه «علي بن أحمد»، إلا أنه حدثت بينهم خلافات استغلها البويهيون للسيطرة عليها.

أما في عام ٣١٧هـ (٩٣٠م) فقد أغار أبو طاهر على مكة في جيش تكون من ٦٠٠ فارس و٩٠٠ رجل، فنهب الحجاج وقتلهم في المسجد الحرام وخلع باب البيت وقبة زمزم والحجر الأسود وأخذ كسوة الكعبة وفرقها بين أصحابه ونهب دور أهالي مكة، وزقام الخطبة «لعبيد الله الفاطمي» في مكة بدلاً من الخليفة العباسي ثم عاد إلى الأحساء حاملاً معه الحجر الأسود مما جعل عبيد الله الفاطمي يطلب منه إعادة الحجر إلى مكانه، وهدده لأفعاله الشنيعة هناك(١).

لقد أظهر أبو طاهر بأفعاله عجز العباسيين وضعفهم والتقليل من هيبتهم أمام العالم الإسلامي، إذ إنه قصد أن يعيد النفوذ للعلويين في الدولة الإسلامية. وتوفى في ٣٣٢هـ (٩٤٣م)، فحكم بعده أخوه «أحمد بن أبي سعيد» ٣٣٢-٣٥٩هـ (٩٧٩م).

وقد كان موالياً مثله للفاطميين وذا علاقة طيبة معهم، حيث أعاد الحجر الأسود إلى مكانه بالكعبة في (٣٣٩هـ)، وفي عهده شنت الغارات على أملاك العباسيين، فقد تمكن القرامطة من احتلال البريمي أو جلفار (رأس الخيمة) وتعرضت الشام لحملتين كانت الأولى في ٣٥٣هـ) بالتعاون مع الحمدانيين حيث تمكنت من الانتصار على والي الاخشيد، والثانية في (٣٥٧هـ) حين عجز الأخشيد عن صدها فسقطت في أيديهم واضطر «الحسن بن عبيد الله بن طغج»

---

(١) قيل أنه تمكن في ٣١٧هـ من اسقاط دولة السليمانيين في مكه التي تأسست في ٣٠١هـ وهم من سلالة الإمام الحسن بن علي عليه السلام.

إلى الأتفاق معهم على أن يدفع لهم ٣٠٠ ألف دينار كل عام، وهكذا امتد نفوذ دولة القرامطة إلى بلاد الشام أواخر عهد الأخشيد، واعتبر ذلك أهم خطر هدد الحكم الفاطمي فيها، إذ إنهم كانوا يهدفون إلى بسط سلطانهم على هذه البلاد.

وقد حاول «سابورين أبي طاهر» إحداث انقلاب على عمه «أحمد بن أبي سعيد» في ٣٥٨هـ إلا أن هذا قتل «سابوراً» ونفى إخوته وأتباعه إلى «أوال» فانقسم بذلك القرامطة إلى قسمين: أحدهما بزعامة بيت أبي طاهر والثاني بزعامة بيت أحمد بن أبي سعيد.

واحتدم النزاع بين الأطراف فتغلب «أحمد بن الحسن» الملقب بأبي منصور على أخيه الأكبر سابور، إلا أن أحمد مات في سنة ٩٦٩م، فخلفه أبو علي الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الملقب بالأعصم فيكون «سابور بن سليمان» قد حكم من (٣٣٢-٣٥٠هـ) ثم أحمد بن الحسن (المنصور).

أما الأعصم فقد تولى الإمارة في ٣٥٩هـ-٣٦٧هـ، ونفي عدداً كبيراً من بيت أبي طاهر إلى أوال (البحرين) وسادت الدولة في عهده على جميع أطراف الخليج من جنوب العراق إلى عمان، كما امتدت حروبه إلى بلاد الشام ومصر والحجاز. إلا أنه أحدث انقلاباً في سياسة القرامطة نحو الفاطميين والعباسيين، فقد تحالف مع الخليفة العباسي المطيع لله ضد الفاطميين، ذلك أنه عندما استولى الجيش الفاطمي بقيادة جعفر بن فلاح على دمشق، طالبه الأعصم بالأتاوة التي كان يدفعها الأخشيد لحكومته، وحينما رفض جعفر أداءها بدأ النزاع بين الطرفين، فاتبع سياسة جديدة نحو الفاطميين خالفت سياسة الأمراء السابقين في الحرص على استمرار العلاقات الودية بين الجانبين.

وقام باجراءات فورية تؤكد موقفه الجديد، حيث سالم الخليفة العباسي، وأقام الخطبة له، ورحب بزعماء الشام وعلى رأسهم ظالم العقيلي الهارب من

سوء معاملة «جعفر بن فلاح» القائد الفاطمي، وأتفق مع الخليفة العباسي على محاربة الفاطميين حيث جاهرهم العداء بالرغبة في التخلص منهم والقضاء على دولتهم، فاحتل دمشق سنة ٩٧٠م وهاجم مصر، حتى هزمه «العزيز الفاطمي» عند دمشق فهرب إلى طبرية والرملة. وبذا تغيرت الاستراتيجية بينهما وانفك التحالف التقليدي بين الطرفين الفاطمي والقرمطي.

كما عمل المعز لدين الله الفاطمي في المغرب على إضعاف دولته بإثارة النزاع بين أفراد أسرته وتهديده له، والتقرب إلى أولاد «أبي طاهر» المبعدين إلى أوال وبيان أحقيتهم بالإمارة، فكتب إليهم يعلمهم بأنهم أحق في الحكم من الحسن، وأعلن عزله عن الإمارة. وقد نجح المعز في تحريض هؤلاء بالخروج عليه، فثاروا في الجزيرة «أوال» ونهبوا الأحساء في غيبة الحسن، إلا أن الخليفة العباسي تمكن بعد تدخله من إتمام الصلح بين الأطراف المتنازعة.

أما رد الحسن على تهديد الفاطميين له فقد كان شديداً، إذ إنه: حذف اسم الخليفة المعز من الخطبة، وأقام الدعوة للعباسيين، ولبس السواد شعارهم، كما أتصل بالبويهيين في العراق ٣٦٠هـ يطلب منهم المال والسلاح لاسترداد الشام ومصر من الفاطميين، وليتولى حكمهما باسم العباسيين. فأرسل إليه عز الدولة بختيار أمير بني بويه، ألف ألف درهم، وكمية من السلاح. كما ساعده الحمدانيون بالموصل مالياً، وأنضم إليه فريق من العقيليين بزعامة «ظالم بن موهوب» مما أثر في مركزه العسكري ليحرز النصر على خصمه، فاتجه نحو الشام في ٣٦٠هـ قاصداً القضاء على النفوذ الفاطمي فيها، حاملاً الأعلام السود مكتوباً عليها شعار: «السادة الراجعون إلى الحق». وتمكن من أن يهزم القائد جعفر ويقتله ويستولي على دمشق، فأعلن سياسته هناك بعد الفتح، والتي انحصرت في التودد إلى الأهالي وتقديم الأمان لهم، وإقامته الدعوة في المساجد للخليفة العباسي، وحذف اسم الخليفة الفاطمي من الخطبة. إذ إنهم كانوا من السنة

المتطرفين في عدائهم للشيعة والعلويين. وتحرك بعدئذ نحو الرملة ودخلها فأصبحت معظم بلاد الشام في يده، مما جعله يستعد للزحف على مصر في أواخر تلك السنة، فهاجم مدينة القلزم ودخلها وأسر واليها الإخشيدي، واستولى على عين شمس، ثم تقدم باتجاه القاهرة، مواجهاً القائد الفاطمي «جوهر الصقلي» الذي أعد العدة لصده، بأن حصن القاهرة بخندق عظيم، مكن جند مصر من التصدي له، فتقهقر الحسن بن أحمد برجاله وجنوده إلى الأحساء في السنة التالية (٣٦١هـ)، فانتهز جوهر الفرصة لإعادة الشام إلى نفوذ الفاطميين.

إلا أن «الحسن» لم يهدأ فأرسل حملة بحرية إلى السواحل، وأعد جيشاً ضم عدداً كبيراً من العرب، الأمر الذي دعا «المعز لدين الله الفاطمي» الذي كان قد استقر في القاهرة في سنة ٣٦٣هـ أن يبعث إليه كتاباً قبل أن يشتبك معه في الحرب ويواجهه عسكرياً، أوضح فيه، ماعرف عن القرامطة من حرص على التودد للفاطميين، وأن مافعله يعد خروجاً على سياسة أسلافه من أمراء القرامطة ببلاد الأحساء تجاههم، وعاب عليه انصرافه عن الدعوة الفاطمية على الرغم من انتشارها في أرجاء العالم الإسلامي، ولامه على حروبه في بلاد الشام وقتله جعفر بن فلاح وجنوده، واستباحته الأموال وسبي النساء.

[أما كان لك بجدك وأبي سعيد أسوة وبعمل أبي طاهر قدوة؟ - أما نظرت في كتبهم وأخبارهم ولاقرأت وصاياهم وأشعارهم؟، ألم تعلم أنهم كانوا عباداً لنا أولي بأس شديد وأمر رشيد وفعل حميد، يفيض إليهم موادنا وينشر عليهم بركاتنا، حتى ظهروا على الأعمال ودان لهم كل أمير ووال. ولقبوا بالسادة فسادوا، فعلت أسماؤهم واشتد عزمهم - فسارت اليهم وفود الآفاق وامتدت نحوهم الأحداق، وخيف منهم الفساد والعناد، وأن يكونوا لبني العباس أضداد، فلم يلقهم جيش إلا كسروه، ولا رئيس إلا أسروه، كما قال الله عز وجل: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ فلم يزل ذلك دأبهم، وعن الله

ترمقهم إلى أن أختار لهم من نقلهم من دار الفناء إلى دار البقاء، ومن نعيم يزول إلى نعيم لايزول، وانتقلوا إلى روح وريحان، وجنان النعيم، فطوبى لهم وحسن مآب.

وأيم الله لقد كان الأعلى لجدك والأرفع لقدرك، الكشف عن أحوال سلفك والقفو على آثارهم لتجري على سنتهم وتدخل في زمرهم وتسلك مذهبهم][1] ثم عرض عليه في نهاية الكتاب ثلاثة أمور ليختار منها واحداً: أن يرد ماأخذه في الحروب، أو يرد القتلى من الجنود أحياء، أو يحضر إليه ليحكم فيه إما بالقصاص أو الفداء أو المَنّ. فإن أبي ورفض (فاخرج منها فانك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين).

ولكن الحسن الأعصم لم يكترث بالكتاب وما جاء فيه، بل أساء في رده عليه، كما أنه أجابه عملياً بالزحف على مصر (٣٦٣هـ-٩٧٤م) وعسكر بالقرب من الخندق، فعمل المعز على التفريق بين جنوده، وتمكن من هزيمته، فارتد إلى الشام، ثم رجع مع رجاله إلى الأحساء، بعدما أسر منه ١٥٠٠ فرد.

وظهر في هذه الفترة فريق من الأتراك استقروا في دمشق بزعامة «أفتكين» مما هدد نفوذ الفاطميين وأدى إلى المواجهة بينهما، فأرسل المعز قائده «جوهر الصقلي» لمحاربته، فرأى أهل دمشق أن زعيم القرامطة هو خير من يمكنه محاربة هؤلاء فطلبوا من «أفتكين»، أن يتصل ببلاد الأحساء فكتب إليه يستنجده فلم يبطئ فسار إليه من الأحساء، مما أجبر الصقلي على رفع الحصار عن دمشق والسير إلى الرملة، فسار في أثره المتحالفان «القرمطي والتركي» الأمر الذي جعله يرحل إلى عسقلان ويطلب الصلح من «أفتكين»، ثم الرجوع إلى القاهرة.

---

(١) محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق - (القاهرة دار الفكر العربي) ١٩٥٩، ص٣٠.

وأصبح الوضع صعبا والموقف سيئاً تطلب أن يقود الخليفة الجيش بنفسه، وكان الخليفة الفاطمي في هذه الفترة العزيز بالله الذي تولى محاربتهم، فدار قتال بين الأطراف (٣٦٧هـ) أدى إلى هزيمة «أفتكين» وهروبه، والقبض عليه بالتالي ارساله إلى القاهرة حيث عفا عنه الخليفة. أما الحسن فانهزم إلى طبريه، ورفض مقابلة الخليفة والتفاوض معه فرحل مع أنصاره إلى الأحساء ومات في سنة ٩٧٦م-٣٦٧هـ) وبذا فقد فشلت حركة القرامطة في بسط سلطانها على الشام ومصر.

وبعد وفاة الحسن سنة ٣٦٧هـ قامت الخلافات الأسرية بين القرامطة، فأنكروا سياسته العدائية إزاء الفاطميين وموالاته العباسيين، كما عمل أتباع «أبو طاهر» على إقصاء أولاد «أبو سعيد» عن الإمارة، فاستقر الرأي على أن يتولى الحكم في البلاد اثنان من سادتهم: جعفر واسحق[1] اللذان اتبعا سياسة سلفيهما في الولاء للفاطميين والعداء للعباسيين.

وقد ذكر «ابن كثير» أنه تولى أمر القرامطة بعد وفاة الحسن بن أحمد، ستة أنفار اشتركوا جميعاً في الحكم وسموا السادة، وأنهم عادوا إلى حملاتهم ضد أراضي الدولة العباسية في الكوفة سنة ٣٧٥هـ، إلا أن البويهيين صدوهم وأخرجوهم عن أراضي العراق، فضعف أمرهم منذ أواخر القرن (٤هـ) حتى لم يبق لهم إلا ولاية صغيرة على الشاطئ الشرقي للجزيرة العربية، وديوان صغير على باب البصرة يحصل الضرائب لهم.

وكان التنافس بين الحاكمين، جعفر واسحق، عاملاً قوياً من بين العوامل الأخرى التي أضعفت دولتهم وسببت في إنهيارها في نهاية القرن (٤هـ). فمن جملة الأسباب التي عجلت بنهايتهم في الإحساء في ٣٨٩هـ-١٠٧٨م:

---

(١) وهما من هجر.

- ظهور دولة بني بوية، التي جرتهم إلى حروب جانبية. فقد عينوا رجلاً من المنتفق هو «الأصيفر» سار إلى البحرين ليحاربهم إلا أنه لم يتمكن من الاستيلاء على القطيف فعاد إلى البصرة.
- عداء الفاطميين والعباسيين لهم، وتأرجحهم في تأييد الطرفين، كما أن الخليفة العباسي المطيع لله الذي حالفهم، تخوف منهم بعدئذ اعتقاداً منه أن كلا الطرفين - الفاطميين والقرامطة- على دين واحد ومذهب واحد كما قال، فالطرفان قرامطة.
- إنقلاب قبائل البحرين عليهم ومعاداتهم مثل: بني عقيل، وبني تغلب الذين سيطروا على بعض الأطراف كالقطيف.
- ضعف ميزانية الدولة وعدم التمكن من الصرف على البدو مما أضعف ولاءهم فتحولوا إلى جانب العباسيين.
- صدى هجومهم على مكة والكعبة وأخذهم الحجر الأسود إلى الأحساء والفتك بالحجاج المسلمين، والإعلان الذي أعلنه الفاطميون بشأن تلك الأحداث بين طوائف المسلمين.

وقد تمّ زوالهم على مرحلتين: الفترة الأولى حين طردوا من جزيرة «أوال» البحرين والأخرى حين تمكن «بنوعيون» من التخلص منهم نهائياً في البلاد.

فقد تملك الأحساء: الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي في ٣٩٨هـ وأتبعها للخليفة الطائع العباسي، إذ كان يعيش في المنطقة كثير من القبائل العربية أثناء حكم القرامطة كان أشهرهم: بنو ثعلب، بنو عقيل، بنو سليم، وكثرت بينهم

المنازعات والحروب، ولما كان بنو ثعلب أكثر قوة وعدداً، فإن الأصغر الذي اشتهر منهم تمكن من السيطرة على تلك البلاد بعد انحلال حكم القرامطة وانقراض الملك من أسرة الجنابي.

ويذكر في هذا الصدد «ابن خلدون» في تاريخه[1]. أنه لما كانت فتنة القرامطة صار بنو عامر حلفاء لأبي طاهر وبنيه أمراء البحرين من القرامطة، مع بني عقيل بن كعب. ولما انقرض أمر القرامطة غلب بنو سليم على البحرين بدعوة الشيعة لأن القرامطة كانوا على دعوتهم، ثم غلب بنو الأصغر بن ثعلب على البحرين بدعوة العباسيين أيام بني بويه وطردوا عنها بني سليم فلحقوا بصعيد مصر. وكان بنو الأصغر شيعة كذلك، والأصغر الشيعي هو الأصغر الثعلبي. وبنو الأصغر قرامطة، والأصغر هو زعيم المنتفق في القرن (١٠م-٤هـ). فما حدث من منازعات وصراعات بين تلك الأطراف، انتهت إلى طرد بني سليم وهجرتهم إلى مصر ثم إلى أفريقية.

كما أن الخلاف بين بني ثعلب وبني عقيل أدى إلى خروج الأخيرين إلى العراق وإقامة دولة لهم بإقليم الجزيرة - مما مكن بنو ثعلب حكام البحرين من بسط سلطانهم على الجزيرة والموصل وديار بكر وجعل الحكم فيها وراثياً، إلا أنهم ضعفوا فخلفهم في الحكم بنو عقيل الذين عادوا إلى ديارهم بعدما تغلب عليهم السلاجقة الأتراك في الجزيرة، فحكم البحرين في ٦٥١هـ «بنو عامر بن عوف بن عامر بن عقيل» في حين أن بني ثعلب أصبحوا من جملة رعاياهم، فانحصروا في رقعة صغيرة على أرض الاحساء.

(١) أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري: مرجع سابق ص١٢٢.

وحاول البويهيون مع قبيلة المنتفق في جنوب العراق، إضعاف نفوذهم والتخلص منهم، بالرغم من أنهم كانوا قد مدوا سلطانهم إلى عمان، إلا أنهم فشلوا في القضاء على القرامطة الذين ظلوا بالأحساء حتى (١٠٥١م) إلى أن جاءت نهايتهم (عام ١٠٧٧م) على يد قبيلة عربية من عبدالقيس هي قبيلة «بني عيون»، أما في البحرين فقد هاجمهم أهلها السنة رافعين شعار العباسيين في (١٠٧٨) فزالت دولتهم بعد معركة الخندق.

وهكذا انتهت هذه الدولة القوية التي حاولت اقامة امبراطورية كبرى تضم عدداً من الدول الإسلامية التاريخية، تتخذ من الأحساء في الخليج العربي عاصمة لها. وقد اعتبر بعضهم أن مؤسسها كان: «الحسين الأهوازي» في الكوفة حين دعا لإمام من أهل البيت عليهم السلام ثم «حمدان بن الأشعث» القرمط الذي بث الدعاة إلى فارس والأحساء، حين برز فيها «الحسن بن بهرام» المعروف بأبي سعيد الجنابي. وقد اعتبر البعض حركتهم ودولتهم أول دولة يمكن تشبيهها بالدولة الاشتراكية الحديثة لأنها وجهت اهتمامها نحو الإصلاح الاجتماعي ونشر العدالة الاجتماعية في إقليم الأحساء والخليج.

مبادئ القرامطة ومذهبهم:

تضارب الأفكار وتناقض الآراء حول عقيدتهم:

اعتاد المؤرخون والكتاب الذين تناولوا أحوال القرامطة ودولتهم أن يظهروا لهم العداء، ويطلقون عليهم أقبح الصفات بأجرح الكلمات، ويقللون من شأنهم ويزدرون مبادئهم وأفكارهم، ويصبوا عليهم كلمات اللعنة والقذف في نسبهم، مماجاءت الأقوال عنهم متناقضة، فانتشر أعداؤهم في كل جهة يغالطونهم في كل ما يمثلونه فكراً وتاريخاً وأقتصاداً وسياسة، وتسابقوا في لعن أصحابهم.

كما تباوى المؤرخون وكتاب السير والعقائد في سرد القصص التي تدل على إلحادهم وتعطيلهم للشرائع، فاتهم أكثر من مؤرخ القرامطة بالرياء في العقيدة، كما تجمعت الجهود الرسمية ورجال السلطات المسيطرة لترسم صورة قبيحة لهم تنفر العامة منهم، مما جعلهم هدفاً لحملات التشنيع والدس وتشويه السمعة، فصورهم كتاب مستأجرون على أنهم حركة زندقة وكفرة وبأنهم مارقون وملاحدة، هدفهم تدمير الدين والعروبة والقضاء على المذاهب الإسلامية، حتى أن المؤرخين الشيعة اتخذوا نفس الأسلوب أيضاً[1].

فقد رأي فيها كل من مؤرخي الشيعة المحافظين والسنة المتصلبين حركة عدائية للإسلام فقاوموها زاعمين أنها حركة غريبة ناشئة عن دين أجنبي كالمزدكية والبابكية والمانوية، وعن عداء عنصري بين الفرس والعرب. فمن أشهر ماقيل عنهم انهم كانوا ضد الإسلام وهدفوا إلى هدم أركانه -وأنهم أهملوا المساجد والجوامع- حيث اهتم الآخرون ببنائها من مالهم الخاص، وأنهم قطعوا الطريق على الحجاج، ودخلوا الكعبة وقتلوا الحجاج ونهبوهم وسرقوا الحجر الأسود واقتلعوه من مكانه ونقلوه إلى بلادهم في الأحساء.

(١) اسماعيل الميرعلي: القرامطة، ص١١.

كما قيل إن ابا طاهر مع ادعائه بالتشيع لم يقع بزيارة الإمام الحسينعليه السلام والإمام عليعليه السلام بالرغم من مروره قربهما مئات المرات، كما اتهموا بالإباحية الجنسية والتبذل الخلقي والإنحلال الاجتماعي، وأنهم قتلوا من آل أبي طالب خلقاً كثيراً، ذكره «أبو الفرج الأصفهاني» في كتابه «مقاتل الطالبين»(1).

إن هذه الأقوال كلها في الواقع مبالغ فيها وغير صحيحة ولاتمت إلى الواقع بصلة، فبالرغم من كل تلك الاتهامات والأقوال المسيئة لهم، فقد ظهرت آراء تفندها وأفكار تناقضها فتذكر محاسنهم إدارياً واقتصادياً، فقد رأى أكثر المؤرخين أن حركتهم كانت اجتماعية إصلاحية هدفت إلى إيجاد حكومة ودولة يسودها السلام والمحبة، وتنشر العدل والمساواة في المسائل الاقتصادية والاجتماعية. فقد ذكر «عارف تامر» أن مبادئهم تركزت على:

- **محاربة النظام الطبقي في الدولة الإسلامية، أيام العباسيين.**
- **وإلغاء الملكية الفردية في الأراضي الزراعية.**
- **والمساواة بين جميع الطوائف دون النظر إلى الأديان والجنسيات.**
- **تمليك الحكومة لعدد من وسائل الإنتاج لتخدم المصالح العامة للمجتمع.**
- **وإقامة نظام جمهوري شوري دستوري.**

ويذكر أيضاً أنهم نظموا الجانب الاقتصادي باقرار الضرائب على المراكب والغوص وأعشار الأرض المزروعة، وضريبة الحجاج الذين يؤدون فريضة الحج.

---

(1) محمد حسين الزين: الشيعة في التاريخ، يرى أنه ليس في «مقاتل أبي الفرج» إلا أن أبا سعيد قتل رجلا من طباطبا لم يعرف نسبه، وإذا كان القصد أنه قتل جماعة من بني الأخضير، فإن ذلك حدث بين دولتين تنافستا على إمتلاك الأرض وتوسيع النفوذ مثلما حاربوا الفاطميين فترة من الزمن.

وقد أكد المقريزي ذلك واصفاً أحوال دولتهم: أنها بلغت حدا كبيراً من التنظيم، إذ إن الحرفيين أقاموا في مكان خاص، ونظم العمل بينهم وبين علاقاتهم مع الدولة. وفي نظام الحكم، ساعد الرئيس مجلس شيوخ سمي «العقدانية» أي أهل الحل والعقد، وكانوا ستة أفراد تداولوا في كل أمر، مما يوضح الجانب الديمقراطي في المجتمع القرمطي، كما توزعت أعباء الدولة على هولاء الستة من رئيس وزراء ووزراء داخلية وخارجية ودفاع ومالية وعدل، وقد ذكر «ابن كثير» أن هؤلاء الستة الذين اشتركوا في الحكم سموا السادة.

وأشار «ناصر خسرو» إلى حسن معاملة الحكام للرعية فقد أنشأوا مصارف تعاونية مملوكة للدولة تهدف إلى مساعدة المحتاجين من أصحاب المهن، وأعتبر ذلك أول مصرف تعاوني في التاريخ. كما كان لتنظيمهيم الحرفي أصداء في الغرب دفع بعض علمائهم إلى القول: بأن القرامطة هم أول من أنشأ النقابات في العالم الإسلامي أو طور تلك النقابات، حتى أصبح الإنتماء إلى المهنة لا القبيلة.

وذكر «ناصر خسرو»[1] أيضاً أنهم بنوا مسجداً ليصلي فيه أبناء السنة، ولم يمنعوا رجلاً فارسياً سنياً من اقامة مسجد للصلاة فيه، وأنهم حرموا زيارة القبور وتقبيلها، ومنعوا شرب الخمر وتعاطي الفجور، فالمعابد والمساجد كانت متوافرة، كما أنهم أمنوا ممارسة العبادة وهو الأمر الذي يناقض أقوال المعادين لهم، بأنهم لم يهتموا ببناء المساجد وإقامة الصلاة، فقد كان آل سنبر من وزراء القرامطة ومستشاريهم، ووجود مسجد بأسمهم يشير إلى بطلان الدعوى بعدم وجود مساجد في عدهم، ويدعى المسجد «ابن سنبر» يقع في البحر، كان البحارة يصلون فيه السنوات الماضية.

---

(١) إسماعيل الميرعلي: مرجع سابق، ص٢٠٣.

كما أن في البطالية قرية من قرى الأحساء قريبة من هجر. أتخذ القرامطة على أنقاضها عاصمتهم، كان فيها المسجد الجامع الذي سماه الأهلي مسجد قرمط، إلا أنهم فصلوا الدين عن الدولة والسياسة، فقد كانت لهم فلسفتهم في الاجتهاد العقلي، ولكنها لاتخرج عن جوهر الدين، فآمنوا بأن الإمام هو المثل الأعلى لهم، ولكنهم لم يجعلوه قوة رهيبة متسلطة تفرض أشياء لاتتفق مع مصلحة الجماهير، فاعتبروا كل مبدأ ديني وسياسي يتخلى عن تحقيق الأهداف الاجتماعية والاقتصادية جامداً، يصبح جسداً بلاروح لايصلح للحياة. وعندما ضم «أبوسعيد» اليمامة وعمان وبعض الجزر التابعة لها إلى مملكته، سماها نصر خسرو بالجمهورية السعيدة.

فالتاريخ في الواقع يذكر لهم الكثير من المآثر حيث شهد التفاف الناس حولهم وخاصة عندما استولوا على دمشق فقد أظهروا من أعمال تدل على قدر كبير من الشهامة. وهناك شهادات رجال مشهورين في التاريخ لأفعالهم الحسنة وسيرتهم الطيبة، «فالمقدسي» حينما زار البحرين اعتبر القرامطة مذهباً من مذاهب الإسلام فقال: العمل بهجر على مذهب القرامطة.

والمسعودي الذي عاصرهم وصف دعاتهم وصفاً مشرفاً ولم يجد أكثر منهم دراسة وتحصيلاً وتديناً مما هم عليه، وحسن اتقان السياسة التي تكون مع الدعاة، حيث ساووا بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات حتى دعوا إلى الاقتصار على الزواج من واحدة، فقد منحوا الحرية للمرأة للعمل مع الرجل.

إن القرامطة الذين اعتبروا من غلاة الشيعة، لم يجد أعداءهم نصاً للحكم بتكفيرهم سوى مهاجمتهم الكعبة، حيث اعتبر ذلك مبرراً قوياً وأساسياً للشهادة على الحادهم واستهتارهم بالشرائع، على الرغم من أن مثل تلك الأفعال قد حدثت قبلهم، ولكنهم لم يُنعت مرتكبوها بنفس الاتهامات والصفات، «كالحجاج بن يوسف الثقفي» الذي هام الكعبة وحرقها، و«ابن الزبير» الذي

هدمها، وأعاد «عبدالملك بن مروان» هدمها ليصلح من وضعها. وكذلك سرقت الكعبة مرات من قبل أناس كثيرين، ففي (٢٦٦هـ) وثب الأعراب على كسوة الكعبة وانتزعومها، كما أن المولى علي المشعشع خرج في (٨٥٧هـ) على الحجاج من أهل النجف ونهب أموالهم ودوابهم وأخذ المحمل والآية المذهبة وقماش المحمل، ونجا ناس قلائل كانوا قد دخلوا مشهد الإمام علي عليه السلام كما أنهم حاصروا السادة وطلبوا منهم القناديل والسيوف في خزانة الحضرة حيث تجمعت فيها منذ ٧٠٠عام سيوف الصحابة والسلاطين. وقد سبق لبني سليم أن قطعوا الطريق على الحجاج لفترات طويلة في (٢٣٠هـ)، وفي (٢٥٠هـ) قطع بنو عقيل الطريق عليهم أيضاً.

وفي ٧٨٥هـ اعترض «قريش بن أخي زامل» حجاج شيراز وقتل منهم خلقاً كثيراً ورجع من بقي منهم ماشياً عارياً، وقدم بعضهم إلى مكة في صحبة حجاج بغداد، كما حجز (قريش) ركب العراق وأخذ منهم عشرين ألف دينار، عن كل جمل خمسة دنانير حتى يمكنهم من التوجه إلى مكة. كما أن الحجاج الأتراك والمصريين كانوا عرضة للنهب والقتل في كل ناحية حلوا بها في الحجاز، وكانوا يحتملون ذلك ويعدونه من الأعمال الطبيعية[1].

وفي ١٠٩٢م اعترضت قبيلة (خفاجة) طريق الحجاج وقتلت أكثرهم، فأرسلت بغداد قوة كبيرة هزمتهاوقتلت الكثير من أفرادها، وكذلك حدث منها نفس الأمر في سنوات ١٢٣٣ و١٢٤٥م، إلى أن أرضوها بالمال.

وقد ذكر «ناصر خسرو» في رحلته إلى مكة أنه في عام (١٠٤٨م - ٤٤٠هـ)، قدمت قافلة عظيمة من بلاد المغرب، وفي أثناء عودتها عند باب المدينة المنورة، طلب منهم العرب الخفارة فرفضوا أداءها، فقامت الحرب بينهم وقتل من المغاربة أكثر من ألفي رجل، ولم يعد منهم إلى المغرب إلا القليل.

---

(١) أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري: مسائل من تاريخ الج[illegible]ية ص٤٩.

كما ذكر «ابن جبير» أمثلة لكثير من حوادث السلب والجشع في أعوام ١١٨٣-١١٨٥م تقشعر لها الأبدان، حينما أدى الحج في تلك السنوات[1].

كما اشتهر من حوادث ١٢١٠-١٢١٢م في أيام الشريف «قتادة» الاعتداء الذي وقع على الحجاج العراقيين في مكة - حيث كان أمير الحج العراقي «علاء الدين محمد بن الأمير ياقوت» الذي حكم والده خوزستان، وكان من بين الحجاج في هذا الموكب «ربيحة خاتون» شقيقة الملك «العادل الأيوبي»، وأم «صلاح الدين الأيوبي». وحصل الحدث بعد الانتهاء من رمي الجمرات في منى، حينما انقض الاسماعيليون على أحد الشرفاء من أبناء عم «قتادة» ظناً منهم أنه قتاده فقتلوه، فأسرع عبيد الشرفاء وخدمهم بتسلق سفوح التلال المحيطة بمنى ورموا الحجاج بالنبال والقذائف، وظل اعتداؤهم عليهم واستمر حتى اليوم التالي، ونهبوا ممتلكاتهم.

كما جرى القتل بين الطرفين - مما دعا مخيم العراقيين أن يتحرك إلى جانب الشاميين للتخلص من المحنة - الأمر الذي صوره قتادة وعبيده تحركاً هجومياً عليهم، فأسرع بالهجوم عليهم ونهب جميع ما يملكون صارخاً فيهم: «سوف لاأبقي أحداً منهم على قيد الحياة».

ولم يكف عن فعاله إلا حينما هددوه بأن الخليفة نفسه سيزحف عليه مع السوريين القادمين من الشام، كما أن ربيحة خاتون هددته أيضاً، فقبل التراجع مقابل تعويض مالي كبير قدر بمائة ألف دينار. إلا أن قتادة أعتقد أن الخليفة العباسي هو الذي دبر مؤامرة قتله فأقسم أن يقتل أي حاج عراقي يصل الحجاز، ولكنه بعث ابنه في وفد طلب من الخليفة استعطافه [illegible] عنه فعفا عنه وبعث

(١) جعفر الخليلي: موسوعة العتبات المقدسة - مكة المكرمة ج١ - دار التعارف بغداد ١٩٦٧، ص١٤١.

السنة التالية هدايا وأموالاً كثيرة. كما وجه الدعوة إليه لزيارته بغداد، وذلك بدلاً من تهديده أو إلقاء القبض عليه لمعاقبته على أفعاله[1].

كما هاجمت قبائل الظفير الحجاج أيام بني خالد لإضعاف مركزهم والنكاية بهم سالبين أموالهم، كما قتلوا أعيان حجاج الاحساء والقطيف والبحرين وأناساً كثيرين في ١٧٢٩م.

إن هدم الكعبة وضربها بالنار والأسلحة الثقيلة، لم تكفر خليفة المسلمين «يزيد بن معاوية» حينما قام بتنفيذ أشنع الأفعال وأكثرها وحشية في تاريخ الإسلام، ففي خلال ثلاث سنوات كانت هي مدة حكمه جاء بأعظم النكبات والمآسي المحزنة على أمة الإسلام، إلا أن أحداً لم يلعنه أو يكفره، أو لم يتم انتقاد شديد لتلك الأفعال الباطلة أو لعنه بصفات كما اتهم بها القرامطة، فقد قام «يزيد» في أولى سني حكمه بالقضاء على أهل بيت النبيﷺ وعترته الطاهرة مع جماعة من أصحابهم ومواليهم، وعلى رأسهم كان السبط الحسين بن علي عليه السلام وأبناؤه وأهله، فقام رجاله بارتكاب المجازر الوحشية في أجساد هؤلاء الأطهار.

أما في السنة الثانية فقد حاصر الكعبة المشرفة وقصفها بالمدافع والأسلحة النارية، وقتل فيها خلقاً كثيراً من المسلمين في محاولة للتخلص من «عبدالله بين الزبير» الثائر على حكمه، إلا أن الموت لم يمكنه من ذلك فأكمل عمله خليفة آخر من أهله.

أما في السنة الثالثة، فقد حارب المدينة المنورة كمنطقة ثائرة ومعادية لحكمه، فقتل الآلاف من أهلها، وسفك الدماء في رحابها وقضى على أصحاب الرسولﷺ من الأنصار والمهاجرين، وسبى النساء، وقام جنده بأفاعيل لاتحدث إلا في ديار الوحوش، حيث أباح في موقعه الحرة، المدينة المنورة ثلاثة أيام لأهل

---

(١) جعفر الخليلي، المرجع السابق، ص٢٢٣.

الشام يفسقون بالنساء ويقتلون الناس حتى قتلوا من وجوه المهاجرين والأنصار ٧٠٠ ومن الموالي عشرة الاف، كما هتكت فيها أعراض ألف عذراء من بنات المهاجرين والأنصار.

إن ماقام به أبو طاهر في المسجد الحرام، يرى المدافعون عنه، بأنه كانت له الرغبة في إذلال الخليفة العباسي أمام المسملين وإبراز ضعفه أمامهم، فقد كان يرمي إلى إظهار عجز العباسيين والتقليل من هيبتهم أمام العالم الإسلامي، كما أنه أراد أن يعيد للعلويين نفوذهم، علماً بأنه أعاد الحجر إلى مكانه في ٩٥٠م بأمر من الخليفة الفاطمي «المنصور بن عبدالله».

هذا في الوقت الذي ذكر بأن «أبا طاهر» أصبح حارساً لطريق الحج منذ ٣٢٨هـ فكيف يمكن التوفيق بين أنه كان ضد فريضة الحج وأنه كفر الحجاج وسماهم عبدة الأحجار وبين تعاملهم السلمي معهم حينما وضع ضريبة تؤخذ من الخليفة العباسي في مقابل رعايته لهم بحراسة الطريق. وفي الواقع أن هجوم «أبوطاهر» على مكة، ذكر بأنه لم يكن البادئ في ذلك، فقد حدث أن تفاوض معه قاضي مكة بشأن قدومه، فحلف له بأنهم آمنون على دمائهم وأموالهم وحرمهم ولن يؤذي أحداً منهم، فقد جاء ليحج، إلا أصحاب السلطان والجند فإنه لايؤمنهم، لأنهم يشربون الخمر ويلبسون الحرير ويعينون السلطان الذي يحجب عنه الرعية، ويظلم اليتيم والأرملة، ويشرب الخمر ويسمع القيان[١].

فالقتال لم يحدث من جانب أصحاب «أبي طاهر» بل اندلع من جانب الحامية العسكرية التي تحرس الحجاج حبن تعرض أحدهم لأفراد القرامطة فقام الحجاج بمساعدة العسكر في قتال القرامطة.

---

(١) عبدالرحمن بن محمد آل ملا: تاريخ الحركات الفكرية في شرق الجزيرة العربية، ص٢١١.

وقد عرف عنه الأمان وعدم الغدر والمعاملة الانسانية، وهو وإن كان يتتبع الحجاج ويؤذيهم، فإنه يعمل ذلك لاضعاف هيبة الخليفة العباسي، وإن لم تكن هناك حاجة لذلك لأنه كان ضعيفاً حتى أنه لم يتمكن من حماية بغداد نفسها.

فعندما اعترض حجاج الكوفة وبغداد، وأخذ أموالهم وحيواناتهم في ٩٢٤ كان فيهم أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان «أمير الكوفة» فاستأمنه ولم يتعرض له، كما زود الحجاج بقدر من القوت واستولى على باقي أموالهم(١). وعندما طلب منه الخليفة العباسي المقتدر إرجاع الأسرى إلى بغداد، فإنه نفذ أمره وأكرم الوفد القادم من جهته، كما طلب منهم إبلاغ الخليفة أنه يريد البصرة والأهواز في مقابل الكف عن التعرض للحجاج وإخافة القوافل. فهو كان يتتبع حجاج العراق فقط، وكان إذا استلم منهم الفدية والأموال أذن لهم بالسير في سلام إلى مكة. كما أنه اتفق مع أهالي خراسان والعراق ومصر بالسماح لهم بالمرور إلى الحج مقابل ضريبة سنوية كتأمين على حياتهم وأموالهم(٢).

هذا بالإضافة إلى أن وزراء وأمراء الدولة العباسية هم الذين شجعوا أبا طاهر للتمرد والثورة على خلفاء بني العباس وخاصة الذين تشيعوا منهم، فقد بعث أفراداً من آل الفرات وبني القاسم الذين استبدلوا بالحكم أيام المقتدر بالله العباسي، وأظهروا التشيع، فراسلوا أولاد أبي سعيد الجنابي بقولهم: (أنتم خرجتم أيام المعتضد والمكتفى فلما صار الأمر إلى هذا الصبي - المقتدر - قعدتم، قوموا فنحن كتابه وأصحابه والدولة لكم).

---

(١) ابن الأثير حـ٦، ص١٧٧.

(٢) الظبري: ذيول تاريخ الطبري مجلد ١١، ص١٠٧.

ثم إن الشيعة في الكوفة والسواد أبدوا إعظامهم لأبي طاهر حتى قالوا فيه أنه ولي الله وحجة الله ، كما اشتغل الكثير منهم جواسيس له يخبرونه بأخبار الخليفة العباسي ورجاله وماينوون عمله ضده .

وقد تأكد موقفهم هذا عندما أراد أبو الطاهر الاستيلاء على بغداد فحالف الكثير من أهلها حينما عبر الفرات ليعسكر على مقربة من القائد العباسي ، فخافت بغداد وعبرالكثير من أهل الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي إلا من كان من الشيعة ، فإن بعضهم قدم إليه سراً ليخبره عن الوضع السيء في بغداد مشجعاً اه باقتحامها ، فوعدهم بما أرضاهم .

رعندما نصل إلى الفترة التي انقسم فيها البيت القرمطي ، نجد أن العباسيين قد أيدوا الحسن الأعصم الذي عادى الفاطميين ، مما جعل العباسيين والحمدانيين والإخشيدين والبويهيين وقبائل عربية أخرى كان على رأسها العقيليون ومن قبائل طيئ[1] ، يساندون الأعصم في حروبه للفاطميين بالشام ، فكيف يكون زعيم القرامطة سيئاً وكافراً وفاسداً في العقيدة والدين والأخلاق ، وتسانده كل تلك الجهات الإسلامية القوية ؟

لقد كان أبو طاهر والقرامطة بجانب الفاطميين معادين للخلافة العباسية ، على الرغم من أنهم أظهروا العداء للفاطميين فترة من الوقت وخالفوهم في الحكم والإدارة والسياسة ، فقد كان على ولاء وصلة تامة بالإمام عبيد الله المهدي يقر له بالزعامة الروحية والإمامة ، ويقدم له من دخل جماعة القرامطة الخمس والزكاة حسب ماتنص عليه الآيات القرآنية وحسب مبادئ المدرسة الإسماعيلية ، فهو يعترف بوجود العلاقة الروحية والإقرار بالولاء القرمطي التام للدعوة الإسماعيلية .

---

(١) كان الحسن بن الجراح الطائي ، رئيس جند العرب في جيش القرامطة وأهم أقوى عناصر الجيش القرمطي .

فالقرامطة والإسماعيلية طرفان أساسيان تابعان للمدرسة الإسماعيلية، ولذا فقد كان لاتحادهما في نشر المذهب الإسماعيلي الأثر الأكبر في صعود نجم العلويين في القرن ٤هـ في الوقت الذي بدأ فيه ضعف العباسيين. فقد أقام الخطبة في مكه لعبيد الله الفاطمي بدلاً من الخليفة العباسي. ولذلك لم يعطوا الإهتمام للصلاة في الجوامع، وفضلوا عدم اقامتها، حيث كان لابد من ذكر اسم الخليفة في الخطبة والصلاة عليه والدعاء له، وقد أوضح أبوطاهر رأيه في هذا الجانب في كتابه الذي بعثه للخليفة المقتدر بالله العباسي عندما هدده هذا بما قام به في مكة:

(ماذكرت من إحراق مساجد الأبرار، فأي مسجد أحق بالخراب من مساجد إذا توسطتها سمعت فيها الكذب على الله تعالى وعلى رسوله بأساليب من مشايخ فجرة بما أجمعوا عليه من الضلالة وأبتدعوا من الجهالة، ولأنت أمير الفاسقين أولى بك من أمير المؤمنين، وأقدم على ماأنت عليه قادم والله من ورائي ظهير وهو نعم المولى ونعم النصير والحمد لله وصلى الله على خير بريته وآله وعترته).

وفي كتابه هذا تناول الأوضاع الاجتماعية السيئة السائدة في ذلك الوقت، ودعا إلى تقوى الله والأخذ بشريعة النبي ﷺ وسنته، واحتج على الفساد في المجتمع الإسلامي مثل شرب الخمور وانتشار اللهو والطرب واللواط وارتكاب المحارم، وماوصل إليه الحال سياسياً حتى يتولى أمر المسلمين الصبيان والخدم والتحكم في شئونهم يستعبدون الأشراف والسادة، وصرف أموال المسلمين على حاشية الخلفاء لتمنع عن مستحقيها، واستخدام المساجد والجوامع للأغراض السياسية والطائفية - حتى أصبح رجال الدين والوعاظ أدوات طيعة في أيدي الحكام والسلاطين ويجارونهم في أهوائهم، وهناك من المؤرخين من يشك في حدوث قضية الحرم والحجر الأسود ويعتبرها أسطورة ملفقة مثلما ذكر الأستاذ أحمد الراشد المبارك في كتابه (المذاهب الفكرية في الإسلام). وعلى الرغم من التشنيع على أبي الطاهر - فإنه يذكر عنه أنه أنشأ قلعة ضخمة في الأحساء سماها «المؤمنية».

كما سميت بدار الهجرة[1]. والقرامطة لم يسموا جماعتهم بالقرامطة بل سموا أنفسهم «المؤمنون المنصورين بالله والناصرون لدينه والمصلحون في الأرض»[2].

وعندما حكم «عمان» لم يتدخل في شئون الإمامة بل اكتفى بأخذ الزكاة منهم، حتى أن أهل عمان فضلوا سيادة القرامطة على الخضوع للعباسيين، حيث إنهم في عهد القرامطة استعادوا مركزهم السياسي وعادوا إلى حياة السلم والأمن والتطلع إلى حياة الرخاء والثروة، كما تمكنوا من اختيار حاكم مستقيم متبحر في العلم هو الإمام «أبوالقاسم سعيد بن عبدالله» الذي أعتبر وقت حكمه عهد سلام، إذ خدمت فيه الصراعات المذهبية وازدهرت الحياة الروحية للأمة، فأصبح عهده أبرز العهود في التطور الحضاري. كا أن «أحمد بن أبي سعيد» تعاون مع الحمدانيين في حروب الإخشيد، حيث كان سيف الدولة الحمداني حليفاً أساسياً لقرامطة البحرين، كما تحالف البويهيون مع القرامطة حيث ساعدهم القرامطة في حروبهم ضد السامانيين، وزودهم البويهيون بالمال والسلاح في حروبهم ضد الفاطميين.

واتفقوا تجارياً وسياسياً حيث كان لكل منهما في البصرة مركز جمركي لجباية ضرائب التجارة. وكذلك تدخل القرامطة في النزاعات الداخلية للبويهيين فساعدوا أميرا ضد آخر بعد موت عضد الدولة حتى تمكنوا من السيطرة على الكوفة بأسم شرف الدولة، وكانوا على ا الحياد في الحروب البويهية الحمدانية، أما بالنسبة للفاطميين فإن نفوذهم كان كبيراً عليهم حتى أنهم تدخلوا في شؤونهم

(١) هي مركز الدعوة يجتمع به الناس للاستماع إلى الوعظ والارشاد وتعليم الدعوة والنظر في أحوال الدعوة ونشاط الدعاة وحالة الجماهير الكادحة وأوضاع الفقراء والمضطهدين وموقف الحكام والولاة منهم.

(٢) إسماعيل الميرعلي: مرجع سابق، ص١١٦.

الداخلية، خاصة عندما ناصروا أولاد أبي طاهر على «الحسن الأعصم» فتقربوا منهم وشجعوهم على الانقلاب عليه لإبعاده عن الحكم، فكتب المعز لدين الله إليهم يؤكد أحقيتهم في الحكم ووجوب عزل الأعصم من الإمارة، مما شجعهم على الخروج من البحرين ونهب الأحساء حتى هدأ الحال بينهم بعد تدخل الخليفة العباسي وإتمام الصلح بينهم.

ويتضح التقارب بينهم وبين الفاطميين عندما نازع أبوطاهر الفاطميين وحارب مناطق نفوذهم فكتب إليه المعز قبل أن يشتبك معه في الحرب، يوضح له ماعرف عن القرامطة من حرص على التودد والتقارب معهم وأن فعله هو خروج على سياسة أسلافه من أمراء القرامطة تجاه الفاطميين، كما أوضح مدى انتشار الدعوة في أرجاء العالم الإسلامي، ثم عاب عليه انصرافه عنها ولامه على حروبه في بلاد الشام.

وقد أثر ذلك فيما بعد حينما أنكر القرامطة بعد وفاة الحسن الأعصم سياسته العدائية للفاطميين وموالاته للعباسيين فاتبع (جعفر واسحق) الذين اتبعا بعد حل الخلافات الأسرية سياسة السلف بالولاء للفاطميين والعداء للعباسيين وعادا إلى حملاتهما ضد أراضي الدولة العباسية، وقد كان لاتحادهما مع الفاطميين في نشر المذهب الاسماعيلي أثره في قوة نجم العلويين في القرن الرابع الهجري.

إن الأحداث تبين أخطاء هؤلاء الناقدين لحركة القرامطة، فيذكر التاريخ أن الإمام الحسين عليه السلام أصبح مثلاً أعلى لأبي سعيد الجنابي - أي مطالباً بحق الحسين عليه السلام، كما بث في الآخرين من فلاحين وصناع وبدو روح الثورة، كما ذكر بعضهم أن مؤسس دولتهم (الحسين الأهوازي) في الكوفة دعا لإمام من أهل البيت عليهم السلام. إن حركتهم كما يعترف معظم المؤرخين أوسع الحركات الثورية التي شاهدها المجتمع الإسلامي اجتماعياً وأقتصادياً وسياسياً قامت باسم المبادئ الإنسانية التي جاء بها الإسلام الصحيح تحت راية الدعوة إلى العدالة الاجتماعية،

انتشرت في مختلف البلدان العربية والإسلامية وكافة الأقوام والأجناس والمذاهب، ودخلت إلى البدو والحضر فانتشرت في إيران شرقاً والمغرب العربي غرباً وأقامت كيانات سياسية في البحرين واليمن والمغرب ومصر.

وقد أكد المستشرق «ماسينيون»[1] على الناحية الاجتماعية في نشوء الحركة القرمطية، وأن اسم القرامطة أطلق على اتحادات العرب والنبط الثورية في جنوب العراق. وبعد ثورة الزنج تندرج فيه كل القوى المنافسة والمتذمرة من الحكم العباسي، وأن كلمة قرامطة تعني بمدلولها الواسع: الحركة العظيمة التي اكتسحت العالم الإسلامي بين القرنين التاسع والثاني عشر لاقامة وتأمين الإصلاح الاداري والسياسي والعدل الاجتماعي وعدم استغلال الإنسان لأخيه الإنسان.

كما يذكر «دي خويه» أن القرامطة لم يهاجموا القرآن كما اتهمهم خصومهم وأعداؤهم، ولكنهم اكتفوا بالتفسير التأويلي مستندين إلى بعض آيات القرآن، وأعتبر «الحسن الجنابي» المبدع للتنظيم القرمطي الرائع المنسق تنسيقاً لامثيل له حتى في الدول المتحضرة حديثاً - إذ إنه أسس أول جمهورية عربية اشتراكية في البحرين، ألغت الملكية الفردية في الزراعة[2]، ووزعت الأراضي على الأجراء والمعدمين، وأسس أول بنك للإقراض الزراعي، وسنّ تشريعاً ضريبياً ممتازاً، وأنشأ عدة نقابات زراعية ومهنية، وحصر الثروة في البلاد على ألا تتسرب خارجها، وشجع الصناع والزراع بتسليفهم مايحتاجونه من مال وأدوات.

وهناك من المؤرخين من يعتبرهم جزءاً من الحركة الشيعية الثورية التي قامت في العراق لمناهضة الحكم الأموي ثم اصطدمت فيما بعد بالحكم العباسي، إلا

---

(١) اسماعيل المير علي - المرجع السابق، ص١٨١.

(٢) أصبحت الملكية الفردية عادية بعد «أبي سعيد» فلم تعد محظورة على أحد، إلا أن المعاملات الـ... بة كانت ممنوعة.

أنهم في الواقع قاوموا الارستقراطية الأموية القرشية والبنية الفوقية العنصرية التي أقامها الأمويون ضد العرب والفرس والموالي دون تمييز.

فالقرامطة لم يكونوا ضد الدين، بل ضد المدعين والمستغلين للدين، ضد الأفراد وتحقيرهم، فالجماهير لا يهمها من الدين الطقوس بقدر مايهمها بنوده ومايمكن أن ترفع عنهم كابوس الفقر والذل والظلم، فاهتمامهم تركز حول واقعهم الاجتماعي والاقتصادي، ولذا رأوا في حركة القرامطة أملهم في التخلص من ظلم الإقطاع والارستقراطية العربية والفارسية ومن سيطرة الأتراك الظالمة المتوحشة.

فحركتهم لم تكن عنصرية أعجمية، بل أنضم اليها أكثر العناصر التي تعيش في تلك الفترة من عرب وفرس وموالي وزط وسود من أفريقيا وغيرهم، والبدو العرب من القبائل الذين شردوا بسبب تسريحهم من الجيش عندما احتل الأتراك مكانهم، فاستقطبت حولها جميع الفئات المضطهدة بمختلف أجناسها ومذاهبها وأقوامها.

فالقرامطة هم أول من قاوم العصبية المذهبية والقومية والعنصرية، ودافعوا عن فكرة الإخاء الإنساني، فانضم إلى صفوفهم أكثر الأحرار فقراً، وشملت جماعات من الفلاحين والمعدمين وصغار الكسبة (الحرفيين) وكادحي الريف وغيرهم من الفقراء من سكان المدن والريف، فالحركة انطلقت من الأكواخ والمزراع ومن المشردين في المدن والقرى والمنبوذين والعبيد المغلوبين والمقيدين بقيود الإقطاع ونظام الرق والسخرة. وكان مفرجها راعي بقرو راكب حمار وساكن كوخ: «حمدان بن الأشعث».

إنها ثورة الفقراء والفلاحين والكادحين، تمثلوا بقول الإمام علي عليه السلام عن الفقر حين قال: لو كان الفقر رجلاً لقتلته، وقول أبي الغفاري: «عجبت لمن لايجد قوت يومه كيف لايخرج شاهراً سيفه»[1]، لقد اتهموا من بين الاتهامات

---

(١) إسماعيل المير علي، المرجع السابق، ص١١.

التي لاتحصى : بالإباحية الجنسية والتبذل الخلقي والإنحلال الاجتماعي ، وهو من التشنيعات التي روجها خصومهم لمقاصد حزبية وأغراض مذهبية وأهداف سياسية للحط من شأنهم ومن سمعتهم الأخلاقية الدينية في أوساط الرأي العام الاسلامي ، وقد تكررت هذه الظاهرة في التاريخ لاسيما في مجال الصراع العقائدي المتداخل بالمصالح الاقتصادية والسياسية ، وينفي عنهم تذلك التهمة قول المعز لدين الله الفاطمي في مقابلته لشيوخ كتابة في المغرب[1] .

(واني لاأشتغل بشيء من ملاذ الدنيا إلا بما يصون أرواحكم ويعمر بلادكم ويذل أعداءكم ، فافعلوا في خلواتكم مثل ما أفعل ، ولاتظهروا التكبر والتجبر فينتزع الله النعمة عنكم وينقلها إلى غيركم ، وتحننوا على من وراءكم ليتصل في الناس الجميل ويكثر الخير وينتشر العدل واختلوا بعدها على نسائكم وألزموا الواحدة ولاتشرهوا إلى التكثر منهن والرغبة فيهن فينغص عيشكم وتعود المضرة عليكم وتنهكوا أبدانكم وتذهب قوتكم ، فحسب الرجل الواحد الواحدة ، ونحن محتاجون إلى نصرتكم بأبدانكم وعقولكم) ، وجاء في «تحفه المستفيد» ، أن المذهب القرمطي امتد في الأحساء ثم أصبح موطن المذهب الجعفري جنباً إلى جنب مع المذاهب السنية الأربعة ، وأنه ليس هناك من مصادر تدعم الرأي الوارد بشأن انتشار مبادئ إباحية في معظم مدن وقرى المنطقة .

وكذلك أتهموا في نسبهم ، فقد التجأ العباسيون بعد ضعف دولتهم وعجزهم عن مقاومة الفاطميين إلى الطعن في نسبهم لتسويد صحائفهم وإثارة كراهية الناس لهم ، فأحضروا القضاة ليسجلوا شهادة الطعن عليهم في بغداد ، وكانوا من ألد أعداء الفاطميين ، وأخلص الناس لبني العابس ، فلم يعرف عنهم التجرد والنزاهة والصدق ، بل اشتهروا بكراهيتهم وبغضهم ونقمتهم لآل علي بن

(١) طه الولي : القرامطة .

أبي طالبعليه السلام فلم يجدوا وسيلة لمحاربتهم إلا هذا الأسلوب الفاشل، حيث نسبوهم إلى «عبدالله بن ميمون القداح». والذي عاصر الإمامين الباقر والصادقعليه السلام وروي عنهما، وهو من الثقات والمستقيمن في العقيدة والدين، وكان مع والده من شيعة أهل ابيت ورواة أحاديثهم إلا أنه لم يعش في عصر القرامطة، حيث أن الإمام الباقرعليه السلام توفي في ١١١هـ والصادق في ١٤٨هـ، أما القرامطة فقد ظهروا في نهاية القرن ٣هـ. إن المعارضين لهم كانوا طبقة فوقية ذات نفوذ في كل دوائر الدولة العباسية، بيدها الأمر والنهي، شعرت بخطر الزحف الجماهيري الثوري القرمطي فتعاون أربابها من كل الفئات والعناصر وعلى رأسهم رجال الدين من أتباع المذاهب الظاهرية المتعصبة وزعماء القبائل والأفراد والقادة والأغنياء لتشكيل جبهة قوية متماسكة تقف بوجه تيار الحركة القرمطية(١).

وفي الحقيقة إن القرامطة هم فرقة من الإسماعيلية، أدعوا أن اسماعيل توفي في حاية أبيه الإمام الصادقعليه السلام وأنه نص قبل وفاته على إمامة ولده محمد بن إسماعيل، فكان هو الإمام من بعده، وسمي القرامطة نسبة إلى حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط الخارج في (٢٦٤هـ) فالإسماعيلية ومنهم الفاطميون تعتير آثارهم في الإمامية أظهر من الإسماعيلية، فقد كانوا إماميين مع الإعتقاد بأنهم كانوا إسماعيليين، فالوزير الأفضل بدر الجمالي جعل الإمامية المذهب الرسمي في مصر.

والائمة عند القرامطة سبعة، أولهم علي بن أبي طالبعليه السلام الذي نص بالإمامة إلى ابنه الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ومحمد بن علي الذي نص على إمامة ابنه جعفر الذي نص على امامة ابنه محمد بن اسماعيل الذي يعتبر عندهم المهدي، وهو الحي الذي لم يمت ولايموت حتى يملك الأرض. وقد أكد

(١) اسماعيل المير: مرجع سابق، ص١٧٣.

المقريزي انتسابهم إلى البيت العلوي وبيّن أن أعداءهم قالوا بغير ذلك خوفاً من العباسيين أو مشايعة لهم وممالآتهم، كما أكده أيضاً «ابن خلدون» الذي أرجع نسبهم إلى اسماعيل بن الإمام جعفر الصادقعليه السلام.

ويؤكد «بندالي جوزي» إنه من المحقق أن قرامطة البحرين والعراق لم يختلفوا عن سائر الإسماعيليين في المسائل الأساسية التي عليها برنامجهم، وأنهم كانوا يتبعون في جميع حركاتهم وسكناتهم الأوامر والتعاليم التي كانت تصدر إليهم من مركز قيادتهم الاجتماعية والسياسية والروحية: «سلمية»(١) بعد انتقال الحركة الاسماعيلية من العراق إلى الشام وبعد وقوع المجازر والخلافات بين العباسيين والعلويين. أما القرامطة أنفسهم فقد كتبوا الكتب المختلفة في الرد على مخالفيهم وأعدائهم، فلم يسكتوا ولم يقفوا موقف المتفرج على هؤلاء بل ردوا عليهم ونشطوا في ذلك، إلا أن مواقفهم وكتبهم قد أزيلت وحرقت ومزقت فانطمست آثارهم وزالت.

والكتب التي ألفها دعاة القرامطة والإسماعيلية تضمنت أسرار الدعوة وأساليب إبلاغها إلى الجمهور، والمعتقدات المذهبية التي كانت تركز على الإيمان بالإمام والتسليم بمكانته القدسية، وذلك من خلال سرد سيرة ال البيت النبوي الكريم الطاهر وبالطريقة التي تبرز المآسي التي حلت بهم على أيدي الأمويين والعباسيين، كما أن هذه الكتب ركزت على أهمية فهم القرآن الكريم عبر تأويل السور وآياتها بما يؤيد حق أبناء بيت علي بن أبي طالبعليه السلام في ولايته إمارة المؤمنين، ويظهر مساوئ ومثالب الأطراف الإسلامية الأخرى التي اتهمها الشيعة

---

(١) من أعمال حماة بالشام مركز الدعوة الإسماعيلية والدعوة إلى الثورة على الحكم العباسي الفاسد الذي مارس البطش والظلم ضد الشعوب والفلاحين والعمال والجنود المطرودين من الجيش مما كان له الأثر في الاستجابة لنداءات الثورات التي خرجت في أطراف الدولة الإسلامية.

بمختلف فرقهم بالوثوب على حق الخلافة التي كانت من حق هذا البيت الكريم بسبب قرابته من النبي ﷺ.

إن ماكتب عنهم شديد الغموض والاضطراب خاصة عن عقائدهم، فضلاً عن المبالغة والتحامل عليهم مما يدعو إلى التردد قبل الحكم عليهم، ويشكك في كثير مما نسب إليهم من الخرافات والبدع والكفر والزندقة. فلايبعد أن يكون مانسب إلى الفاطميين ورموا به، ممن لم يخلص للمذهب الإسماعيلي وخلفائهم، أو الذين يصفقون لكل حاكم ويسيروا في ركابه حسب أهوائه ورغباته مؤيدين في ذلك من العباسيين الذي نافسهم الفاطميون في الخلافة الإسلامية، حتى وصلوا بغداد واستولوا عليها فراحوا يعملون بالدعاية ضد العلويين والفاطميين حتى كتبوا محضرهم في (٤٠٢هـ) في ذم نسب العلويين الحكام في مصر، فكفرهم معظم المؤرخين ورموهم بالإلحاد وطعنوا في نسبهم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

وما يلاحظه الإنسان في تلك الفترة أن الفرق المتناحرة في القرن (٣هـ) وما أكثرها، لم تدع مجالاً للتمييز بين المؤمن والكافر، فكل فرقة تكفّر الأخرى مستنبطة الأدلة من القرآن والسنة في ذلك، والقرامطة أيضاً كفروا غيرهم مثل الآخرين.

لقد كان الشيعة في تلك الظروف القاسية أيام العباسيين في فوضى واسعة النطاق تنتابهم النكبات وتتقاذفهم الوشايات والدسائس والدعايات، فكان المخلصون للإمام عليه السلام أقل القليل، فلاغرابة أن يظهر المضللون وتظهر الفرق المتناحرة، فالظروف التي ظهر فيها القرامطة تشبه الظروف التي ظهر فيها الغلاة، مع أن كثرة الفرق الفلسفية وانتشارها في أيامهم لم يكن في مثل عصر الغلاة السابقين.

إن هذه الظروف القاسية هي التي أوجبت الإمام الثاني عشر عليه السلام أن يتستر ويغيب عن أعين الحكام، فقد ظهر القرامطة أثناء الغيبة الصغرى للإمام المهدي عليه السلام فلم يذكر هناك أحاديث براءة عن الائمة عليهم السلام في القرامطة لأنهم ظهروا بعد وفاة الائمة عليهم السلام.

كان القرامطة ضحية الكتاب الذين اهتموا بالحكام والقواد والقصور والملوك والامراء، وأهملوا دور الشعب والفرد عند سرد التاريخ وكتابته. إن المؤرخين القدامى تناولوا في كتاباتهم الأمراء والخلفاء والقواد، ولم يعطوا أي إهتمام للإنسان الفقير والجماهير المضطهدة المظلومة، مما يوجب التحرر من العصبيات والرواسب البالية عند كتابة وتناول أحداثه.

وقد اشتهر كتاب وعلماء ممن اعتنقوا مذهبهم ومبادئهم، فقد اعتبر الشاعر المتنبي وأبوالعلاء المعري والسهروردي منهم، وقد عذبوا وقتلوا من قبل السلطات الحاكمة متهمين بالتعاطف أو الانتماء إلى حركة القرامطة، كما أن هناك نص في تاريخ بغداد يفيد أن أبا حنيفة أفتى بالقتال بجانبهم، مما يدل على أن تفسيرهم للدين على غلوه لايبعدهم كثيراً عن جوهر الإسلام، وهو الذي أفتى من قبل بالوقوف ونصرة الامام «زيد بن علي». كما ذكر في ذيول تاريخ الطبري أنه حينما توفي صاحب هجر في ٣٦٧هـ (أبو يعقوب يوسف بن الحسن الجنابي) أغلق أهالي الكوفة أسواقهم ثلاثة أيام إجلالاً لمصيبته[١].

(١) مجلد ١١ صفحة ٤٥٨.

٢ - الدولة الاخيضريه:

شهدت سنوات القرن الثالث الهجري (٣هـ) خروج الكثير من الطالبيين والعلويين في نواحي الدولة الإسلامية الخاضعة للعباسيين، وهي فترة الضعف التي مرت بها هذه الدولة، فقد انتشر دعاة أهل البيت في البحرين واليمامة مثلما وجدوا في باقي أجزاء الدولة الإسلامية، ينشرون الآراء والمبادئ التي يمكنها أن تعيد للإسلام مجده وقوته وهيبته، ونجح الكثير منهم في إقامة دويلات إسلامية في أطراف العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، كان منها هذه الدولة.

فقد قامت ثورة علوية في الحجاز في منتصف القرن (٣هـ) بقيادة «إسماعيل بن يوسف» الذي توفي وهرب أخوه «محمد الملقب بالأخيضر» إلى اليمامة فاستولى عليها في (٢٥٣هـ-٨٦٧م) وأسس الدولة الأخيضرية التي استمرت أكثر من قرنين، فقد حكم بنو الأخيضر فيما بين (٢٥٣-٤٦٧هـ)، وقاعد ساعده في إقامة دولته ومكنّ له أخوال أبيه، جعفر بن كلاب المتاخمين للميامة، وهو مادفع إلى أن يختار «أبو عبدالله» اليمامة بدلاً من الحجاز التي أشرف عليها العباسيون مباشرة، ومن ثم توارثوا فيها الحكم حتى ظهر القرامطة في القرن ١٠م (٩٣٦م).

وهكذا نجح «محمد الأخيضر» وأبناؤه في تأسيس دولة علويه في اليمامة - حيث أتخذ قلعة الخضرمية[(١)] مقراً له في القرن(٩م). وقد ذكر عن نسبه أنه يرجع إلى «أبي عبدالله محمد بن يوسف بن الأخيضر بن إبراهيم بن موسى الجون» يرجع إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، حيث ذكر «المسعودي» أنه في ٣٣٢هـ كانت بلاد اليمامة مابين البحرين والحجاز بيد ولد الأخيضر العلوي من ولد الحسن بن علي عليه السلام وهو مجاور للبحرين[(٢)].

---

(١) الخضرمية: بلدة هي حجر اليمامة وهي أول اليمامة لمن قصد البحرين.
(٢) وقيل أنه اتخذ حضرموت عاصمة له.

كما تحدث «ناصر خسرو» عن اليمامة في عهدهم فذكر أن فيها حصناً كبيراً، وأن المدينة والسوق والصناع من كل نوع كانوا خارج الحصن، وبها مسجد قديم وأهلها علويون منذ القدم، ولم ينتزع أحد منهم هذه الولاية، إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر، ومذهبهم الزيدية ويقولون في الآذان:

«حي علي خير العمل»[1] ويرجع نسبهم إلى: «بني موسى بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب»عليه السلام. أما نهاية دولتهم فقد ذكر إن القرامطة هاجموا اليمامة في ٩٢٩م في عهد «أحمد بن الحسن» - من أسرة الأخيضر - فزال حكمهم وانتهى أمرهم بعد عدة حروب بين الجانبين، وقيل إن حكمهم استمر حتى منتصف القرن (٥هـ١١م) فاستقر سلطانهم دون أن يعمل القرامطة على إنهاء فقوذهم في مناطق حكمهم وذلك لاجتماعهم في المذهب والعقيدة واتفاقهم في الأهداف على حرب العباسيين وإقامة دويلات مستقلة عنهم، كما ذكر أنهم اتبعوا في الحكم قرامطة البحرين، وكان أبو طاهر هو الذي ولى الأخيضر على اليمامة والكوفة كذلك. وهكذا يمكن القول إن حكمهم قد بدأ منذ أواخر القرن (٣هـ حتى ٤٦٧هـ - ١٠٧٤م).

٣ - دول الخوارج:

بعد أن حارب الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام الخوارج في النهروان ومواقع أخرى - هرب معظمهم بعد مامزق شملهم إلى أطراف الصحراء المتاخمة لليمامة والبحرين وعمان، فتجمعوا واسترجعوا قوتهم ونظموا صفوفهم حتى أصبحوا أقوى قوة معارضة للدولة الأموية والعباسية فيما بعد.

---

(١) محمد بن عبدالله الإحسائي، تحفة المستفيد، ص٦٨.

وبرز منهم في منطقة الخليج، «نافع بن الأزرق البجلي» و«أبوفديك» و«عطية بن الأسود اليشكري»، وفي اليمامة اجمعوا أمرهم على «نجدة بن عامر الحنفي» عام ٦٤هـ بعد أن فارقوا عبدالله بن الزبير في مكه، فسار نجدة من اليمامة إلى الحضارمة التي كانت لبني حنيفة فنهبها، واعترض عيراً من البحرين تحمل مالاً وفيراً إلى أبن الزبير فأخذها وتقاسموها في ٦٦هـ. وحينما بلغ مجموع أصحابه ثلاثة آلاف سار بهم إلى البحرين، فاجتمعت عبدالقيس وأهل البحرين، من غير الأزد التي كانت قد سالمته - على محاربته، فالتقوا بالقطيف ٦٧ هـ وانهزمت عبدالقيس وقتل منهم الكثير، وسبى نجدة من أهلها الكثير، وأقام بها، ثم وجه إليه ابنه «المطرح» إلى المنهزمين من عبدالقيس، إلا أنه قتل بالثوير مع جماعة من أصحابه.

كما أرسل «نجدة» سرية إلى الخط فظفر بأهله، ولما كان بالقطيف في ٦٩هـ أرسل إليه «مصعب بن الزبير» جيشاً كبيراً وصل إلى ١٤ ألف مقاتل، إلا أن نجدة غافلهم وقاتلهم حتى افترقوا، فكثر القتلى والجرحى في معسكر ابن الزبير، فحمل عليهم نجدة حتى تمكن من إبادتهم فغنم منهم الكثير.

وبعث نجدة جيشاً إلى عمان واستعمل عليهم «عطية بن الأسود الحنفي» الذي تمكن من الاستيلاء عليها.

كما أرسل إلى البوادي من يأخذ من أهلها الصدقات، فقاتل أصحابه بني تميم في كاظمه، فساند أهل «طويلع» بني تميم، فأرسل نجدة إليهم من أغار عليهم وقتل منهم الرجال وسبى النساء وأخذ منهم الصدقة. ثم سار إلي صنعاء فبايعه أهلها وأخذ منهم الصدقة، كما بعث «أبافديك» إل حضر موت لجبي الصدقات، ودخلت الطائف أيضاً في طاعته.

وفي (٦٩هـ) أدى مناسك الحج مع ألفي رجل، وصالح «ابن الزبير» على أن يصلي كل منهم بأصحابه، وبعد الحج سار إلى المدينة المنورة لقتال أهلها فتسلح «عبدالله بن عمر» فتهيب من القتال ورجع إلى الطائف. وكان أهل ثقيف في الطائف قد بايعوه، فعين عليهم والياً من قبله وكذلك على نجران وما يليها.

وحينما رجع إلى البحرين قطع الميرة عن أهل الحرمين وعن اليمامة، فكتب إليه «ابن عباس» أن «ثمامة بن أثال» لما أسلم قطع الميرة عن أهل مكة وهم مشركون، فكتب إليه الرسول ﷺ أن أهل مكة أهل الله فلاتمنعهم الميرة فجعلها لهم، وأنك قطعت الميرة عنا ونحن مسلمون، فجعلها نجدة لهم. إلا أن الظروف تغيرت وتغير معها سلوك وأحوال عمال نجدة في الولايتت التابعة له، فاختلف عليه أصحابه، فطمع فيهم الناس، إذ إن «أبا سنان حر بن وائل» خالفه وكذل عطية بن الأسود.

كما أن «عبدالملك بن مروان» حاول إغراءه فدعاه إلى طاعته وتوليته اليمامة، مما دفع الكثير إلى مفارقته والإنضمام إلى «أبي فديك، عبدالله بن ثور» الذي بدأ في طلبه للقضاء عليه والتخلص مه، مما جعل نجدة يستخفي عند أخواله من بني تميم في قرية من قرى حجر، إلا أن أصحاب أبي فديك تمكنوا من قتله في (٧٢هـ-٦٩١م) فنقل أبو فديك مقر قيادته من اليمامة إلى جواثا بالأحساء، فأعد عبدالملك بن مروان جيشاً كثيفاً لقتاله في البحرين، حيث قتل واستباح عسكره وقتل منهم ستة آلاف وأسر ثمانمائة وذلك في (٧٤هـ) في المشقر.

وكان من بين من بايع نجدة بن عامر: المثنى بن مخربة العبدي من عبد القيس، والمختار بن أبي عبيدة الثقفي. وتزعم الخوارج بعد نجدة وأبوفديك: مسعود بن أبي زينب العبدي في اليمامة، إلا أن بني حنيفة قتلوه في موقعه برقان[1] وصدوا هجوم الخوارج القادمين من البحرين على اليمامة.

(١) موقع قريب من الكويت فيه حقول الزيت الهامة الآن.

الباب الثالث

العلاقات الدولية والاتصال بالعالم

الفصل التاسع

علاقات الأحساء بالعالم القديم

تأثرت المنطقة منذ القدم بالتيارات السياسية التي كانت تتصارع من حولها بعداً وقرباً، فقد كان لهذا الجزء من العالم صلاته بالمناطق الحضارية التي تأسست شمال الجزيرة العربية وشرقها وغربها، كالسومريين والبابليين والفرس وغيرهم منذ الألف الثالثة ق. م. واستمرت حتى (٥٠٠م) وتفاعلت فيها الشعوب، وازدحمت فيها أحداث التاريخ على الرغم من صغرها وقلة مساحتها، ولمعت فيها أسماء كالبحرين والأحساء وكاظمة وهجر، وظهرت فيها أديان ومنها انتشرت، كالزرادشتيه الفارسية والوثنية واليهودية والمسيحية، فقد سكنتها جماعات مسيحية منذ القرن الأول الميلادي حيث دخلها الدين المسيحي عن طريق الأحباش والتجار القادمين إليه من الروم والفرس.

كما ظهر فيها آخر الأديان وهو الإسلام، وحاربت فيها وعلى سواحلها وأطرافها قوى مختلفة أجنبية وعربية وإسلامية، من فرس ويونانيين وعرب وأتراك وأوروبيين، حتى جاء إليها المكتشفون والرحالة والبحارة ممن بدلوا بالاكتشاف الاستعمار والاستيطان. وقد حاول سنحاريب تهديد الدلمونيين بعد أن قضى على بابل في ٦٨٩ ق. م. فأرسل إليهم رمادا من مخلفات حريق بابل تخويفاً وإرهاباً لهم، ولكنهم لم يخضعوا - فأرسل إليهم وفداً يخير ملكهم بين الخضوع والدمار، ففضلوا الخضوع مع دفع الضرائب، مما أفقد دلمون كثيراً من نشاطها وأزدهارها، إلا أنها مع ذلك لم تفقد الاتصال مع الجهات التجارية.

وقام «أسرحون» ابن سنحاريب في (٦٧٤ ق. م) بحملات حربية في قلب الزيرة العربية، في بلاد «باصو -بازو» التي هي نجد وحاسو أي الاحساء، وهي غالباً تعد المنطقة الواقعة بين نجد والخليج وبلاد بابل السفلي. كما ذكر «سرجون الثاني» في حديثه عن دلمون - أنه أخضع إلى سلطانه «بيت ياكين» في ساحل البحر المر إلى تخوم دلمون، ويرجح أن يكون إقليم بيت ياكين قد امتد حتى شمل الكويت أو جزءاً منها، وبذا فإنه يمكن أن تكون قد نشأت مملكة الدلمونيين في ٣

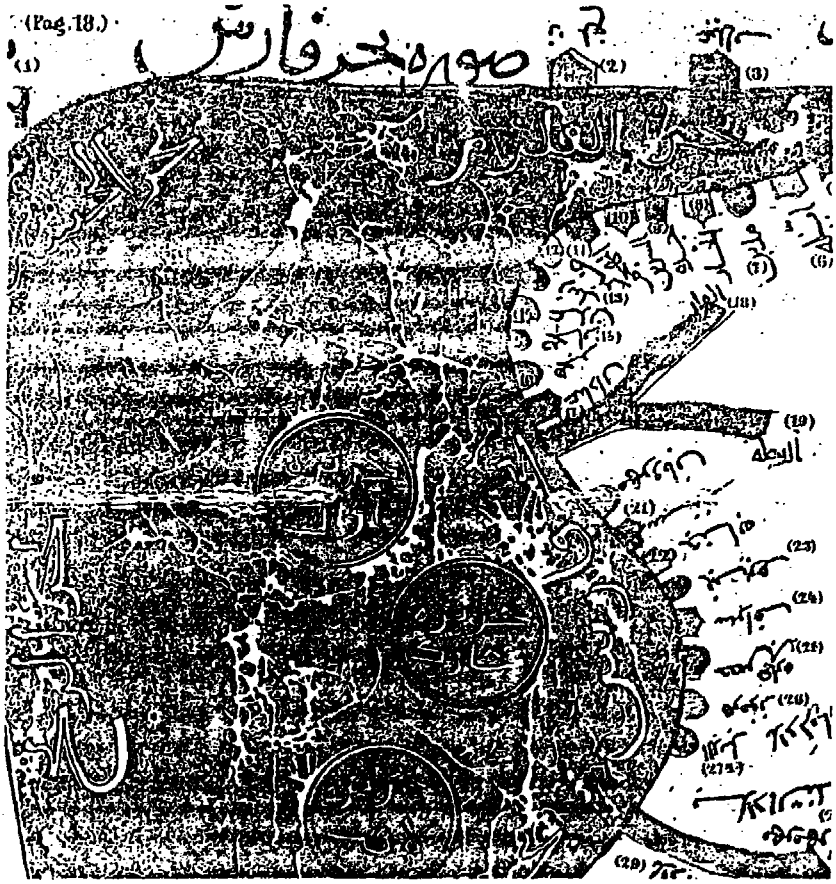
آلاف ق . م . وشملت البحرين ولأحساء ، وأنه كان لهم الاتصال المستمر مع السومريين والبابليين والاشوريين ، فقد جاء أنه منذ القرن (٩ق . م) كانت جزيرة العرب مسرحاً لملوك آشور يحاربون فيها ، وعندما انتقل حكمهم إلى الفرس أيام «قورش» أصبح العرب تحت حكمهم .

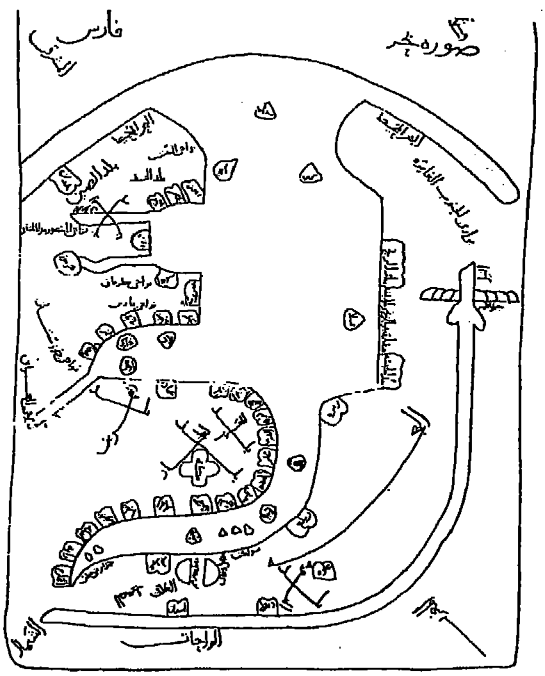
وقد فطن الإسكندر الأكبر إلى أهمية الخليج كطريق رئيسي للتجارة بين الهند والبحر المتوسط عن طريق الفرات ، فأمر أحد قواده بأن يستطلع مياه الخليج حيث قام «نيار خوس» في (٣٢٤ق . م .) على سفينة مبحرا من نهر الهندوس حتى الخليج ، فامتد بصره نحو الجزيرة العربية ، فعمل على اكتشاف تلك الأرض المجهولة على الشاطئ العربي للسيطرة على الخليج بشاطئيه . كما ذكر «استرابون» أن الإسكندر فكر في أن يجعل نفسه سيداً على الجزيرة - فأعد اسطولاً ومواقع للإلتقاء فيها ، وبعث وفوداً استطلاعية لكشف الساحل العربي من الخليج فوصل البحرين Tylos إلا أنه توفي عام (٣٢٣ق . م) دون إتمام أهدافه بكشف سواحل الجزيرة العربية كلها .

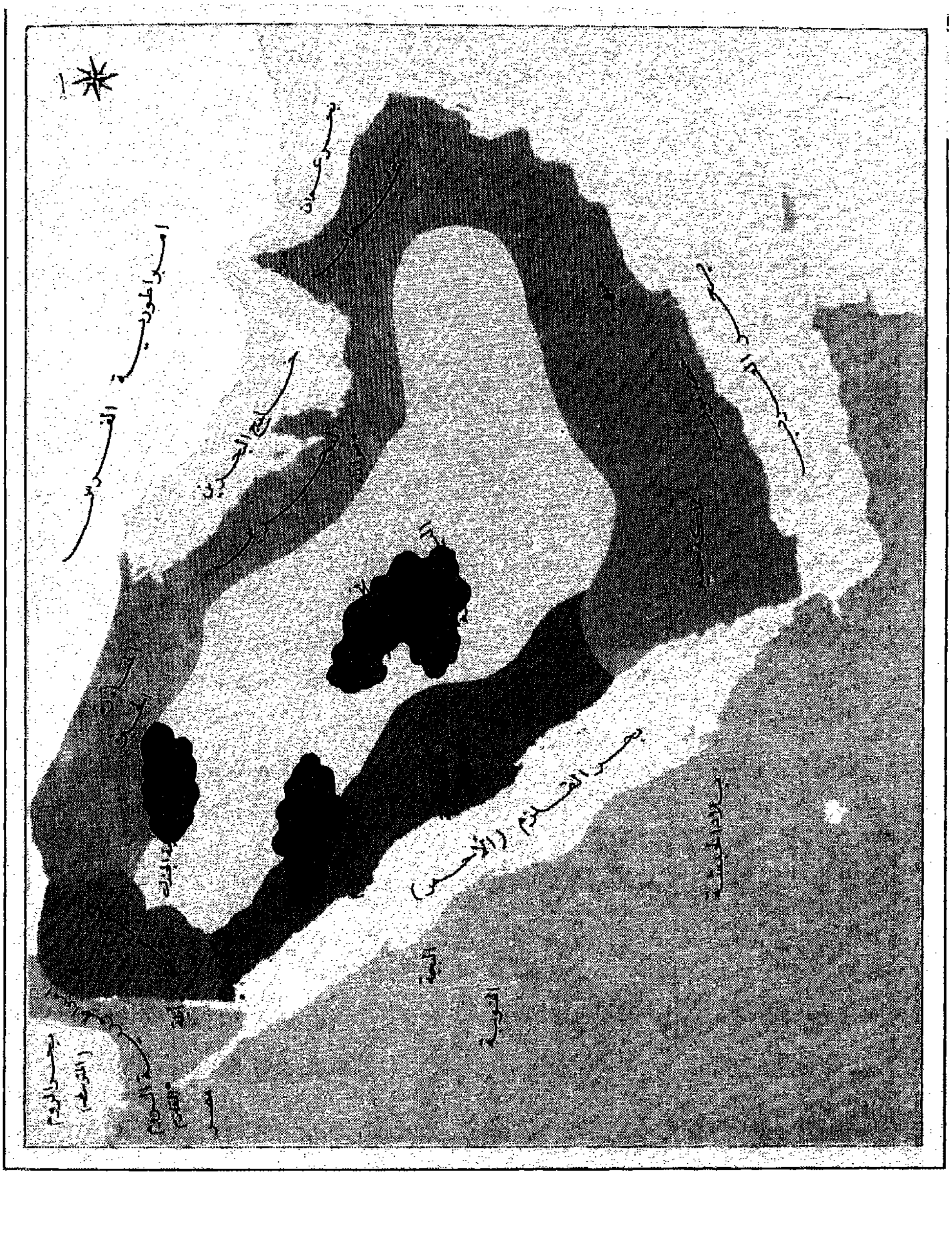
كما سيطرت فارس على مناطق الخليج أكثر من قرنين حتى استقلت عنها في منتصف القرن الثالث ق . م[١] . فالعرب لم يتمكنوا من دخول العراق منذ القرن ٣ ق . م . وحتى القرن الثالث الميلاد ي في عهد ملوك الأشكانيين في فارس والعراق ، خوفاً من هولاء الملوك على الرغم من أن عدداً كبيراً منهم نزحوا من مواطنهم إلى جهات أخرى كالبحرين واليمامة للاستقرار فيها .

وفي عام (٢٢٠م) دفعت مطامع التوسع الفرس إلى الشاطئ العربي للخليج وأقصاء حكام البحرين ، وكان الساسانيون قد وضعوا في القرن(٣م) سفناً في الخليج لحماية سفنهم من التحرش بها ، ولحماية حدودهم الجنوبية الواقعة على

(١) حكم الساسانيون الفرس العراق لمدة أربعة قرون منذ القرن ٣م .


(Pag.18.)
صورة بحر فارس


فارس
صورة بحر


امبراطورية الفرس
خليج البحرين
بحر القلزم (الأحمر)
بلاد الحبشة

الخليج من التعـرض للغزو الـذي غالباً ماكان يأتي من طرف البيزنطيين، فأقـام «أرد شير الأول» ٢٢٥-٢٤١م عدة موانئ بحرية ونهرية لهذا الغرض، كما أن الفرس كانوا يتوسعون في الأراضي بحسب الظروف، فيتقدمون نحو الجنوب في اتجاه «العروض» وبقية الأقسام الشرقية من جزيرة العرب عند قوتهم، وينسحبون عند الضعف أو عند انشغالهم بالحروب الخارجية.

وذكر «الطبري» أن أرد شيراً هذا بني بالبحرين مدينة سماها: «فنياذ أردشير» وقال إنها مدينة «الخط». فقد استولى «أرد شيربابك» على البحرين وبني مدينة الخط وهي القطيف، وهو أول استيلاء للعجم على أرض البحرين، وقد ثار العرب عليهم فخرجت جماعة من عرب البحرين من عبدالقيس أيام «شابور ذي الأكتاف» (٣١٠-٣٧٩م) فعبروا الخليج إلى بر فارس واحتلوا أجزاء فيها. فقد جاء في حوادث التاريخ أن ملك اللخميين (المناذرة) في الحيرة، (امرؤ القيس بن عمرو بن عدي) أخضع لسطانه قبائل معد وفروعها فامتد نفوذه إلى البحرين والحجاز ونجد وأطراف العراق والشام واليمن[1]، وذلك في عهد «شابور ذي الأكتاف» وهو طفل صغير، وعندما كبر حارب القبائل العربية في ٣٢٥م فأصبحت مناطق شرقي الجزيرة العربية تحت نفوذ حكم الساسانيين.

فقد قطع الخليج إلى البحرين واليمامة والقطيف ووصل الأحساء فقتل الكثير، وأنزل قواته العسكرية في القطيف واستولى على هجر والمناطق المجاورة، وكاد أن يبيد القبائل العربية فيها، فورد المشقر باليمامة وفيه من تميم وبكر بن وائل وعبدالقيس، فسفك دماءهم وردم الآبار ليحرم الناس استخدامها والانتفاع بها، كما صار ينزع أكتاف العرب فسمي بذلك ذا الأكتاف.

---

(١) كان الاتصال بين البحرين والمناذرة وثيقاً حتى أوائل القرن (٧م) وتبين اثار نفوذهم أن أميرهم عمرو بن كلثوم ٥٦٩ أمر وإليه بالبحرين بقتل الشاعر «طرفة بن العبد».

وقد نتج من أعماله المرعبة هذه تفرق القبائل إلى جهات أخرى بعيدة مثل عمان إضافة إلى أنه قام بتفريق أفراد السكان وتوزيعهم على جهات ومناطق نائية، فقد أسكن أفراداً من بني تغلب ساكني البحرين في دارين، ومن كان من عبدالقيس وطوائف من تميم في هجر.

وفي كرمان أنزل جماعة من بكر بن وائل الأمر الذي زاد في عدد العرب المقيمين في شرقي الخليج. وقد ذكر أن أسباب ماحمله على هذه الغزوة هو القضاء على نفوذ القبائل العربية التي تسكن السواحل الجنوبية لفارس ولإعادة السلطة المركزية للدولة، مما جعله يقود حملة تأديب لتلك القبائل العربية التي كانت تغير على حدود بلاده الأمر الذي دفعه إلى التفكير بحفر خندق من هبت بالعراق إلى كاظمة بالكويت لمنع تلك القبائل من الأتصال أو الاتجاه إلى العراق(١). إلا أن «سابور» استمال تلك القبائل بعد فترة للاستفادة منها في حروبه مع الرومان، كما أن الملك خسرو الثاني (٥٩٠-٦٢٨) قد غزا عمان فشمل حكمه البحرين وحضرموت.

وفي ٧٥٠م أبحرت حملة بحرية فارسية من ميناء «أبله» لحرب الأحباش في اليمن، إلا أن الحاكم الفارسي فكر في احتلال ساحل شبه الجزيرة العربية كلها فاتجه القائد الفارسي في أسطوله نحو البحرين - التي كانت خاضعة لعمان في ذلك الوقت - وأخضع سكانها، ثم اتخذ من صحار مركزاً رئيسياً له، وتم تعيينه «مرزياناً»(٢) فكان أول حاكم فارسي على إقليمي عمان والبحرين، فدخلت المنطقة الساحلية كلها في سلطانهم بما فيها عدن واليمن. ويحتمل أنّ هذا الحاكم

---

(١) كان نزوح العرب إلى فارس يتم عن طريق البحر فيزحف أهل ساحل الخليج من الخط والبحرين وكاظمة وعمان إلى السواحل المقابلة.

(٢) مرزيان: أي حاكم الحدود، فمرز يعني حدود.

الفارسي كان خاضعاً «للمنذر بن النعمان بن لخم» كما يقول الطري ، وأنه هو الذي عهد إليه كسرى بحكم عمان والبحرين واليمامة وجزء من الحجاز .

ويعتبر إخضاع الأجزاء الشرقية والجنوبية من الجزيرة العربية ، نقطة تحول بارزة في تاريخها ، على أساس أنها آخر حدث هام فيها قبل ظهور الإسلام ، حيث أن الإسلام أوقف تلك الحملات وأنهى حركات الاستعمار الأجنبي لتلك المناطق بعد أن دخلها المسلمون وضموها إلى دولتهم .

الفصل العاشر

العلاقــات في العصــور الوسـطــى
تأسيس إمارات
بنى ثعلب ، بني عيون ، بني عصفور
بــني جـــبر

الإمارات والدويلات التي تأسست
بعد القرامطة منذ القرن العاشر م حتى القرن ١٥م

بعد الخلاف الذي حدث بين «إسحق وجعفر» اللذين حكما الإحساء بعد «الحسن الأعصم» وبعد الضعف والإنهيار الذي أصاب دولة القرامطة، خرجت مناطق عدة من أيديهم، بتأثير من الأسر المحلية والقوى الداخلية التي برزت في المنطقة وأقامت إمارات محلية في أرجائها. وقد اشتهر من تلك الأسر والإمارات:

١ - بنو ثعلب

وتزعمهم «الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي» في الإحساء، تحالف مع بني مكرم في عمان، ومع بني عقيل اللذين نافسهم على الحكم: بنو سليم، فتحاربوا وطردوا بني سليم من البحرين فساروا إلى مصر، إلا أن النزاع نشب بين المتحالفين، بين ثعلب وبني عقيل، فتفوق بنو ثعلب وطردوا الآخرين رلى العراق، فاستقل بنو ثعلب في الإحساء وتوارثوا الحكم في أبناء الأصغر.

وقد حارب الأصغر بني عقيل في العراق في ٤٣٨هـ واستولى على بعض مناطق نفوذهم في الموصل والجزيرة، ولكن حكمه انحصر في البحرين. إلا أن بني عقيل عادوا إلى البحرين بعدما ضايقهم السلاحقة في العراق وتمكنوا من التغلب على بني ثعلب والسيطرة على إمارتهم، فحكموا المنطقة حتى ظهور أسرة «العيونيين». وقد تبع بنو ثعلب الخليفة العباسي، وطبقوا في نظام حكمهم الأسلوب الإقطاعي، حيث سيطر رئيسهم كاملاً على البلاد، على أن يحكم الولايات الداخلية حكام محليون، كما لأنهم كانوا قبل سيطرتهم على المنطقة من المناوئين للقرامطة، حيث أنه في ٩٨٨م جمع الأصغر من بني المنتفق كثيراً من الرجال وأغار على القرامطة فتقل منهم الكثير وتبعهم إلى الأحساء التي تحصنوا

بها فأغار على القطيف وأستولى على مافيها من عبيد وأموال ومواش وسار بها إلى البصرة.

٢ - الإمارة العيونية

في نهاية القرن الخامس الهجري أصبحت «أوال» جزيرة البحرين مركز الصراع بين القرامطة حتى هاجمهم الجيش العباسي وأنهى دولتهم بعد موقعة الخندق في ٤٦٩هـ فتوزع الحكم في المنطقة بين فئات ومجموعات متباينة، كان أهمها:

- **جماعة قادهم عبدالله بن علي آل إبراهيم العيوني، من عبدقيس، وقد سكنوا مشارف العيون في الأحساء.**
- **وجماعة قادهم أبو البهلول العوام بن محمد بن يوسف الزجاج، الذي استغل الصراع بين «أوال» والأحساء فسيطر على الجزر.**
- **وفئة ثالثة تزعمها يحيى بن العياش الذي ثار في القطيف على القرامطة وبسط نفوذه عليها. ونافسه على الحكم أبو البهلول الذي انهزم أمامه فحكم ابن العياش البحرين مع إقامته في القطيف.**

أما ابو البهلول، فقد كان ضامناً لخراج القرامطة في البحرين، استغل ضعفهم ليتحكم فيها فعمل في المنطقة لحساب الدولة العباسية، وأوضح في كتاب له إلى ديوان الخليفة موقفه من القرامطة، وعقده العزم على مجابتهتهم للتخلص منهم في «أوال» البحرين فيذكر:

أنه «جمع رأيه على حربهم، وأن جماعته من مؤيديه يبذلون الأرواح في

سبيل الله ومجاهده القرامطة أعداء الله، مستشعرين طاعة الدولة العباسية ومذهبهم السنة والجماعة مذهب الإمام أبو حنيفة، به يعرفون وبه يحيون ويموتون، لأقيم لمولانا الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين في المسجد الجاسم رسم الخطبة على العادة المعروفة ثم لي بعده، إذ لا جامع في هذه الأقطار كلها إلا هو وتقام الصلوات في «سواه». ويمضي في حديثه متناولاً حروبه: «عمدت إلى طرف من أطراف دولتهم يعرف بالعقير وهو دهليز الأحساء ومصب الخيرات، فخربته وبالحضيض الأسفل ألحقته»، ولكنه كما عرضنا فقد تخلص منه ابن العياش، حكم الجزيرة بالإضافة إلى عاصمته القطيف.

كما أن عبدالله العيوني تمكن من السيطرة على هاتين الفئتين في القطيف والبحرين، فحكمهما مع مناطق أخرى تبعت نفوذه. والعيونيون من بني عبدالقيس ينتسبون إلى واحة العيون بالأحساء.

علاقاتهم مع المناطق المجاورة:

تحالف «عبدالله بن على العيوني» مع العباسيين للتخلص من القرامطة، فتمكن من إقامة إمارة في الأحساء عام (١٠٧٤م-٤٦٦هـ) وضم إليها القطيف وأوال، فامتدت دولته أكثر من قرن ونصف حيث أنتهت في (١٢٣٢م-٦٣٠هـ). واتصل كذلك بالسلاحقة الذين قدموا له مساعدات مقابل ماقدمه لهم في نجاحه بالتخلص من نفوذ القرامطة والفاطميين، فقد ساعدهم ملكشاه السلجوقي لما عرف عنه من عداء للإسماعيليين ومن يمت إليهم بصلة. إذ إنه زحف نحو القطيف واحتلها بمساعدات السلاجقة الذين أمدوه بستة آلاف فارس بقيادة «سالار» كما حاصر الأحساء عند عودته، فطلبوا الصلح مقابل دفع مبلغ كبير من المال، ولكن الأهلي بدلاً من جمع المال له، أعدوا السلاح والطعام استعداداً لمحاربة سالار والعيوني، إلا أنهم ضعفوا أمامهم واستسلموا بعد تدخل الجيش

العباسي الذي ساعد في سيطرة العيوني على الأحساء.

كما تمكن «عبدالله» التخلص من شيوخ «بني عامر» الذين تصدوا له فهزمهم في معارك حربية واحتل البحرين، فعين ابنه «الفضل» أميراً على القيف، وعيَّن ابنه علياً على أوال البحرين، وقد أمتد حكمه خمسين عاماً أوستين.

وقد حكم الإمارة عشرون أميراً في هجر الأحساء وأوال البحرين والقطيف والخط. إلا أن عصرهم تميز بالاغتيالات التي كثرت بين أبنائه حتى أنه لم يكن يستمر بعضهم في الحكم سوى أيام أو شهور. وقد حكم بعده حفيده: «ابو سنان محمد بن الفضل بن عبدالله» الذي حاربه عماه: أبو منصور على، وأبو علي الحسن، فقتل في تلك المعارك أبو سنان وأخوه أبو شبيب جعفر بن الفضل، الأمر الذي أدى إلى ضعف دولتهم وانقسامها إلى قسمين: حيث سيطر «أبو منصور» على الإحساء، وحكم القطيف «غرير بن الفضل بن عبدالله العيوني» الملقب بأبي فراس (وهو أخو أبي سنان) وقد هاجم هذا الأحساء في ١١٥٠م للثأر، فقتل في معركة «السليمات» ضد عمه أبي منصور.

وبذا فقد انتهى عهد آل الفضل في الحكم، وسيطر على الأحساء الأمير«شكر بن علي بن عبدالله العيوني». وفي القطيف تولى الحكم فيها الأمير «الحسن بن عبدالله». واشتهر من حكامهم في هذه الفترة الأمير «محمد بن أبي الحسين بن أحمد بن أبي سنان بن محمد بن الفضل بن عبدالله العيوني» الذي حكم منذ (١١٨٧م) في القطيف، كما ضم البحرين والأحساء فاتسع حكمه في جزيرة العرب، واتصل بالخليفة العباسي الناصر لدين الله الذي أجزل العطاء لأمراء العيونيين في مقابل أن يوفروا الأمن والسلامة للحجاج.

فقد فرض إلى «محمد بن أبي الحسين بن أحمد بن الفضل» من ميزانية بغداد كل عام ألفاً ومائتي ثوب من عمل مصر، ومن البصرة ألفين وخمسمائة حمل من

التمر والحبوب كل عام مدة حياته، وقد حارب «ابن الفضل» «دهمش بن سند بن أجود» حينما تعرض للحجاج في الطرق، حتى اضطره بعد المعارك الحامية أن يستجير بقبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[1] فحاصر الأمير المشهد ولكنه لم لم يخرجه بالقوة، حتى أرسل الخليفة العباسي رجاله فيقبضوا عليه. وانتهت حياة الأمير «محمد» بالقتل في ١٢٠٦م لتتعرض الأحساء ثانية للصراع بين الأسرة العيونية - حيث حارب الأمير «الفضل بن محمد» خصم الأمير «غرير بن الحسين» فاحتل القطيف في ١٢٠٩م بالتعاون مع الخليفة العباسي، إلا أن العماير ثاروا عليه وحاربوه فأخرجوه من البلد في ١٢١٩، وتولى الإمارة ابن عمه «مقدم بن ماجد» ثم أخوه فاضل في ١٢٢١، فامتد حكم آل العيون إلى (١٢٣٢م) في الأحساء حين استلم منهم الحكم ال عصفور في (١٢٣٨م).

أما في البحرين (أوال) والقطيف فقد استمر حكمهم فترة أخرى - حيث تولى أبناء الأمير مسعود بن أحمد وهم: محمد وحسين وحسن الحكم في (١٢٢٤م) وفي عهد محمد بن مسعود تمكن أمير هرمز «سيف الدين أبو النظر» من الاستيلاء على جزيرة قيس والسيطرة على أوال في ١٢٢٩، وكذلك سيطر الصلغريون على المواقع في البحرين والقطيف، الأمر الذي أنهى دولة العيونين فيها سنة ١٢٣٢، ويذلك البعض أن قوة فارسية تسمى الزنجيين احتلت القطيف والأحساء، فسقطت دولة العيونيين في كافة أنحاء البحرين في ٦٣٦هـ.

وقد تأسست دولة الزنجيين هذه في فارس في (٥٤٣هـ) بعد نهاية الدولة السلجوقية، وهم يعدون من الطبقة الثالثة من ملوك الفرس أولهم «منقور بن مودود» واشتهر منهم «أبو بكر بن سعيد» وإبنه «سعد» الذي انتهت الدولة في عهده، إذ كان قد صعد نجم «آل عصفور» في هذه الفترة وتمكنوا من الاستيلاء

(١) في تحفة المستفيد يذكر أنه استجار بمشهد الإمام الحسين عليه السلام.

على الأحساء والبحرين من الزنجيين.

أما عن حكام آل عيون، فقد وصفهم أهل التاريخ بالخير والكرم وتقدير الرجال ومساعدة الناس في وقت الأزمات والمجاعات والحروب، فكانوا يسقطون الضرائب عنهم للتغلب على تلك الأزمات والمحن.

أما بالنسبة لعقيدتهم ومذهبهم، فقد ذكر البعض من المؤرخين[1] أن العيونيين ساروا على مذهب أهل السنة، وكذلك بنو عصفور، إلا أن أبو عبدالرحمن عقيل الظاهري فيؤكد أن العيونيين كانوا شيعه[2]، وفي الحقيقة أن آل عيون وآل عصفور وحكام المنطقة كانوا دولاً شيعية، دون الحاجة إلى الدخول في مناقشات وحوارات حول هذا الموضوع، فقد كانت السيطرة في الأحساء قبل العيونين مذهبياً «للمذهب الجعفري، فقد جاء أن مسجد الخميس في المنامه - البحرين - الذي قيل إنه بني في عهد عمر بن عبدالعزيز قد أوضحت الكتابات على جدرانه أنه بني في عام (٧٤٠هـ) وأن المنارة الغربية منه بنيت في سنة (١١٠٠هـ) بأمر الحاكم العيوني أبو سنان محمد بن الفضل عبدالله، حيث وجدت نقوش على باب هذه المنارة عليها أسماء الأئمة الإثنى عشر من آل البيتعليهم السلام[3] ولذا قيل إن العيونين ساروا على المذهب الشيعي.

وقد ذكر «ابن حجر العسقلاني» أن بني جروان» الذي حكموا في الفترة خلال سيادة بني عيون كانوا شيعة، وأنهم بطن من قريش، إلا أنهم في الواقع من بني عبدالقيس وليس من قريش، وكانوا أصحاب السيادة في القطيف إذ تمكن «جروان» من استلام الحكم من «سعيد بن مغامس بن سليمان القرمطي» في (٥٠٧هـ) وحكم البحرين، وهم من كبار الروافض، على الرغم من أن القرامطة

---

(١) عبدالله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، جزء(١)، ص٣١، ٣٢.
(٢) أبو عبدالرحمن العقيل: الأسر الحاكمة.
(٣) وقيل انه ربما بنيت هذه المنارة في العصر الصفوي.

كان قد انتهى عدهم في القرن (٤هـ) كما ذكر «ابن بطوطة» أنه سافر في (٧٢٥هـ) إلى القطيف، حيث سكنها طوائف العرب وأنهم رافضون غلاة يظهرون الرفض جهاراً[1].

ويرى الكاتب العثيمين أن «أبوجروان» لقب وأن اسمه: غرير، أبو علي إبراهيم بن عبدالله بن غرير بن إبراهيم بن أبي جروان، من رؤساء عبدالقيس، وأن جروان المالكي هو من بني عامر، والمالكي نسبة إلى فخذ من بني عامر يسمى بني مالك وليس نسبة إلى المذهب المالكي، وهو يؤكد أن وجود المذاهب الدينية المختلفة في الأحساء كان لها أثرها في تقدم الحركة العلمية وحضور طلاب العلم إليها من مناطق أخرى متعددة. على كل حال كان إبراهيم بن عبدالله بن أبي جروان من رؤساء الأحساء، خطط للإطاحة بنظام الأمير علي بن ماجد الذي هرب سراً من البلاد، فتمكن عصفور بن راشد بن عميرة توليّ الأمر منهياً لدولة آل عيون، مبتدأ لدولة العصفوريين في المنطقة.

٣ - إمارة بني عصفور (١٢٣٨-١٣٨٢م):

يرجع نسبهم إلى قبيلة «بني عامر» التي نافست العيونيين في حكم المنطقة وأسقطت دولتهم، فاحتلوا القطيف وأوال وانتزعوها من الزنجيين، وظلت أسرتهم تحكم فيها حتى القرن (١٠هـ) حين أنهى نفوذهم بنو جبر (العقيليين).

وقد اشتهر منهم: الأمير «عصفور بن راشد العقيلي العامري» الذي طرد آل عيون من الأحساء وأنهى حكمهم فيها في ١٢٣٨م - ٦٣٦هـ وحكموا البحرين واليمامة كذلك. وقد ازدهرت المنطقة في فترة حكومتهم نتيجة هجوم المغول على جنوبي إيران، مما أدى إلى هجرة أقوام كثيرة من الفرس إليها هرباً من الوضع المتردي - الأمر الذي زاد في ازدهار النشاط التجاري، وبذا فإن عصر بني

(١) أبوعبدالرحمن العقيل: المرجع السابق، ص١٩٢.

عصفور تميز بتزامنه مع اجتياح هولاكو لبغداد وانهيار الخلافة العباسية في ١٢٥٨م وهجومهم على فارس وانتصار المماليك عليهم في معركة عين جالوت ١٢٦٠م، مما منح المماليك مكانة كبرى في العالم الإسلامي، كما ازداد نفوذهم في الخليج، حيث توطدت علاقتهم مع أمراء البحرين، وخاصة عندما سار إلى مصر وفد من بني عامر ليقابل السلطان بيبرس برئاسة «محمد بن أحمد العقدي».

وعلى الرغم من أن الكاتب عبدالله العثيمين يذكر أنهم كانوا على المذهب السني، فإن أبا عبدالرحمن العقيل، يذكر أنه توجد أعلام تنتسب إلى عصفور أكثرهم شيعة، فلعلهم من أسرة العصفوريين الحاكمة مثل: أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور بن أحمد بن عبدالحسين بن عطية بن شنبه الدرازي البحراني في (١١٣١هـ)[١]. وقد حكم آل عصفور قرناً ونصف حيث زال حكمهم في نهاية القرن (١٤م).

٤ - الجبور: بنوجبر (العقيليون)

انتسبوا الى قبيلة عقيل بن عامر التي اقامت بالقطيف والأحساء، وهم من بني عامر بن عبدالقيس من ربيعه، عرفوا باسم العمور ثم العماير، كما انتسبوا الى بني خالد فأطلق عليهم (بنو خالد)، كما انتشرت ديار بني عامر في العراق، والقطيف، البحرين.

وقد استغلوا النزاع الذي حدث بين أسرة العيونيين للتدخل في الأحساء والاستيلاء عليها، فبرز في المعارك التي دارت بينهم دور بني عامر الذي عظم نفوذهم في تلك الصراعات. وتنسب دولة الجبور في الأحساء إلى: «جبر بن

(١) وقد كان آل عصفور ومازالوا يعتنقون المذهب الجعفري.

حسين بن ناصر بن عقيل» فهو رأس الأسرة والدولة، أما أول حكامهم فكان «زامل بين جبر» الذي ظهر في الأحساء وقصد الدواسر في واديهم (١٤٤١م-٨٥٢هـ)، وأما أعظم حكامهم فهو «أجود بن زامل» الذي امتد نفوذه واتسع سلطانه، وساد الرخاء وانتشر العلم في عهده، فاهتم بالعلم والعلماء وأكرمهم، وكان قد ولد في الأحساء في ١٤١٨م وحكم القطيف والأحساء ومناطق نجد والبحرين وعمان قبل عام ١٤٧٠م.

وقد اعتبر سيد الخليج، إذ تمكن من توحيد تلك المناطق وحكمها بجانب هرمز، وقال عنه السخاوي: صار رئيس نجد، وكان له إلمام ببعض فروع المالكية، واستقر في قضائه بعض أهل السنة بعد أن كانوا شيعة وأقام الجمعة والجماعات[1].

وجاء بعده «محمد بن أجود» الذي ساعد الأشراف في مكه للتخلص من الفتن التي أثارها البدو في جدة ١٥٠٧م ثم خلفه أخوه «مقرن بن أجود» الذي جرت في عهده حروب طاحنة مع أمير «هرمز» للسيطرة على البحرين، وقد نجح في صده والاستيلاء على هرمز، إلا أن البرتغاليين تدخلوا في هذا الوقت فانقلب الوضع لصالح أمير هرمز، وقد كان له الأثر البارز في سير الأحداث أيام وجود البرتغاليين في المنطقة، إذ صمد أمامهم على اعتبار أنه كان من رافضي التدخل الأجنبي في شؤونهم الداخلية، فانحاز إلى الأتراك المعادين للفرس والبرتغال.

ولكن البرتغاليين اغتالوه في المعركة الحاسمة التي جرت للاستيلاء على البحرين في (١٥٢١م)، ثم قبضوا على السفينة التي حملوا فيها جثمان «مقرن» فقطعوا رأسه ليأخذوه إلى «البوكيرك» القائد البرتغالي الشهير بالعنف والقسوة والشدة وحب إراقة الدماء. فتولى القيادة «إبن اخته: حميد» الذي انسحب

(١) عبدالرحمن بن عثمان آل ملا، تاريخ هجر، ص١٨٨.

بالقوات إلى القطيف حيث دفن جثمان مقرن بالأحساء.

وكان شيخ بني خالد قد تزوج أخته (أخت مقرن) وهو مايفسر تولي الشيخ حميد ابن أخته حكم البحرين والقطيف. ولعل «حميداً» هذا هو جد آل حميد من بني خالد، الذي قاد الجيوش بعد «مقرن» حيث ذكرته الوثائق البرتغالية على أنه قائد عسكري في عام ١٥٢١م.

وتولى الحكم في الأحساء بعده «علي بن أجود» حتى زال حكمهم في (١٥٢٥م - ٩٣٢هـ)، بعدما جرت عدة معارك وحروب بينهم وبين «راشد بن مغامس» الذي استولى على البلاد إلى أن سيطر العثمانيون على المنطقة وأنهوا حكم آل مغامس. فقد تواجد العثمانيون في المنطقة وحكموا الأحساء والبحرين في (١٥٣٥م)، وتمكنوا في (١٥٤٦م) من طرد «آل مغامس» حكام البصرة منها.

كما استعان بهم أهل القطيف لطرد الحاكم الهرمزي وجنوده، إلا أن البرتغاليين لم يمكنوهم من ذلك. وأنتهت سيطرة البرتغاليين في المنطقة في ١٦٢٦م بعد اجتماع القوى السياسية المختلفة في المنطقة عليهم من عثمانيين وفرس وعرب وقوى أوروبية كالإنجليز والهنولنديين، كما أن الشاه عباس الصفوي احتل البحرين في ١٦٢٢م.

والفترة مابين ١٥٢١-١٦٧١م (٩٢٨-١٠٨٢هـ) هي الفترة التي استمرت فيها دولة الجبور من «بني خالد» وهم: (آل حميد أو آل عريعر أو آل غرير أو بني عريعر أو بني خالد)[1]. وقد تمكن بنو خالد من استعادة الحكم على الأحساء على أيدي آل عريعر.

(١) أتخذ أمراء الجبور ألقاب: الغريري، الخالدي، الصبيحي.

ولاتزال أثار القصر الكبير الذي شيده «أجود بن زامل» بقرية المنيزلة بالأحساء باقية تحمل اسمه حتى اليوم. وقيل عنه عندما توجه إلى أداء الحج في ٩١٢هـ وافقه ٣٠ألف فرد، إذ كان الأمن منتشراً في طريق الحج من شرقي الجزيرة إلى مكة المكرمة.

وقد ذكر العثيمين في كتابه أن «آل أجود» كانوا على المذهب السني وكذلك زعماء بني خالد، وبرغم ذلك فإن القضاء في دولة بني جبر قبل أيام «أجود بن زامل» كان من الشيعة، فقد جاء أن سيف بن حسين الجبري أسس جامعاً كبيراً بحي الكوت في الهفوف أستقدم للخطابة فيه الشيخ نصر الله الطيار الجعفري المنسوب إلى جعفر بن أبي طالب من المدينة المنورة.

ومنذ القرن الخامس عشر الميلادي - تدخل المنطقة في صراع وتنافس بين القوى المحلية، وبينها وبين القوى الأجنبية، وبين هذه وبين الدولة العثمانية، وتتحرك موجات القبائل داخل شبه الجزيرة العربية في ظل سيادة بني خالد في القرنين (١٦ , ١٧م)، وتشهد المنطقة إعادة صياغة للجغرافية القبلية والاقتصادية، فتظهر أسماء جديدة للأسر الحاكمة في الإمارات والمقاطعات التي استمرت في وجودها حتى يومنا الحالي - إذ إن المنطقة تقاسمها أمراء وشيوخ تفردوا في الحكم بإماراتهم دون أن تقوم فيها إمارة قوية ضابطة، ومن أشهرها: آل سعود وآل دواس وبنو خالد وآل شبيب والعتوب من آل صباح وآل خليفة وآل بوفلاح. ولم يكن في الحقيقة لتلك الكتل البشرية نظام سياسي معروف - بل غلبت عليها روح الاضطراب والعداء والحروب.

الفصل الحادي العاشر

علاقات الأحساء في العصور الحديثة
دولـة بـني خـالـد
وعـلاقـاتهـا الإقليمـيـة والدوليـة

١ - الأحوال السياسية في الأحساء قبل سيطرة بني خالد عليها:

كانت «الحسا» خاضعة للحكم الجابري: بنو جبر في ١٥٨١م حين تمكن «براك بن غرير الخالدي» من احتلالها في ١٦٧٠م بعد أن طرد منها العثمانيين الذي كانوا قد سيطروا عليها منذ سنة ١٥٥٠م بمساعدة قبائل المنتفق في جنوب العراق[١].

فقد حكم الاحساء بعد زوال نفوذ القرامطة ولاة وأعراف ومشايخ إلى الوقت الذي استولى عليها بنو زامل الجبري، حيث سلمها السلطان العثماني «سليم» في (١٥٢٠م) إلى ولاة اليمن بإمارة «أجود بن زامل العامري الجبري القيسي» إلا أن العثمانيين أخرجوا في (١٥٢٢م) آل الجبري منها ليتولاها الولاة الأتراك مباشرة[٢].

ولما لم تكن لهؤلاء الولاة أية صلاحيات في الحكم إذ كان حكمهم شكلياً، فإن براك بن غرير آل حميد تمكن من استخلاصها والأستيلاء عليها في (١٦٧٠م) مستقلاً بإمارتها، حيث عد أول مؤسس لحكم بني خالد فيها، حتى الوقت الذي تمكن فيه آل سعود من إخراجهم منها في ١٨٣٣م، وبذا فإن الحالة المتردية للدولة العثمانية هي التي مكنت آل حميد من اغتنام الفرصة للثورة على ولاتها وطردهم من الأحساء.

وكان السلطان «سليمان القانوني» قد انتزع اقليم الأحساء من البرتغال، ليحكمها الأتراك حتى (١٦٧٠م) حينما قاد «براك بن غرير» زعيم بني خالد ثورة محلية أهلية طرد منها العثمانيين وأسس دولة حكمتها أسرته حتى (١٧٩٥م)

(١) كانت قبيلة آل شبيب تحمي الأتراك بالأحساء بزعامة راشد بن مغاس. وآل شبيب هم آل سعدون أمراء المنتفق.

(٢) احتل البرتغاليون القطيف وقتلوا حاكمها مقرن بن زامل بن حسين بن ناصر الجبري في ١٥٢١م.

عندما انهاها آل سعود بقيادة أمير الأحساء «عبدالله بن عفيصان». وقد استخدم المؤسس «براك» الأعمال الحربية في الاستيلاء على الأحساء، فقد حاصر الحامية العثمانية في الهفوف حتى استسلمت فحصنها براك الذي أصبح ملكاً عليها، وأقام في المبرز حيث بنى قصراً فخماً فيها يعرف «بالقلعة».

ويعتبر الخوالد من أهم التجمعات في القرن ١٧ و ١٨م حيث تحركوا في شرقي الجزيرة العربية خلال القرن ١٦م ونشطوا في المجال البحري، حيث أعدوا لصد غزوات البرتغال على الساحل الغربي للخليج، وصدوا غزوة لهم في ١٥٦٨م لمكان يدعى «نخيلة» في الساحل الشرقي للخيج بفارس، وتمكنوا من هزيمتهم وانسحابهم، فالمصادر البرتغالية تتحدث عن حملات قاموا بها بنو خالد ضد «نيكولا - نخيلوه» أحد موانئ بني خالد في ١٥٨٥م وانهت تلك الحملات الوجود البرتغالي البحري في الميناء، مما يدل على قوتهم البحرية ونشاطهم المبكر في المنطقة.

إن الثورات المحلية الأهلية التي قادها أمراء بني خالد ضد الحكم العثماني في الأحساء، كان نتيجة المعاناة من قسوة الولاة وبطشهم وجشعهم وقوانينهم المالية والاجتماعية غير العادلة، والإدارة السيئة، ورغبة الولاة في تحصيل الأموال دون الاهتمام بشئون الأفراد والبلاد، واستمرار تلك الأحوال السيئة منذ منتصف القرن (١٦م) ١٥٦٠م وحتى نهاية القرن، حين تمكن بنو خالد من السيطرة على معظم مناطق الأحساء ثم الاستقلال بالمنطقة كلها، فقد شهد الساحل الغربي للخليج تحولات سياسية مهمة في القرن(١٧م) إذ تحركت تجمعات قبلية لتهاجر من مواطنها في شبه الجزيرة ومناطق آخرى نحو هذا الساحل وتنجح في إقامة كيانات سياسية على امتداده، فشهد مطلع هذا القرن قيام العديد من الوحدات السياسية اتخذت من حدود البصرة شمالاً إلى عدن جنوباً مجالاً لها. كان أشهرها بنو خالد الذين أقام تجمع العتوب في كنفهم كيانين سياسيين عرف



أحدهما بمشيخة وإمارة الكويت عند حدود ممتلكاتهم الشمالية، وأخرى في الجنوب هي مشيخة البحرين، في الوقت الذي نجحت فيه تجمعات القواسم وبني ياس في تأسيس كيانات أخرى على الساحل نفسه أو الامتداد إلى الساحل الشرقي للخليج.

وقد تأسست تلك المدن والإمارات على طراز مدينة الدولة في اليونان، Polis، نظراً للظروف الطبيعية والجغرافية والبشرية من قبائل وعشائر وأسر تتجمع في بقة معينة انسجاماً بينها في الحياة والمعيشة. فقد كانت لكل منطقة مميزاتها وحياتها، أبعدت الواحدة عن الأخرى عوامل الصحراء والجبال والبحار والمياه والزرع.

٢ - دولة بني خالد في الأحساء:

تعتبر قبيلة بين خالد من أقدم القبائل العربية المعروفة في الخليج، من القبائل الرحل التي تحضرت عندما انتشرت في الأحساء. فكان سكنها في القديم في الجزء الشرقي من الجزيرة العربية في محاذاة شاطئ الخليج العربي في المنطقة الممتدة من الجهراء غرب الكويت شمالاً حتى عمان جنوباً، وقد أرجعوا أصلهم إلى عرب الشمال العدنانيين الذين كانوا ينزلون في ديار نجد وساحل العراق الممتد إلى الشمال في الكويت. فينتمي حكامهم إلى قبيلة ربيعة إحدى قبائل عدنان، فقد نسبهم صاحب «لمع الشهاب» إلى «آل فضل بن ربيعة».

وقد اشتهرت قبيلتهم بكثرة العدد وثرائها، ولذا فقد بسطوا نفوذهم على تلك المنطقة الممتدة من الجهراء شمالاً إلى الأحساء جنوباً. ومما يذكر عنهم أنهم حينما تحضروا في الأحساء ترك جزء منهم حياة القبيلة والبداوة إلى الاستقرار في واحة الهفوف والقطيف والقصيم، كما انتشروا في الزلفى والخرج والوشم وسدير. وقد انقسموا قبلياً إلى أقسام عدة منها: الجبور، العماير، المهاشير.

«والعمور» هو الاسم القديم لفرع العماير المعاصرين وهم فرع من عبد القيس، ومن العماير فرع يقيم في البحرين وجزء منه في واحة القطيف، وآل حسين يقيمون في جزيرة المسلمية وجزيرة جنة.

أما آل حميد، فهم الفرع الرئيسي ومقرهم الأحساء، وهم أشهر فروعهم ورؤساء لبني خالد. ومن بني خالد يأتي آل مقــدام في الهفــوف وآل صبيــح وآل حميدات وآل بوعينين الذين اقاموا في قطر والبحرين والظهران، وآل قتب الذين انتشروا في المنطقة الشرقية وجزرها حتى الفنطاس والفنيطيس جنوبي الكويت.

أما المهاشير، فقد نسبوهم إلى آل حميد، وقدموا مثلهم من جهة بيشه، وهم أحد الفروع الكبيرة من بني خالد في الأحساء قبل نزوح خالد الحجاز إلى الشرق. ومن بني خالد فرق وبطون يقيمون في قضاء عجلون في وادي اليرموك، خاصة الجبور منهم الذين انتشروا في الأردن وانقسموا إلى الجبور والصبيحات والنهود. أما في الشام فإن بني خالد كانوا أغنى العشائر وأشهرها فيها، حيث سكن أكثرهم شرقي حمص وبعضهم الآخر شرقي حماه. وآل عريعر بطن من بني خالد الحجاز، سموا بذلك لأن أصولهم تعود إلى منطقة بيشة تمييزاً لهم عن بني خالد في سورية.

وهناك من يرى أنه ليست هناك علاقة بين خوالد الحجاز وبين بني خالد في شرقي الجزيرة العربية. وعندما أسسوا دولتهم، اعتبرت أقوى دولة في الخليج على الجانب الشرقي من الجزيرة العربية خلال النصف الأول من القرن (١٨م) حيث فرضوا وجودهم كقوة في النصف الثاني من هذا القرن، واستطاعوا في تلك الفترة الصمود أمام القوى المختلفة والكيانات السياسية التي حاولت مناوأتهم مثل شرفاء مكة الذين حاولوا غزو الساحل الشرقي ومحاصرة بني خالد في «الحسا» ١٥٨١م.

إلا أنهم تمكنوا خلال القرن ١٨م من اكتساح الجزيرة العربية والاستقرار في المنطقة التي امتدت من قطر جنوباً حتى البصرة شمالاً ، متخذين الهفوف قاعدة وموانئ العقير والقطيف مراكز تجارية تصلها المواد والسلع المختلفة من الهند واليمن لتحمل إلى داخل نجد وأنحاء أخرى في شبه الجزيرة العربية .

ولما كانت القوى المحيطة بهم خارجياً في حالات ضعف وفوضى ، فلم يكن في وسع أي منها أن تتحدى سلطة بني خالد على السواحل الشرقية للخليج ، كالفرس الذين افتقدوا القوة البحرية والاستقرار الداخلي ، وولاة بغداد والبصرة الأترك الذي تميزوا بالتفكك والنزاعات ، أما الكيانات السياسية الأخرى في المنطقة فلم تتوطد بعد أركانها ، لانشغالها بتكوين وتأسيس إماراتها فلم يكن وسعها المنافسة في المجال السياسي أو العسكري .

وهكذا تمكن الحكم الخالدي من السيطرة على أرض العرب من نواحي العراق ومايلي نجد ، وامتداد نفوذهم على الكويت والبحرين وقطر إلى ساحل عمان ، فأصبح نفوذهم واسعاً في الأحساء والمناطق المجاورة في شبه الجزيرة العربية ، متضمناً القبائل العربية التي خضعت لحكمهم ودفعت لهم الأتاوات وهجرة الكثير من أهل نجد إلى الحسا بسبب قسوة الطبيعة من الجفاف والقحط .

٣ - مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية :

كان نظام الحكم عندهم وراثياً على غير ماتعارف عليه الأعراب والقبائل مما يدل على تحضرهم وبعدهم عن الحياة القبلية ، وقد اهتموا بنشر الأمن والسلام في مناطق نفوذهم ، مما شجع على العمل في التجارة على الخصوص والرعي في المناطق الشاسعة .

فقد ذكرت تقارير شركة الهند الشرقية الانجليزية مدى حبهم وحرصهم على نشر الأمن والاستقرار في بلادهم ، ورعايتهم للتـ

التجارية، فذكرت نشاط مينائي القطيف والعقير كمحطتين لانطلاق القوافل المتجهة إلى بلدان نجد في الداخل حاملة السكر والبهارات والبن القادمة من الهند واليمن، ذلك أن الخوالد تمكنوا من توفير الحماية للقبائل العابرة في أراضيهم وملكهم، وكان معظم التجارة في مينائي القطيف والعقير في يد السكان المحليين من البحارنة والهولة، كما أن الضرائب في تلك الموانئ كانت أقل مما تحصل في البصرة ومسقط - حيث وصلت نسبتها إلى ١٪ فقط بينما كانت ٥ ,٧٪ في البصرة، ٥ ,٦٪ في مسقط.

وهكذا فقد سيطروا على تجارة الخليج وأواسط الجزيرة العربية، وأحسنوا معاملة التجار ووفروا لهم الحماية التامة أشخاصاً وأفراداً وممتلكات ولم يتقاضوا منهم الضرائب، كما كانوا يدفعون رواتب شهرية للقبائل التي عاشت تحت سلطتهم. وقد ذكر الكثير من الرحالة وغيرهم حسن سياستهم في الأحساء ومعاملتهم للأهالي من السنة والشيعة، فقد أكد «لوريمر» أن بني خالد كانوا يمثلون ادارة وحكماً منظماً قبل غزو الوهابيين لهم، وأن حكمهم كان معتدلاً مشجعاً للتجارة - حيث لقى التجارة الأجانب معاملة طيبة، كما أن الحركة التجارية مع نجد أزدهرت في وقتهم[١]. كما وصفهم لوريمر بالوقار والاحترام، وأنهم كانوا أحسن منظراً وأفتح بشرة بالنسبة للقبائل البدو الآخرين، وأن ملابسهم جيدة يلبسون العباءات، وأن لهم لهجة محلية تكاد تكون غريبة[٢].

وأكد أيضاً المستر مانيستي Manesty والمستر جونز Jhones السلم الخالدي في المنطقة ككل. كما أنهم اهتموا بتوفير الحماية لقوافل الحجاج وتأديب من يتعرض لهم بالأذى ومحاربتهم وخاصة القوافل الأحسائية، ويذكر عنهم أنهم لم

---

(١) لوريمر: دليل الخليج - القسم التاريخي، ج٣، ص١٤٢٥.
(٢) لوريمر: المرجع السابق - القسم الجغرافي، ج٣، ص١٦٠٨. وهي لهجة أهل الأحساء المحلية.

يحاولوا منع التجارة بين الأحساء ونجد وبخاصة ضد الدرعية والموالين لها أو مهاجمة القوافل التابعة لها، على عكس ماقام به الوهابيون حينما قويت شوكتهم - حيث هاجموا القوافل التجارية والقبائل التابعة لمعارضيهم ومناوئيهم.

وعرف عن حكام بني خالد تقديرهم للعلماء ومكانتهم الممتازة عندهم - حيث استمعوا إلى نصائحهم وارشاداتهم، واستعانوا بهم في الحكم مثلما استخدم «سعدون بن محمد» وزيراً شيعياً كانت له صلاحيات واسعة، حيث أوجدوا في القطيف منصب «كبير الرعايا» عين فيه أحد أعيان الشيعة بالإضافة إلى حاكم المدينة الخالدي.

وقد أشتهر من هؤلاء العلماء:

الشيخ أحمد الأحسائي والشيخ ناصر الجارودي، ويعد الشيخ الأحسائي كبير الطائفة المشهورة بالمهاشير - فهو شيخم وبه يفتخرون وإليه ينتسبون(١).

أما الشيخ أحمد بن عبدالله آل عبدالقادر فهو من ذرية أبي أيوب الأنصاري، شغل منصب المستشار الأول لحاكم الأحساء الشيخ عرعر بن دجين وإبنه سعدون بن عرعر، كما كان كاتباً لسرهم. كما اشتهر براك بن غرير بأن أساس حكمه كان العدل وتقريب أهل العلم والفضل وإعزازهم(٢).

ومما ذكره المؤرخون عن عقيدة بني خالد أنهم كانوا سنه على المذهب المالكي، بينما ذكر «العقاد» أن غالبية قبيلة بني خالد في الأحساء اعتنقوا المذهب الشيعي(٣). فقد اندمجوا مع الشيعة، وتحول كثير من أفرع قبيلتهم إلى جماعات

(١) ولد في الأحساء ١٧٥٣م ونسبه: أحمد بن زين الدين بن صقر بن إبراهيم بن داغر بن رمضان بن راشد بن شمروخ آل صقر - من علماء الشيعة البارزين، وقد هاجر من الأحساء في ١٢٠٨هـ مشجعاً الأهالي للهجرة معه حينما أحس بالظلم والعدوان على الشيعة هنا فسار إلى البحرين.

(٢) عبدالكريم الوهبي، بنو خالد، ص١٦٥.

(٣) صلاح العقاد: حاشية، ص٣٨٠.

مستقرة اعتنقت التشيع. كما أن الأسر الشيعية تكونت من قبائل ضعفت أو هزمت في حروب كثيرة مثل: بني خالد الذين ضعفوا بعد هزائمهم على أيدي آل سعود، فتفرقت وتحضرت بعدما اندمجت مع السكان فاعتنقت التشيع حينما تخلوا عن البداوة وتحضروا. فالمعروف أن مذهب السكان في الأحساء غلب عليه التشيع منذ الصدر الأول للإسلام، وقد عرضنا لذلك في فصل سابق[٤].

٤ - علاقتهم السياسية والاجتماعية مع الوحدات والكيانات السياسية التي تأسست في مناطق نفوذهم:

من المعروف أن المناطق الجنوبية من العراق والكويت وحتى سواحل عمان كانت تخضع لسلطان بني خالد حكام الأحساء، وأنهم حكموا الكويت حتى العقد الخامس من القرن (١٨م) حكماً مباشراً، إذ سيطر عليها منذ أول هذه القرن الأمير القوي الذائع الصيت «سعدون بن محمد بن غرير آل حميد». ثم أخوه «علي» الذي نازع ولدي سعدون: «دجين ومنيع» في الحكم عام ١٧٢٢م، ثم حكم بعده أخوه سليمان حتى ١٧٥٢م، فالكويت اعتبرت في هذه الفترة ضمن الأراضي الداخلة في إمارة الأحساء باعتبارها حدودها الشمالية.

ويؤكد جانب في التاريخ أنه عندما استخلص الأمير «براك بن غرير» أمارة الحسا من الأتراك في ١٦٦٩م أصدر أمره بإنشاء قصر كبير أو قلعة (كوت) في موقع مدينة الكويت الحالية لإتخاذه ملجأ لقواته التي تحرس الحدود وتحافظ عليها بوضع عدد من الحرس برئاسة أحد مماليكه، وكذلك لوضع الذخائر والتموين وحفظها فيه متى قدم الكويت، كما أنه أتخذ منه مقراً صيفياً له، وأتخذت الكويت اسمها من تلك القلعة في منتصف القرن ١٧م.

---

(١) راجع الفصل الخامس.

فقد جاء أنه كانت لبني خالد مقرات فصلية يتجهون إليها في أوقاتها كان من ضمنها الكويت (الكوت) وهي مكان القوت الذي يضعون فيه أقواتهم، فعندما يسأل أحدهم عن مقصده قال «إلى مكان القوت». ولما كانت اللهجة السائدة في المنطقة هي لهجة بني تميم الذين يبدلون القاف كافاً - فأنهم اطلقوا كلمة الكوت على (القوت) ليقولوا إنهم ذاهبون إلى الكوت. ولما كان الكوت صغيراً، فقد سموه (الكويت)، ويرى آخرون أن الكوت اسم يطلقه أهالي الأحساء على داخل البلد.

ويرى جانب آخر من المؤرخين أن اسم «عقيل بن عريعر» يرتبط بإنشاء ذلك الحصن الذي شيده عام ١٦٥٠م وسمي بحصن آل عريعر ليكون مستودعاً للأطعمة وملاذاً للجيوش عند الحاجة، ثم قدمه براك بن عريعر زعيم بني خالد وشيخ الأحساء والكويت، هدية للأمير «صباح بن جابر العتبي» بعد أن أعلن ولاءه لآل عريعر والوقفو معهم في الظروف الطارئة.

وفي تفصيل آخر لسيرة «آل صباح» في الخليج، جاء أنه عندما انتقل آل صباح من نجد إلى قطر، وبعد تحركاتهم وتنقلاتهم على شواطئ الخليج بلغوا (كوت) حصن ابن عريعر زعيم بني خالد فأقاموا فيه، فبدأ ظهور الكويت كقرية صغيرة ضمن ممتلكات بني خالد.

كما ذكر أن آل صباح تحالفوا معهم أول الأمر فوهبهم ابن عريعر ذلك الكوت، فعندما فتح براك بن عريعر القطيف في (١٦٧١م) وحكم الأحساء، ساعده العتوب في هذا الفتح فكافأهم لما قدموه من عون ومساندة فمنحهم نخيلاً في القطيف. وحينما نزل العتوب الأحساء، استقبلهم آل عريعر وأسكنوهم معهم، فكان ذلك بداية العلاقات الطيبة بين الجانبين، مما مهد لهم ومكنهم من السماح لهم بالإقامة والسكن في أراضيهم الشاسعة.

وقد تأكد حسن العلاقات، في مؤتمر الحسا، حين عقدت أتفاقية حسن جوار وصداقة بين شيخ الكويت «صباح الأول» وأمير الحسا اعترف فيه الأخير باستقلال الكويت وشيخها في الحكم على ألا ينضم إلى خصم الأحساء.

وهكذا تبين أن الكويت بناها بنو خالد حصناً لتخزين المواد والذخائر، ومركز دفاع عن الحدود أو الغزوات القادمة من جهة العراق(1)، كما اعتبر مركزاً للحجاج الإيرانيين في طريقهم إلى مكة، حيث كانوا يتنقلون في حراسة قوات بني خالد. أما بعد إنشاء الحصن فقد توافدت إليه القبائل الرحل العربية، وممن سكنوا الساحل الإيراني من الخليج، كما سكنها أفراد وعشائر من أتباع بني خالد، مما أدى إلى تطور الوضع فنشأت البيوت الصغيرة ثم بنيت البيوت والدور والأسواق.

ويرجع معظم المؤرخين تأسيس الكويت إلى مابعد عام ١٧٠١م بقليل(2) -فمنهم من اعتبر عام (١٧١٦م) هو وقت نزول العتوب إلى الكويت - حيث تزامنت هجرتهم مع حكم براك بن عريعر الذي أسس أول حكم لبني خالد في الأحساء فيما بين (١٦٦٩-١٦٨٢م) وإذا كان شيوخ الكويت تابعين لحكم هؤلاء، فإنهم كانوا مستقلين عنهم، أي أن تبعيتهم كانت اسمية. فقد ذكر الرحالة «كارستن نيبور الدانماركي Carsten Neibuhr عام ١٧٦٥ (أن قرين يحكمها شيخ تابع لشيخ الأحساء، إلا أنه كان يطمع للإستقلال، وحينما كان

---

(١) كانت قبائل العراق الجنوبية تقوم بهجمات على شمال الكويت (الأحساء) في فترات متعددة، وتتضح هذه الصورة بعد سنوات من تأسيس الكويت كإمارة مستقلة حينما تعرضت لهجمات برية وبحرية متكررة من قبل تلك القبائل.

(٢) ذكر الشيخ مبارك بن صباح أن الكويت يرجع تأسيسها إلى عام ١٧١٣م. ويذكر السيد/ محمد رضا جواد قهري الهاوي لجمع المخطوطات في البحرين - ان المستندات الخاصة للبعثة الهولندية البحرية تشير أن البعثة نزلت على أرض الكويت لاتخاذها ممراً على طريق بهمنشير مابين عبدان وبندر معشور في ١٦٤٥م.

يتقدم شيخ الأحساء بجيشه يتراجع سكان قرين بممتلكاتهم إلى جزيرة فيلكا الصغيرة). وقد سبقت حكم آل صباح في الكويت سبعين عاماً اعتبرت ضمن نمو الدولة والتوسع في الأرض والسكان حتى احتاجوا إلى من يتولى أمورهم ويرعى شئونهم، فاختاروا «صباح الأول» حاكماً لهم، وحين اختير من قبل الأهالي نافسه في ذلك أحد أبناء الخوالد، إلا أن الشيخ صباح فاز في الانتخاب وأصبح الحاكم.

وخُيل لبني خالد حينما تنازلوا عن الأرض لآل صباح، أنهم رأوا في الكويت قابليتها في أن تصبح دولة حاجزة ضد الغزوات والهجمات القادمة من الشمال والتي كانت تهدد نفوذهم في ساحل الأحساء، مثلما اعتبرت الكويت بدورها -بعد أن تطور وضعها وتحسن موقفها- دولة بني خالد حاجزة تحفظ الكويت من هجمات الوهابيين العنيفة القادمة من الجنوب، والتي تكررت واستمرت حتى نهاية القرن (١٨م) عندما اشتدت تلك الهجمات والغزوات على الكويت للسيطرة عليها إذ اعتبروها أفضل منطقة حيوية بالنسبة لهم يمكن إدخالها ضمن مناطق نفوذهم في الجزيرة العربية، فتكون أفضل ميناء لهم على الساحل الشمالي للخليج يستطيعون منها التوغل نحو المناطق الشمالية، إلا أن الكويت تمكنت من الاحتفاظ بوضعها المستقل على الرغم من تلك الهجمات القاسية التي تعرضت لها فترة طويلة من الزمن.

وعندما ضعفت سلطة بني خالد وقوتهم، سارعت الكويت إلى حراسة حدودها بتحصين المدينة بالأسوار، وحينما انهارت دولتهم كان لسقوطها وزوالها في (١٧٩٥م) أثره الكبير في اتجاه الكويت نحو الاستقلال والبدء في مرحلة جديدة من الصراع في المنطقة ، إذ إن الكويت تمكنت في السنوات السابقة لهذه الفترة أن تتقدم في ميدان التجارة وأن تتطور في الميادين الاقتصادية الأخرى، وذلك بسبب قوة بني خالد العسكرية، وجهودهم في نشر الأمن والسلام فيها،

حتى إن العتوب شعروا أن سكنهم بالكويت تحت حماية هؤلاء قد منحهم شيئاً كبيراً من الاستقرار ساعدهم في التفرغ للأعمال التجارية والغوص على اللؤلؤ. فاعتبرت نقطة انطلاق أساسية للقوافل البرية وميناء بحرياً نشطاً جعلت الأنظار تتجه إليها وخاصة الوهابيين الذي رأوا فيها بالإضافة إلى قطر أنها قد أصبحت مركزاً للاجئين من بني خالد بعد سقوط دولتهم، فوجهوا غزواتهم تجاه تلك الامارتين.

أما الجزء الآخر الذي تبع بني خالد في ساحل الخليج العربي فقد كان الزبارة في قطر، حيث عاش آل خليفة هناك في حمايتهم، وقد كانت قطر تحت حكم آل مسلم من بني خالد يستمدون سلطتهم من آل عريعر، إذ إنهم ينتسبون إلى الجبور أحد بطون بني خالد، اتخذوا قطر مركزاً لهم في القرن (١٢هـ) فسكنوا «الحويلة» أكبر مكان على الساحل، حيث قد عهد إليهم الأتراك بالرياسة فيها، ثم أصبحت «الحويلة» مقر عمال بني خالد في قطر. إلا أنه قضي على حكمهم حينما غزاها السعوديون بقيادة «إبراهيم بن عفيصان» فدمرها في ١٧٩٣م، مما اعتبر ذلك نهاية لحكم بني خالد في قطر[١].

وكانت البحرين أيضاً جزءاً من ممتلكات بني خالد في الخليج. فقد جاء في الكتيب الخاص عن الخليج الفارسي - العربي - الذي اصدرته الأدميرالية في يونيو ١٩١٩ - عن التاريخ السياسي حتى ١٩٠٤م يذكر فيه أنه يعتقد أنه قبل عام ١٧٦٦م، كانت شبه جزيرة قطر ضمن مناطق نفوذ شيوخ بني خالد الذين كانت الأحساء مقراً لهم - حيث نجح تجمع «جبور» من بني خالد في الوصول إلى شبه جزيرة قطر فأصبح الحكم لآل مسلم الذين رحبوا بالعتوب قبل انتقالهم إلى

---

(١) تعتبر الحويلة المدينة الرئيسية بقطر، توافرت فيها أثار تقع على الساحل الشرقي شمال بلدة الخور.

الكويت، وقد تعرضت البحرين لضربات الوهابيين القاسية، حيث اعتبروها أرض شرك ورافضة، نتيجة ارتفاع نسبة الشيعة فيها مما أدى إلى أن يكون للأخيرين موقف خاص تجاههم، فكان عليهم في هذه الحالة المضطربة أن يختاروا بين الخضوع أو الرحيل، وخاصة بعدما حل بمساجدهم وكتبهم الدينية الخراب والابادة والحرق، فاختاروا الرحيل.

ومن ذلك كله نعلم أن جميع أمراء نجد والأمراء الآخرين في مناطق بني خالد كانوا يتبعون في سلطتهم حكام الأحساء، إلى أن ظهر الوهابيون فأنهوا حكمهم في ١٧٩٥م مما جعل الكثير منهم يترك أرضه في الإتجاه نحو الشمال لاجئاً إلى الكويت أو إلى العتوب في قطر والبحرين.

٥ - علاقاتهم الأقليمية مع الكيانات والوحدات السياسية المجاورة:

أ - مع دولة أفراسياب:

أدت ثورات القبائل في البصرة والمضادة للوالي العثماني «علي باشا» إلى أن يغادرها بعد أن سلمها إلى المدعو «أفراسياب» مقابل مبلغ من المال في (١٥٩٧م) شريطة أن يتبع في حكمه العثمانيين ولو اسمياً. فيذكر الكاتب «أحمد البشر» أنه في عام (١٦١٢م) اشترى أحد أثرياء البصرة وهو «أفراسياب» المدينة من الوالي العثماني أيود باشا بأربعين ألف قرش وسمى نفسه أميراً للبصرة وتبع في سيادته للعثمانيين. وكان «أفراسياب» هذا يعمل كاتباً للجند في البصرة، وجاهد في سبيل توسيع حكمه وسيطرته إلى قبتان والدورق وجزر شط العرب، إلا أن الشاه الإيراني حاربه بواسطة حاكم شيراز «إمام قلي خان» فتصدى البرتغاليون لمساعدته في ١٦٢٤م.

كما حاولت القوات الإيرانية في زمن ابنه «علي باشا« احتلال البصرة ١٦٢٥م، وكلنها رجعت دون القيام بعمليات عسكرية نظراً لما حدث من ظروف

سيئة في شيراز وأصفهان، وقد حكم «علي باشا» علاوة على ممتلكاته جزيرة هرمز لمدة ٢٥ عاماً منذ ١٦٢٤م. وفي خلال حكم ابنه «حسين باشا» تطلع إلى التوسع فأرسل قوة استولى بها على القطيف في الأحساء وعين عليها والياً من قبله، إلا أن الأتراك استعادوا نفوذهم فيها بالقضاء على حكومة «أفراسياب» في ١٦٥٤م، مما دفع حسين باشا إلى الهروب إلى منطقة عربستان ثم إلى «بهبهان» ولكنه عاد وطرد باشا بغداد، وتطلع إلى الأحساء ثانيه إلا أنه لم يتمكن من حكمها في الواقع، فقد كان واليها صديقاً له فاحتمى عنده فقط.

وعندما رجع إلى المدينة والحكم، أراد تقوية مركزه، فاتصل ببني خالد في الأحساء أيام «براك بن غرير آل حميد» والاتفاق على طرد الوالي العثماني من الأحساء، الأمر الذي مكن براك من استغلال الظروف ليحتل الأحساء ويستقل بها لنفسه عن الدولة العثمانية في ١٦٦٤م بدلاً من تبعيتها لأمراء المنتفق، إذ إن «براك» تمكن من التخلص أيضاً من «راشد بن مغامس» رئيس آل شبيب.

وعندما انهزم «حسين باشا» أمام ولاة الأتراك، هرب إلى إيران طالباً المساعدات من الشاه ومن حاكم شيراز دون جدوى، فاضطر إلى الإلتجاء إلى الهند، وضمت البصرة إلى حكم العثمانيين المباشر في (١٦٧٠م) فانتهت بذلك إمارة «فراسياب» في البصرة.

وترجع أهمية إمارة «فراسياب» في أنهم ساعدوا بني خالد في احتلال الإحساء، ثم تمكنت بعد ذلك من السيطرة على القطيف[١] التي حكمها العثمانيون ١٢٠ عاماً.

---

(١) لوريمر: مرجع سابق، تاريخي، ج٤، ص١٧٧٠.

ب - مع آل مغامس:

وهم من قبائل خزاعة التي سكنت العراق، وانحدرت من جدها الأكبر «مغامس بن شلال» وتحتوي على آثنى عشر فرعاً، كل فرع منها يضم عدداً كبيراً من أفراد خزاعة، ويدعى رئيسها العام: «علي بن شعلان بن سلمان بن ظاهر بن محمد بن شلال»(١). وينتسبون إلى قبائل المنتفق. ويسكن أفراد عشيرة بومغامس في الديوانية وغماس. أما إمارتهم فقد ظهرت مابين الغزو المغولي لبغداد في (١٢٥٨م) والتوسع العثماني في البصرة (١٥٤٦م) فيرجع تاريخ تأسيسها وبروزها على مسرع الأحداث إلى القرن ١٣م، أما المصادر الانجليزية فترجع ظهورها إلى مطلع القرن ١٦م.

وذكر «نعمان بن محمد بن العراق» الذي عاش في القرن (١٦م) وهو صاحب كتاب «معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر» أن أول من حكم البصرة قديماً من آل فضل الذين اشتهروا ببيت المنتفق، جدهم الأكبر «مانع بن شبيب بن فضل» خلال دولة بني أيوب.

وتجمع الروايات على أن أولاد مانع وأحفاده حكموا البصرة واستقلوا بها منها منذ بداية القرن (١٥م) واشتهر منهم «مانع» أمير المنتفق الذي حكم البصرة في ١٤١٧م إلا أن الجلائريين انتزعوها منه. وقد حكم «آل مغامس» بقيادة «محمد بن مغامس» في الفترة مابين ١٥٠٨ إلى ١٥٢٤م، بالرغم من عدم معرفة تاريخهم بالدقة والوضوح، إلا أن «مغامس» هو والد محمد، وراشد الذي حكم منذ (١٥٢٤م) بعد أخيه محمد. وتذكر المراجع أن حكم «آل مغامس» تأسس

(١) عبدالكريم الوهبي: مرجع سابق، ص١٧٩.
من فروعها: آل مرزوك، آل زوير، آل بندر، آل محيسن، آل فرحان، ال كهو، آل ذرب وآل سلطان، آل سعدون، آل حمد ويسمون آل مليلة. وقبائل خزاعة كلها من العراق تسير على المذهب الشيعي. ومنهم في الكويت أسرة آل مقامس الكرام.

على أنقاض حكم المشعشعين الذين سيطروا على الأهواز والبصرة بقيادة «محمد بن الفلاح» في (١٤٤٤م) عندما تغلبوا على أميرها «يحيى بن محمد» أحد أمراء المنتفق وتمكنوا من حكم البصرة (٨٤عاما).

كما جاء أنه عند موت «مقرن بن زامل» العقيلي الجبري» في ١٥٢٠ -حدث خلاف بين أفراد أسرته «آل جبر» مما أتاح الفرصة «لراشد بن مغامس» زعيم المنتفق للتغلب عليهم بعد أربع سنوات من موته، فقد استعان به «بنو جبر» في خلافاتهم فأحس بضعفهم، وبذلك تدخل فاستولى على الأحساء والقطيف باستخدام القوة. فتذكر الروايات أنه بعد ضعف دولة آل أجود حكام الأحساء، وبعد مقتل أميرها القوي «مقرن بن زامل العقيلي الجبري» في ١٥٢٠ على أيدي البرتغاليين، وبعد إثارة النزاعات والفرقة بين أفراد أسرته، استعانوا بأمير البصرة «راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل» لحمايتهم من التدخل البرتغالي في القطيف، وذلك مما ساعد راشداً على التفكير في الاستيلاء على القطيف والأحساء، في الوقت الذي استقر فيه أخوه «محمد» في البصرة، وبعد هذا التوسع في السيطرة والحكم عرف راشد بسلطان الشرق.

وقد نظر إليهم البرتغاليون بعين الشك والريبة في جهودهم الرامية إلى الإستقلال وتوقية إمارتهم التي ربما تصبح خطراً على مركز هرمز التجاري وأهميتها الاقتصادية بالنسبة لهم، الأمر الذي يتعارض مع أهداف حاكم البصرة وتطلعاته إلى الاستقلال وتقوية إمارته.

كما أن العثمانيين لم يتقبلوا وجودهم في المنطقة عندما احسوا بخطورتهم على مراكزهم فطردوا «آل مغامس» من البصرة في عام ١٥٤٦م. وقد حدث أول اتصال بينهم وبين العثمانيين في ١٥٣٤ أيام سليمان القانوني الذي اتصل به راشد معلنا له الولاء، فتم تعيينه أميراً على البصرة، ثم جاء ابنه «مانع» الذي أعلن ولاءه للأتراك أيضاً.

أما «يحيى بن فضل» فإنه تحالف مع المشعشعين في (١٥٤٥م) فأعتبره الأتراك وأعيان البصرة عدوا لهم فخالفوه وسببوا له المشكلات، الأمر الذي جعل قسماً منهم يترك البصرة لاجئاً إلى «فيلكة» في الكويت، ثم عادوا إلى البصرة فيما بعد، إلا أن الأتراك أرسلوا جيوشهم في العام التالي ١٥٤٦م لاحتلال البصرة وطرد آل مغامس منها، فانسحب بقية أفراد الأسرة إلى الأحساء، ومن هنا توجهوا إلى البرتغال حكام هرمز طالبين المساعدة ضد الأتراك، فأرسلوا حملة كبيرة إلى الخليج مابين (١٥٥٠ - ١٥٥١م) هاجمت قلعة القطيف بالمدافع وكذلك البصرة، ولكنهم تركوا تلك المواقع دون أن يحرزوا نتيجة ملموسة لصالح آل مغامس.

أما بالنسبة لمواقفهم من بني خالد، فإنهم أظهروا العداء لهم، إذ طمع راشد في استعادة حكم الأحساء، فجرت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة المنتفق وقتل راشد وعودة الباقي من جيشه إلى العراق، وكان ذلك فيما بين (١٦٦٦-١٧٧١م) أي في الفترة التي تم فيها استيلاء براك بن غرير على الأحساء والقطيف.

وبعد نجاح آل سعود في تأسيس دولتهم في نجد، أصبحت العراق مكاناً يأوى إليه المعارضون لحكم آل سعود، وخاصة المنطقة التي سيطر عليها زعماء المنتفق. وكانت أوضاع هذه القبيلة قد هدأت حتى ١٧٢٩م حيث ظهر أعظم زعمائهم «سعد بن محمد المانع» مؤسس أسرة السعدون من آل شبيب. وفي عام ١٧٨٦م ثار زعماء بني خالد على «سعدون بن عريعر» وساعدهم في ذلك رئيس قبائل المنتفق «ثويني بن عبدالله» الذي توجه في ١٧٨٧م ليهاجم نجداً فحاصر بريدة ولكن بدون تحقيق نتيجة، كما انهزم سعدون لاجئاً إلى الدرعية. ويعد الشيخ ثويني هذا أول شخص في العراق يتصدى للوهابيين.

وقد استمرت قبائل المنتفق تستقبل الفارين من خصوم آل سعود، مما جعل

الأخيرين يشنون هجمات متكررة على العراق والبصرة. فاتجهت قوة أخرى إلى الأحساء بأمر من والي بغداد في ١٧٩٧م بقيادة «ثويني» مصاحباً معه زعماء من بني خالد: براك بن عبدالمحسن ومحمد بن عريعر. وانتهت الحملة بقتل ثويني غدراً من قبل أحد مماليك براك المتحمس للدعوة الوهابية، وانحياز براك للقوة السعودية. وقد رد سعود على تلك الهجمات بشن غارات مكثفة على العراق، قتل في إحداها براك ١٧٩٧م وكذلك أغتيل عبدالعزيز بن محمد بن سعود في ١٨٠٣م من قبل أحد العراقيين بمسجد الطريف في الدرعية، مما دفع ابنه سعود أن يهاجم العراق بقوة كبيرة فحارب البصرة والزبير، وقتل كثيراً من سكانها وأخذ الأموال وأتلف الزروع، ثم سار متوجهاً إلى النجف في ١٨٠٥م[1].

جـ - مع قبيلة بني كعب:

ذكر أن أصلهم من بني عامر ومنشأهم في نجد، كما امتدت إقامتهم إلى شمال أفريقيا، وقد اتجه «نصار والدريس» وهم من الأصول القديمة لقبيلة كعب من نجد إلى «الدورق» واحتلوها بعد أن طردوا منها القبائل العربية والتركية، ثم امتدت سلطتهم فيما بعد (١٧٧٥م) من البصرة حتى حدود بهبهان، إلا أن نفوذهم قل في السنوات اللاحقة فأصبحوا تابعين لشيخ المحمرة.

وقد اعتبر أول استطيان لهم في خوزستان حوالي ١٦٨٣، وتمت قوتهم مابين ١٧٠٠ - ١٧٦٦م حيث استولوا على الدورق في ١٧٤٧، وتصدى الأتراك لحربهم في ١٧٦١ بالتعاون مع الإنجليز، ثم حاربهم كريمخان زند الفارس عام ١٧٦٥م ودمر الدورق. ولما استحكم العداء بينهم وبين الإنجليز، استخدموا أساليب القرصنة ضد السفن البريطانية في الخليج، كما أنهم حاربوا الكويت وقطر في ١٧٨٠ دون نتيجة، كما قاموا بغزو القطيف ونهبها في ١٧٧٤م طمعاً

(١) كما حارب الأمير سعود في ١٧٨٧ قبائل المنتفق في الروضتين بين المطلاع وصفوان.

في التوسع ورغبة في الاستيلاء وبالهجوم على المناطق المجاورة لهم، فعادت سفنهم محملة بالغنائم، وقد تعاون معه في هذه العملية حاكم بوشهر، الشيخ «نصر» الذي اعتبر مع بني كعب، أدوات في يد الملك الفارس كريمخان الذي استغلهما في العمل ضد أعدائه العثمانيين.

أما بنو خالد، فقد كانت دولتهم في هذه الفترة تمر في أدوار الضعف والتفكك والانحلال، فلم تكن لديهم القوة البحرية الكافية التي يمكنها التصدي لأسطول بني كعب وتحرشاتهم البحرية.

د - مع حكام هرمز:

أصبحت هرمز عاصمة لمملكة امتدت على جزء كبير من سواحل شبه الجزيرة العربية، بالإضافة إلى سواحل إيران الجنوبية، فقد امتد نفوذها السياسي على طول الخليج حتى البصرة خلال قرنين من الزمان[1]، إلى الوقت الذي سيطر فيه البرتغاليون على المنطقة فاحتلوها في أوائل القرن (١٦م) وجعلوها مركزاً تجارياً ونقطة انطلاق للتبشير المسيحي. وقد ساعد البرتغاليين ذلك الاتفاق الذي عقده الشاه «اسماعيل الصفوي» معهم في ١٥١٥ معترفاً فيه بسيطرتهم على هرمز في مقابل تعهد هؤلاء بمساعدة فارس ضد الأتراك.

وأعتبرت هرمز مفتاح الخليج العربي والقاعدة العسكرية والتجارية الرئيسية للاستعمار البرتغالي مدة قرن كامل حتى ضاعت منها في ١٦٢٢ على يد الفرس والإنجليز والعثمانيين وأهالي لا رفي فارس، والتعاون مع القوى الاستعمارية

---

(١) سيطر حاكم هرمز خلال القرنين ١٣، ١٤ على الإمارات في الأحساء وجزر الخليج كان منها البحرين فشملت حدود بلاده من مدينة جاسك على بحر العرب حتى جمبرون: بندر عباس، ومن رأس الحد في عمان حتى القطيف. فقد كانت مسقط تابعة لمملكة هرمز أيام البرتغال منذ ١٥٠٧م وحتى ١٦٥٠ حين تمكن أهل عمان من طرد البرتغاليين في الخليج وإنهاء نفوذهم تماماً.

المتنافسة في المنطقة كالهولنديين . . وعندما أعدا الشاه عباس الصفوي سيطرة إيران على هرمز في ذلك العام، دمرها وخرب قلاعها وحصونها، وأتخذ من «جمبرون» مركزاً تجارياً عالمياً بدلاً منها سميت بندر عباس.

وقد حاول حاكم هرمز السيطرة على البحرين إلا أن حاكم شيراز تدخل لمساعدة الأمير ركن الدين مسعود باسم الشاه عباس الصفوي، مما أتاح الفرصة لتطلع الشاه إلى الخليج منذ هذاالوقت في بداية القرن (١٧م) والإهتمام بشئونه، وفي ١٥٢٩م - تمكنت ثورة شعبية في الأحساء من إنهاء النفوذ البرتغالي بقيادة «حسين بن سعيد» شيخ بني جبر.

كما قامت ثورة كبرى في ١٥٥٠م أثارها أهل القطيف بالتعاون مع شيخ الأحساء، فطردوا الحاكم الهرمزي وطلبوا الحماية التركية، فتسلم الأتراك قلعة القطيف في هذه السنة - مما استاء له حاكم هرمز الذي بعث بحملات حربية إلى القطيف انتهت أعمالها الحربية بتدميرها وتسويتها بالأرض. أما «كريمخان زند» ملك فارس فقد شن هجوماً على القطيف بعد وفاة «غرير» زعيم بني خالد، إلا أن انتشار وباء الكوليرا فيها في هذا الوقت متأثرة بالبصرة، جعل أهلها يغادرونها إلى الكويت والبحرين حاملين معهم العدوى.

هـ - مع الأشراف في مكة:

نظر الأشراف إلى نجد والمناطق القريبة منها على أنها تابعة لسلطتهم في مكة والحجاز، التي خضعت لحكمهم منذ القرن (٤هـ) فكثيراً ماكانوا يقومون بغزو نجد وبني خالد، فيما بين ١٥٢٥، ١٦٩٧ كما وصلوا اليمامة، ولم تكن سيرتهم حسنة مع أهل نجد، فقد حارب الشريف «حسن بن أبي نمى» في ١٥٨٤ بني خالد، مما يعد أول تدخل من الأشراف في أحوال نجد.

إلا أن سلطتهم على نجد ضعفت حينما سيطر بنو خالد على الأحساء. بل أن الظروف تطلبت التعاون معهم في التصدي للعدو المشترك لهما. فقد تعاون الأشراف مع بني خالد ضد الدرعية، وتناسق الموقف بينهما في حروب آل سعود وبخاصة في الحملة التي أعدها بنو خالد في ١٧٦٤ حينما ساعدوهم بإرسال قوات وأسلحة تعينهم في تلك الحروب. كما اشترك الشريف «محمد بن أحمد الحارث» مع «سعدون بن محمد بن غرير» بالإضافة إلى الفضول في محاربة قبائل الظفير في البتراء في ١١١٢هـ - ١٧٠٠م فأخرجوهم إلى جبل طيئ. كما غزاهم بنو خالد في واقعة السبلة ١١٦٦هـ ١٧٥٣م وهزموهم وأسروا منهم الكثير. وأرسل أيضاً الشريف غالب في ١٧٩٠ إلى «عبدالمحسن» بعد موقعة «جريميل» الأفراد والأموال للتخلص من خطر الدرعية المشترك.

و - مع القواسم[1]:

وهم من عرب الحويله الذين تحولوا فغادروا نجداً حين عبروا الخليج إلى فارس إبان الفتوحات الإسلامية، ويذكر البعض أنهم من عرب الشمال هاجروا من نجد واستقروا في عمان، كما يرى آخرون أنهم عشائر من عرب الهوله سكنوا الساحل الشرقي للخليج قادمين من سيراف إلى منطقة الصير في عمان. وقد شكلوا قوة لها شأنها في القرن ١٨م فامتدت سيطرتهم على ساحل عمان والساحل الفارسي. واشتهر منهم «راشد بن مطر» الذي انفرد بحكم رأس الخيمة -جلفار- في سنة (١٧٤١) وبسط سلطانه على قشم وهرمز وبندر عباس وبندر لنجه، دون أن يقطعوا صلاتهم وعلاقاتهم بمواطنهم الأصلية على شواطئ عمان، وقد ساعدهم على الظهور بالمنطقة واحتلالهم مراكز سياسية هامة في الخليج، انتهاء النفوذ البرتغالي في المنطقة في أواخر القرن ١٧م، وانهيار النفوذ

(١) ويعرفون أيضا ببني ناصر وبني الغامري.

الإيراني في الخليج بعد موت نادر شاه في ١٧٤٧ مما أدى إلى ظهورهم على مسرح الأحداث، فعملوا على توجيه طاقاتهم نحو استغلال الموانئ القريبة على الساحل الإيراني. وقد تحالف الشيخ راشد بن مطر مع «ملا علي شاه» حاكم بندر عباس الذي تزوج ابنته، للتصدي أمام الأخطار المشتركة وخاصة حاكم لار: ناصر خان الذي كثيراً ما هدد بندر عباس، وسلاطين عمان، وحينما قرر «كريمخان زند» إبعاد عرب الساحل الجنوبي لإيران، استعان بالشيخ عبدالله شيخ أسرة بني معين، الذي عينه «زند» حاكماً على بندر عباس وهرمز وقشم، لطرد القواسم من أرض فارس، الأمر الذي جعلهم يتحالفون مع إمام عمان، إلا أن العلاقات ساءت بينهما فنشبت الحروب بين الطرفين.

وتعتبر الفترة من ١٧٧٨ حتى ١٧٨٠ فترة غليان وفوضى واضطراب في الخليج، نتيجة انعدام قوة ضابطة في المنطقة، وحروب القواسم، وشدة أعمال القرصنة والنهب والاعتداء على الممتلكات دون تمييز[١].

وقد اشتهر القواسم بأسطولهم البحري[٢]، فقد تمكنوا من بناء قوة بحرية كان لها نشاطها الكبير وتأثيرها الفعال في بحر الخليج في أعوام القرن ١٨، ١٩، مما جعل بريطانيا تتخوف منها فعملت ما أمكنها لتحد من نشاطها الأمر الذي دفع هؤلاء للتحالف مع الوهابيين الذي اشتركوا في شن الهجمات على بني خالد في الأحساء، كما اشتركوا مع فارس في (١٧٨٢) في الهجوم على قلعة الزبارة بقطر. وفي بداية القرن (١٩م) تمكنت قوة فارسية كبيرة أعدت من لار في ١٨٠٩ من طرد القواسم من لنجه، كما ساعدت سفن بريطانية في تدميرها على أساس

(١) تأثرت المنطقة بعمليات القرصنة مما جعل بعض الأمكنة مقفرة من السكان: لورمير، القسم التاريخي، ج٢، ص٢٢١.

(٢) قدر عدد أسطولهم ب ٦٣ سفينة كبيرة، ٨١٣ سفينة صغيرة، يعمل على ظهورها أكثر من ١٩ ألف رجل.

أنها إحدى موانىء القواسم.

واشتهر منهم أيضاً الشيخ غيث والشيخ ناصر والشيخ نصر الذي هرب إلى بوشهر وعاش هناك، وكذلك منهم الشيخ عبدالرسول آل مذكور الذي تزعم القبائل العربية في الساحل الإيراني وحكم بوشهر في عهد الشاه «محمد شاه القاجاري». وقد اعتنى كثيراً بالعلماء الشيعة الفارين من البحرين إلى بوشهر خلال الحوادث والفتن التي سادت المنطقة في ١٢١٦هـ ١٨٠١م. كما اشتهر من حكامهم «ميرمهنا بن مير ناصر» الذي وطد علاقته مع شاه إيران واتخذ المذهب الشيعي وتزوج واحدة من النساء الإيرانيات.

٦ - الطوائف وعناصر السكان التي عاشت بالمنطقة وأثرت في أحداثها:

تكونت بالمنطقة كيانات سياسية صغرى منذ القرن السادس عشر الميلادي، كما عاشت فيها عناصر مختلفة من القبائل والعشائر تمكن بعض أفرادها من أن يتزعم تلك العشائر والقبائل، فكان لها تأثير واضح في أحداث مناطق تواجدها والمناطق الأخرى المجاورة لها. ومما ظهر لنا في فصل سابق(١) أنه تحركت بالمنطقة قبائل وعشائر مختلفة وتنقلت في أطرافها، كما قدمت إليها شعوب وأفراد من جهات مجاورة مثلما خرج منها أفراد إلى تلك المناطق واتخذوها مقراً وسكناً لهم، الأمر الذي أدى إلى احتكاك هؤلاء بعناصر سكان جدد والامتزاج بينهم، مما كان لها تأثير كبير في سير الأحداث بالمنطقة.

(١) راجع الفصل الثالث من الباب الأول.

ومن أشهر تلك القوى السياسية الصغرى والقبائل التي كان لها ذلك التأثير المباشر في الحياة السياسية والاجتماعية في الساحل الشرقي للجزيرة العربية أي الأحساء.

أ - المطاريش:

وهم قبائل عمانية من بني صعب، حكموا بوشهر وخرمشهر في فارس والبحرين في الخليج، وتبعتهم كذلك خارك[٢]. فقد عين الفرس حكاماً من قبلهم على البحرين كان منهم آل مذكور، وهم من أعراب فارس، ومن المطاريش العمانية، هاجرت إلى بوشهر في ١٦٤٦ واتفقوا مع الشاه «كريمخان زند» للإستيلاء على البحرين في ١٧٥٣ فحكموها مقابل أن يدفعوا أربعة آلاف تومان ضريبة سنوية من عائدات بوشهر والبحرين[٣]، وفي حملة أخرى على البحرين في محاولة للإستيلاء عليها زمن الشيخ نصر آل مذكور في ١٧٨٣ـ ساعده في ذلك القواسم وشيخ بني كعب وحاكم هرمز وبندر جناوه.

ب - الهولة:

وهم من قبائل بني كعب الذين سكنوا الساحل الفارسي ثم هاجروا إلى البحرين، فقد وفدوا ضمن الجماعات التي وفدت من الساحل الإيراني - سنة وشيعة- إلى ساحل الخليج العربي، ويذكر بعض الباحثين أنهم عرب نزحوا إلى إيران منذ القدم، وتفرقوا في مناطق الخليج الأخرى كان منها البحرين.

---

(١) ينطقها العرب خارج Karij والانجليز كراك Karrack نزح اليها جماعة من البحرين، وقد خضعت الجزيرة لخان حيات داود. وجدت فيها قبور ترجع إلى ماقبل التاريخ. كما يرقد فيها ضريح «سيد محمد» منذ ٦٠٠ سنة يزوره الناس كمكان مقدس، وكانت في القرن ١٣ مكاناً لتزويد السفن بالفحم لما بين البصرة وقيس.

(٢) كان التومان يساوي جنيهاً استرلينياً في أوائل القرن ١٩ (لوريمر).

وفي أواخر عهد الصفويين تمكن أحد زعمائهم هو الشيخ «جبارة» من الاستيلاء على البحرين حتى تمكن «نادر شاه» من استرجاعها في ١١٥٠هـ ١٧٣٨م، وفي عهد جبارة هذا غزا سلطان مسقط (سلطان بن سيف) في القرن (١٢هـ) البحرين مما سبب في هجرة الكثر من علماء البحرين إلى إيران، كما هرب الهولة تاركين البحرين، حيث ساندوا نادر شاه ثانية في احتلاله لها فعين عليها حكاماً من عرب المطاريش من آل مذكور.

ويذكر أيضاً أنهم قدموا إلى قطر من الساحل الإيراني المقابل لها، فهم من العرب الذين نزحوا إلى الشاطئ الشرقي للخليج واستقروا هناك مدة طويلة اكتسبوا فيها كثيراً من العادات والتقاليد الفارسية في المأكل والملبس وطرق البناء، وحافظوا على مذهبهم السني على الرغم من أن أغلب زعمائهم اعتنق مذهب آل البيت عليهم السلام وكان تركزهم في لنجه وبندر وعباس وبوشهر وبندر كونك.

وحينما رجعوا إلى الشاطئ الغربي للخليج خلال القرن ١٧ حكموا البحرين قبل مجئ آل خليفة والقبائل الأخرى باسم إيران، فقد تمكن الهولة من حكم البحرين فيما بين ١٧٢٢ - ١٧٥٣م حينما استولى عليها شيخ بوشهر بمساعدة أمير بندر ريق فأصبحت تابعة لإيران بطريق السيادة غير المباشرة، فالفرس تمكنوا من السيطرة على البحرين بعد أن احتلها البرتغاليون مدة تزيد على القرن فيما بين ١٥٠٧ و١٦٢٢م فسيطر الفرس عليها منذ ١٦٢٢ وحتى ١٢٨٢ عندما نجح العتوب بزعامة آل خليفة من طردهم منها، ولكن الفرس سيطروا عليها ثانية بتعاون وموالاة عرب الهولة فنفذوا إليها من خلال دعمهم للشيعة هناك، حيث إنهم مثلوا نصف السكان، إلا أنه في (١٧٨٣م) تمكن الفاتح الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة من الاستيلاء على البحرين بعد انتصاره على آل مذكور حكام بوشهر الذين سكنوا الزبارة في قطر.

أما «لوريمر» فيذكر أنهم كانوا جماعة ولدوا على الساحل الإيراني،

واستقروا لسنين طويلة هناك، ثم انتقلوا إلى الساحل الغربي في مجموعات، وأنهم لم يكتسبوا اسم الهوله من الساحل الإيراني وإنما أطلقه عليهم العرب سكان الساحل العربي. وعن أصل الكلمة «حولى» وجمعها «حوله» يذكر أنها تعني التحول من جنسيه أو من قبيله إلى آخرى، إلا أنه لم يتمكن من تحديد انتمائهم إلى أية قبيله، فقد أدعى بعضهم أنهم من بني تميم، وآخرون قرروا بأنهم من قبيلة المرازيق.

كما لاتوجد لهم أقسام وإنما تكونت منهم مجموعات باسم أسلافهم أو بأسماء الأماكن التي قدموا منها مثل: جماعة آل بوفخرو الذين استقروا بالدوحة، والكشكنارية التي هاجرت من كشكنار في «كابندي» القريب من ساحل «شيبكوه». كما اعتبر بنو مالك المستقرون بقطر من الهوله أيضا[١].

وهم يعدون نواة الطبقة الوسطى في البحرين، ويشتهر عنهم بأنه لايربطهم رباط محدد كالقرابة، كما نظر إليهم المجتمع نظرة دونيه مما جعلهم يتحفظون في الإشارة إلى أنفسهم[٢].

وعندما مارس أصحاب رؤوس الأموال منهم النشاط التجاري مع الهند وإيران، وتوسعوا في ذلك، أصبح بعضهم من أصحاب النفوذ السياسي، كما

---

(١) لوريمر: مرجع سابق قسم جغرافي، ص١١٣٠.
كابندي واد بمنطقة شبكوه تقسمت قراها إلى: الحرمي، المالكي، المنصوري، التميمي، وقد أقفر الوادي لاتساع الهجرة منه بسبب الأزمات السياسية، إلى البحرين والكويت والعراق وهم يتكلمون العربية والفارسية، وحتى ١٩٠٥ كان يحكم الوادي شيخ قرية كابندي: حسن بن مذكور الذي كان يدفع الضرائب لحاكم بستك.

(٢) مثل بني خضير والبياسر الذين ينتمون إلى عائلات غير معروفة الأصل، ويذكر أن بياسرة هم من ولدوا من المسلمين في الهند واحدهم بيسر والجمع بياسرة.

أنهم تطوروا تعليمياً فأحتل عدد كبير منهم المراكز الحكومية والعمل في الشركات، إلا أن التضامن لم يظهر بينهم مثلما اتضح عند الشيعة والقبائل العربية الأخرى في البحرين[1].

أما بالنسبة إلى أن إسمهم الحقيقي كان الحولة - فسموا الهولة لأن الفرس كانوا ينطقون الحاء «هاء» فان ذلك يتطلب أدلة دقيقة لبيان صحة ذلك. فالفرس وإن كانوا ينطقون الحاء هاء، إلا أنهم يكتبنونه (حاء) في كل كتبهم ومؤلفاتهم. ومما هو معروف أن تغيير الحروف يرجع إلى أسلوب لغة بني تميم، وأشار إلى ذلك النحوي اللغوي الأنلسي أبو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيدة ولد عام (٤٥٨هـ) عندما تحدث عن حرف الجيم الذي يقلب إلى ياء في بعض الكلمات عند التميميين، مثل (المسيد) أي المسجد، و(ريال) أي (رجال)، وقد أوضح أن هذا الاستبدال لم يكن الوحيد في لهجات العرب، فهناك حالات مشابهة، فيمكن أن يكونوا أبدلوا الحاء هاء كما قالوا مدحته ومدهته، والمده والمدح، ثم أبدلوا الهاء ياء كما ابدلوا في هذه هذي، أو القاف كافاً مثل الكوت والقوت، ويلاحظ أن معظم هذه البدلات مازال شائعاً بين أهل الكويت وغيرهم من سكان الخليج.

جـ - البحارنة:

تكون المجتمع البحراني من قسمين كبيرين:

١ - مواطنون من أصول غير بحرانية، وتشمل قبائل عربية وافدة من جزيرة العرب في أواخر القرن (١٢هـ) مثل الدواسر وآل رميح والمنانعة وابن علي والسادة، ووافدين من الساحل

---

(١) يذكر أنه في الخمسينات من هذا القرن كانوا أكثر المحركين السياسيين في صراعات البحرين.

الإيراني من أصول إيرانية سواء كانوا شيعة أو سنة، فاستقروا فيها خلال الاحتلال البريطاني، ومنهم الجماعة المعروفة بالهولة، أضافة إلى عناصر أخرى قليلة من الهنود والعثمانيين والشاميين والمصريين الذي حصلوا على الجنسية البحرانية فاعتبروا مواطنين.

٢ - **أما سكان البحرين الأصليين وهم البحارنة فهم عرب ينتمون إلى قبيلة ربيعة المشهورة، حيث ترجع أغلب الأسر البحرانية إلى عبد القيس من ربيعة مثل: آل الخنيزي، الجشي، آل أبي البحر.**

وهناك أسر ترجع إلى تغلب وربيعة مثل : الأسرة السترية الشهيرة ، التي برز فيهاالفقيه البحراني الكبير الشيخ عبدالله عباس الستري - المتوفي (١٢٧٠هـ) والفقيه البحراني الشيخ علي بن عبدالله الستري الذي هاجر إلى عمان وتوفي شهيداً في لنجة (١٣١٩هـ) وهو صاحب منار الهدى .

وينتسب إلى تغلب أيضاً : آل الربيعي ، آل المتوج ، الأسرة العلمية الشهيرة منذ القرن (٩هـ) وينتمون إلى قبيلة بني أسد . ومن الأسرة الشهيرة الذائعة الصيت : آل عصفور الذين حكموا الخليج والعراق في القرن (٨هـ) ويرجع نسبهم إلى : عُقَيل بن عامر بن صعصعه ، وبنو عقيل من أكبر القبائل العربية انتشاراً في البحرين والعراق ينتسبون إلى : عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من العدنانيين ، واشهر بطونهم : بنو عبادة وبنو المنتفق وبنو عامر . وقد توافد ظهورهم في الأحساء مع القرامطة الذين أزروهم وتحالفوا معهم ، فقد اعتمد القرامطة على بني عامر عسكرياً ، فكانوا جنوداً في جيشهم . كما أن كثيراً من بني سليم وعقيل تحالفوا مع أبي طاهر وعملوا كجنود له .

وهناك اسر تنتمي إلى آل البيت النبوي الكريم أشهرهم : آل الغريفي وآل شبانه، القاروني، الكامل، آل مشعل ، التوبلاني.

ويؤكد ذلك أصالة الشعب البحراني المؤلف من قبائل عربية، مما يقضي على الأقوال غير المعقولة التي لا صلة لها بالواقع حينما تذكر أنهم كانوا يهوداً أو فرساً أو قدموا من العراق، لأن الحقيقة تغلب الوضع، فالقبائل العربية سكنت هذه المنطقة أولاً، ثم نزحت بعد فترات تاريخية طويلة إلى جهات أخرى كان منها العراق[1].

فالبحارنه هم سكان البلاد الأصليون سكنوا البحرين واستوطنوها منذ عصور بعيدة لجأوا اليها فراراً من الاضطهاد الديني والسياسي الذي مارسه الأمويون والعباسيون. ولما كان معظمهم من الشيعة فقد أصبح مصطلح بحارنة مرادفاً للشيعة، حيث أخذ هذا المصطلح في الشيوع والانتشار - ولذا قبل إن المجتمع الشيعي هو الأقدم والسني يعتبر الوافد إليهم، فالقبائل السنية تعتبر نفسها عربية قحة، لأن نسبها معروف، بينما ينظر الشيعة سكان البلاد الأصليين اليهم على أنهم فاتحون أجانب. ويذهب (لوريمر) أن البحارنة ينتمى إليهاجميع الشيعة في البحرين والحسا والقطيف وقطر، هاجر بعضهم إلى الساحل الشرقي في إيران، وتفرق قسم منهم في صحار (عمان)، وأنهم مالوا إلى السلم والعمل بالتجارة، كما اعتبرهم بعض الكتاب الأوروبيين مواطنين قدماء غزاهم العرب[2].

وقد عاشت الفئتان نحو قرنين من الزمان فذابت الفوارق بينهما بعد النصف الثاني من القرن العشرين، إذ إنه لطول مدة استقرارهم وعملهم سوياً في الأرض

(١) سالم النويدر: أعلام الثقافة الاسلامية مجلد١١، ص٤٥.
(٢) لوريمر: جغرافي، جـ٢، ص٢٨٥.

والبحر – خفت العصبية بين الأطراف المتفرقة، إلا أن الإنلجيز والفرس تدخلوا في شئونهم الداخلية مستغلين التفرقة المذهبية، والجانب الخاص بالاقتصاد، حينما وضعت الضرائب بصورة أكبر على الشيعة، طالبوا بتخفيض الضرائب أو مساواتهم مع المواطنين الآخرين الذين تحكموا باقتصاد الجزيرة، مما أدى إلى أنعدام الثقة بين الأطراف، كما أن الانجليز لم يتقبلوا فكرة اضطهاد أفراد الشيعة خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى اثارة المشاعر في إيران أو في أي مكان آخر ضد بريطانيا، مما تطلب الوضع أخذ إجراءات فعالة لمواجهة الاحتمالات غير الحميدة[1].

د – سكان الكويت:

ذكر الرحالة الدنمركي «نيبور» في ١٧٦٥ أن سكان الكويت بلغ عددهم عشرة ألاف عاشوا على التجارة وصيد السمك والغوص على اللؤلؤ، وانهم ملكوا ٨٠٠ مركب. كما وصف الرحالة الانجليزي «بالجريف» النشاط التجاري وازدهار صناعة السفن بها وتميزها بالنظافة، عندما زارها في (١٨٦٢م). أما الرحالة الامريكي «لوثر» فقد ذكر أنها تظهر كمدينة عربية فائقة النظافة، وقدر عدد سكانها مابين ١٥–٢٠ألف أغلبهم من العرب، وأنهم تاجروا مع البصرة والساحل الفارسي وعشائر بدو الصحراء، باللؤلؤ والعود والأسلحة النارية والذخائر والملابس والسروج، كما أن النساء اشتهرن بصناعة الحياكة والغزل والنسيج.

وذكر «لوريمر» أن أغلبية السكان كانت من العوازم والرشايدة وبني خالد والعجمان وعنيزة والحساويه والبحارنه، ومن أصول إيرانية، في أول عهد الكويت منذ القرن (١٨م) وقدر عدد سكانها في (١٨٥٩) بعشرين ألف، وقد

(١) مثلما جرى في أحداث ١٩٢٠–١٩٢٢.

كان عدد السكان يتزايد عند حدوث الأزمات والحروب والنزاعات والمجاعات والأوبئة في المناطق المجاورة - فقد زاد عددهم نتيجة النزاع بين جيران الكويت والغزوات والحروب في نجد والحسا، والقحط والأوبئة، حيث اتجهت اليها الهجرات في أعوام (١٦٧٦-١٧٤٨-١٧٦٧-١٧٧٦).

كما أن الحروب بين آل مذكور أمير بوشهر ضد الزبارة، دفعت بعض التجار والأفراد إلى الاقامة في الكويت في (١٨٧٣م)، وأيضاً عند استيلاء الفرس على البصرة في ١٧٧٦م حينما جعل بعضهم يفد إليها، وكذلك عند هجوم الوهابيين على الأحساء دفع الكثير إلى الهجرة إليها.

وقد جاء في تقرير بعثة البنك الدولي حول أزدياد عدد السكان في الكويت، أنه كان عددهم في (١٩٠٠) مابين ١٠ إلى ١٢ ألف، ثم قدر بعد عشر سنين إلى ٣٥ألف، ارتفع في ١٩٣٧ إلى ٥٧ألف، إلا أنه ذكر أن العدد كان في ١٩٠٣، ٣٥ألف معظمهم عرب ينتمون إلى قبائل: العتوب، العوازم، الرشايدة، بني خالد، العجمان، الدواسر، العنزة، الظفير، إلى جانب: الحساوية/ البحارنة، وعدد من أصول إيرانية، وبعض الجناعات، وكثير من الزنوج، وقلة من اليهود، ولم يكن بها هنود، فكان عدد السمتقرين في العاصمة ٣٥ألف، والسكان البدو حوالي ١٣ألف، فقد سكن مدينة الكويت أفراد العرب والشيعة، أما القبائل فقد عاشوا خارجها.

وكان بنو خالد الذين سكنوا الكويت ينتمون إلى بطون المهاشير وآل مقدام وبني نهد، أمال الجالية الإيرانية فقد تكونت من حوالي ألف نسمه لم يسكنوا حياً منفصلاً بل توزعوا في سائر المدينة، وبلغ عدد تجارهم حوالي العشرين، وأصحاب الحوانيت منهم مائة.

أما الزنوج ، فقد كانوا عنصراً واضحاً من السكان ، فقد بلغ عددهم حوالي أربعة آلاف ، كان لهم نواد اجتماعية خاصة بهم تميزها لافتات عالية غريبة .

كما عاش فيها أكثر من مائة عائلة مهاجرة من زلفى بنجد ، ويدخلها أفراد مسالمون من الظفير والمطير التابعين لنجد في مواسم معينة ، وآل مطيرهم الذي سكنوا الجزء من الصمان التابع للكويت ، أما سكان الجهرة فكان معظمهم من أصل نجدي[١] .

أما بعد اكتشاف النفط واستخراجه فقد زاد عدد السكان بالسرعة الهائلة نتيجة تدفق مائة ألف أجنبي أظهره إحصاء سنة ١٩٥٧ ، زاد في سنة ١٩٦١ بموجب الاحصاء فوصل إلى ٣٢١ ألف مؤثراً في التركيب السكاني .

---

(١) لوريمر : مرجع سابق ، القسم الجغرافي ، جـ٤ ، ص١٧١٠ .

٧ - علاقات بني خالد الدولية:

شهد الساحل الغربي للخليج منذ مطلع القرن ١٧ قيام عديد من الوحدات السياسية العربية كان أهمها: دولة اليعاربة والبوسيعيديين في عمان، والعتوب في الكويت والبحرين، وجبور في قطر، والقواسم وبني ياس في الإمارات، وآل سعود في الدرعية، وبني خالد فيما بين شبه جزيرة قطر والبصرة، فقد لعبت هذه الكيانات السياسية دوراً هاماً في أحداث الخليج، مما دفع القوى السياسية الأوربية إلى الدخول في علاقات ودية مع بعضها أو الاصطدام بها أحياناً. أما الأحساء فقد كانت موضع صراع مستمر بين شتى القوى التي حاولت أن تهيمن على مناطق الخليج ذات الأهمية الاستراتيجية، فأصبح موقف بني خالد في الأحساء صعباً لايمكن التكهن بمستقبله، الأمر الذي دفعهم للاصطدام مع تلك القوى المختلفة أحياناً أو التقارب معها أحياناً أخرى. وقد تركزت علاقات بني خالد الدولية مع القوى السياسية المحلية والعالمية التالية:

١ - مع الدولة العثمانية.

٢ - مع محمد علي باشا والي مصر العثماني.

٣ - مع القوى الاوروبية المتنافسة في المنطقة.

٤ - مع آل سعود في الجزيرة العربية.

أولاً: علاقاتهم مع الدولة العثمانية

أنهى العثمانيون حكم المماليك في مصر والشام وتوجهوا نحو احتلال الحجاز التي تبعت مصر دائماً، ولإبعاد النفوذ البرتغالي في المنطقة، الذين احتلوا مناطق كثيرة في جزيرة العرب والخليج، واستخدموا العنف والأعمال الوحشية عند احتلالهم للمدن والمناطق المطلة على الساحل الشرقي لجنوب الجزيرة العربية، الأمر الذي دفع العثمانيين للتحرك عسكرياً لوقف الخطر البرتغالي المهدد

للمسلمين، وبخاصة عندما أشيع أنهم ينوون مهاجمة المدينة المنورة لتخريب قبر النبي ﷺ ليظهروا العالم الإسلامي بمظهر الضعف في الدفاع عن حماية المقدسات الإسلامية.

وفي هذا الوقت ثار أهل القطيف على البرتغاليين وطردوهم منها، فسلموا قلاعها وحصونها للعثمانيين في ١٥٣٧م وذلك بعد استيلائهم على بغداد في ١٥٣٤م، ودخلوا الأحساء في ١٥٥٠م حينما طلب الأهالي منهم ذلك للتخلص من حكام هرمز والبرتغاليين[1].

وكان البرتغاليون قد احتلوا القطيف بعد قتل حاكمها مقرن بن زامل بن حسين ناصر الجبري في (١٥٢١م) إلا أن «سليمان القانوني» العثماني تمكن من انتزاع إقليم الأحساء من البرتغاليين، فحكموا المنطقة حتى (١٦٧٠م) وأما بنو خالد فإنهم أقاموا علاقات طيبة مع العثمانيين منذ (١٥٥٢م) عندما أقروا لهم بالأمر الواقع بالاستقرار بالأحساء والاستقلال بها، وساندوهم بعد ذلك في صراعهم مع الدرعية، وفي مقابل ذلك رد عليهم بنو خالد بالتعاون معهم في الدفاع عن البصرة حينما حاصرها كريمخان زند الفارسي في (١٧٧٥م) بالمواد التموينية، كما أنهم شاركوا الحملات العثمانية ضد الدرعية في حملات ثويني/ زعيم المنتفق فيما بين ١٧٩٦-١٧٩٨ وفي حملات محمد علي باشا١٨١٨، فاستمرت الصلات الطيبة بين الطرفين حتى ١٨٧٤ حينما عينوا «بزيع بن عريعر الخالدي» متصرفاً على الأحساء، وبالرغم من أن الأتراك تركوا المنطقة مدة قرن

(١) تكررت ثورات أهالي الأحساء في القرن ١٦ مما دعا الأجانب إلى أن يعتبروها تمردا وإرهاباً على الرغم من أنها كانت ثورات ضد حكم أجنبي مستعمر، فالوثائق العثمانية أطلقت على زعيم الثوار: أحد وجهاء العرب، وهو ابن حميد وقيل أنه سعدون زعيم بني خالد، كما أن حاكم لارفي فارس أيد هجمات وغارات أهالي الأحساء على القطيف ودعمها.

إلا أنهم عادوا إليها لإستعادة نفوذهم وسيطرتهم على الخليج منافسين القوى العالمين الأخرى التي تدخلت في شئون مدن وإمارات الخليج ، أما العوامل التي عجلت برجوعهم فيمكن تحديدها في التالي :

- **تدخل محمد علي باشا الوالي المصري الذي أخاف العثمانيين - حينما تأكد خطره عليهم عندما شاهدوا توسعه وامتداد نفوذه وزيادة أطماعه وتغير أدهافه.**

- **تحالف أمير نجد ابن رسشيد معهم، حيث قدم لهم العون والسماعدات المالية والسياسية.**

- **مشكلات البوسعيديين في عمان مع الفرس وتطور الموقف بينهما حينما حاول «كريمخان زند» استعادة نفوذ فارس في عمان، مما جعل أحمد بن سعيد يواجه ادعاءاته بتبعية عمان له بطلب المساعدة من الأتراك، كما أن «سلطان بن أحمد» واجه سيطرة السعوديين على واحة البريمي في ١٧٩٥ بالتوجه نحو الأتراك.**

- **وقد رأي الأتراك أن الأحساء أفضل مركز اقتصادي هام في الجوانب التجارية والزراعية وصيد اللؤلؤ والأسماك واشتمالها على موانئ هامة كالقطيف وتاروت والدمام والعقير، وأنها تصلح مستودعاً كبيراً للتموين يستخدم في العمليات العسكرية وأهم مركز استراتيجي في الخليج يصلح قاعدة عسكرية يمكن استخدامها في العلميات العسكرية ضد أعدائهم مثل البرتغاليين والصفويين والانجليز.**

كما أنها تعتبر نقطة انطلاق للتوسع في الخليج ولمدنه المشهورة كالبحرين وعمان وقطر، ومنها يمكن أيضاً القضاء على ثورات القبائل وتمردها في المنطقة، إلا أن العامل المباشر الذي جعلهم يتوجهون لاحتلال الاحساء، فكان النزاع بين أولاد فيصل بن تركي خلال القرن١٩م، فبعد موت الأمير فيصل، ثار سعود على أخيه عبدالله الذي اعتبر الحاكم الشرعي، ووقفت بجانبهما أطراف مؤيده ومشجعه، فقد أيد سعود في حركته المعارضه:

- **قبائل العجمان[1] التي كانت بينه وبينهم صلة الرحم.**
- **أمير نجران الذي لم يتقبل أهداف عقيده عبدالله الوهابية، فقد أختلف معهم في العقيدة، كما اشتركت معه قبائل أخرى من نجران.**
- **رجال القبائل من الدواسر، وبني خالد.**
- **كما اتخذ أهالي القطيف من الشيعة موقف التأييد له بزعامة أحمد مهدي بن نصر الله، أما شيعة الأحساء، فقد اتخذوا موقف الحياد في مقابل احترامهم وعدم التعرض لمتلكاتهم وحقوقهم، وقد رأوا فيه التسامح الديني والتحرر المذهبي، ولكن عندما نقض الأمير سعود عهده مع الأهالي اضطر زعيم الشيعة للأتصال بالأتراك لاستخلاص المنطقة من أيدي آل سعود.**
- **وأيده من القوى الخارجية الإنجليز الذين تعاونوا معه بجعل البحرين مركزاً لنشاطه ضد أخيه عبدالله، حيث بدأ منها الهجوم على الممتلكات التابعة لأخيه في قطر، كما اتصل مع أنصاره في الأحساء حيث تمكن من الاستيلاء على العقير والهفوف والقطيف.**

---

(١) العجمان وآل مرة من قبيله يام من همدان من قحطان، قدموا إلى الأحساء، وقبائل يام إسماعيليه المذهب، وقد قدر عدد العجمان في القرن ١٤ هـ بـ ٤٥ ألف فرد، وآل مرة بـ١٨ ألف فرد.

أما عبدالله الحاكم الشرعي، فقد وقف معه: أخوه محمد، وعلماء الدين ثم الأتراك، فلم تنجح اتصالاته بابن رشيد أمير حائل، وزامل السليم أميرعنيزه بالقصيم، وعشائر مطير، في مساندته في موقفه، مما اضطره إلى الأتصال بالأتراك أعداء الإنجليز.

وقد نتج من هذا الوضع الساخن اندلاع الحروب فيما بين ١٨٦٦ - ١٨٧١، وهزيمة عبدالله ومغادرته الرياض إلى جبل شمر، واحتلال سعود للرياض في (١٨٧٢م) واتصال عبدالله بالأتراك .

وقد عارض مشايخ الوهابيين موقف الأمير عبدالله في تحالفه مع الأتراك حيث رأوا فيهم الكفر والشرك، فهجره كثير منهم فتركوا مدن الأحساء وغيرها بعد سيطرة الاتراك على المنطقة على اعتبار أنهم كفرة زنادقة بسبب ماقاموا به من إبادة الدولة السعودية الأولى في الدرعية، ولمنحهم أفراد الشيعة الحرية في ممارسة حقوقهم المذهبية .

وقد كان للكويت دورها البارز في هذه الأحداث المؤثرة، فقد ساعد الشيخ عبدالله بن صباح في تقارب الأمير عبدالله مع الأتراك، مما جعل مدحت باشا والي بغداد يرحب بطلب الشيخ، فقد رأى في ذلك الفرصة لإبعاد النفوذ الانجليزي عن نجد، فأعد حملة كبرى للسيطرة على الأحساء في (١٨٧١م) انضم اليها عدد من قبائل المنتفق وبني خالد، كما أبدى شيخ الكويت عبدالله بن صباح تعاونه بإعداد ثمانين سفينة ومقاتلين كويتيين بقيادة الشيخ مبارك، حيث تحركت القوة العثمانية من الكويت إلى الأحساء التي جرى فيها القتال حول قلعة المدينة. وقد نجحت الحملة التركية في الأحساء التي أصبحت تحت سيطرة الدولة العثمانية.

وعلى الرغم من أن بني خالد ساهموا في حملة الأحساء هذه وأيدوا العثمانيين ضد آل سعود إلا أنهم لم يستفيدوا من الوضع في إرجاع حكمهم

فيها، فساءت الأحوال في هذه الفترة - حيث زاد التذمر والسخط على الأتراك نتيجة إدارتهم السيئة والضرائب الزائدة، وضعف سياسة الحكام مما أدى إلى انفجار شعبي أغلقوا فيه الدكاكين، فاعتبرت حركة تمرد وعصيان، أجبرت الدولة العثمانية على أن تغير الوضع بتعيين حكام محليين لإدارة المنطقة لرفع الظلم والاستبداد عن الشعب ومنحهم الحقوق الواجبة، فعينت: «بزيع بن عريعر» أحد أفراد بني خالد حاكماً على الاحساء سنة ١٨٧٤ ضماناً لولاء المنطقة لهم[(١)]، إلا أن الوضع لم يستقر فقد تمرد بنو خالد في (١٨٧٩) وأعاروا على القطيف مما جعل الأتراك يدمرون حصونهم فازدادت الحالة سوء حتى (١٩٠٣م) إذ كثرت السرقات والنهب والإعتداء، وزادت خطورة المرور بالطرق البرية بين الهفوف والعقير، والقتال بين القبائل وبينها وبين السلطات التركية، مما ساد الشعور بفقدان الأمن على طول الساحل بسبب القرصنة العنيفة، وقد حاول عبدالرحمن بن فيصل السيطرة على الأحساء والقضاء على الأتراك، إلا أنه فشل فتركها إلى الرياض التي حكمها بدلاً من أخيه سعود الذي توفي.

وفي هذه الفترة وقف أبناء الشيعة مع الحاميات التركية بزعامة «آية الله الشيخ محمد بوخمسين» عند هجوم عبدالرحمن بن فيصل على الأحساء لاستعادة الحكم بعد جلاء القوات التركية عنها، حيث تمكنوا من إلقاء الهزيمة بتلك الغارات، كما اشتركوا في وضع الخطط العسكرية التي أفشلت محاولاتهم في احتلال المدينة[(٢)]. واستمر الوضع على ذلك حتى تدخل «ابن سعود» في (١٩١٣م) ليسترجع الأحساء فينتهي الحكم العثماني في المنطقة وحكم بني خالد في الأحساء.

---

(١) عاد بنو خالد إلى حكم الأحساء بعد انقطاع دام ٨٠ عاماً.

(٢) حمزة جعفر الحسن: الشيعة في المملكة العربية السعودية - العهد التركي ج١.

ويرى بعض المؤرخين أن علاقة بني خالد مع العثمانيين لم يتكن عدائية وأن بني خالد لم يكونوا خطرا على الاستراتيجية العثمانية التي تعتمد على منع الوجود الأجنبي في المنطقة، وأنة كانت تربطهم علاقة دينية ومذهبية ينظرون اليها نظرة اعزاز واكبار، معتبرين ثوراتهم عليهم محاولة للاستقلال بالمنطقة فقط، بمعنى أنهم لم يحاولوا التوسع على حساب العثمانيين، بل اعتمد عليهم الأتراك في أن يصبحوا قوة قادرة على مواجهة اعتداءات القبائل في شبه الجزيرة العربية على قوافل الحجيج والتجارة، أي تكون دولة حاجزة، مما جعل هؤلاء المؤرخين يرجحون وجود اتفاق بين الطرفين حول علاقاتهما على أساس: حسن العلاقة بينهما طوال حكم بني خالد في المنطقة.

وفي الحقيقة إن هذا الرأي يحتاج الى أدلة وبراهين قوية تؤكد الموقف المسالم بينهما، بينما الأحداث لا تؤكد تلك الجوانب السلمية بين الطرفين-بل تذكر العكس، فقد كان بنوا خالد مثل غيرهم من حكام المنطقة يرون أن أي تدخل خارجي في شئونهم هو اعتداء على ممتلكاتهم وأراضيهم، لأنهم اعتبروا أنفسهم شعب المنطقة وأفرادها ومواطنيها، أما الوافدون عليهم فقد كانوا غرباء وأجانب، وإذا كانت هناك نظرة احترام وتقدير للأتراك من جانب حكام المنطقة وليس من بنر خالد فحسب، فإن ذلك يرجع لاحترامهم مكانة تركيا الاسلامية ونظامها الذي اعتمد على الخلافة الاسلامية ووقوفها ضد الأجانب الغزاة للمنطقة، مما كان يحتم على أهاليها الوقوف معهم ضد هؤلاء الغزاة، المستعمرين واعلان الولاء الروحي للخلافة الاسلامية.

ثانيا - علاقاتهم مع محمد علي باشا والي مصر العثماني:

قررت الدولة العثمانية بعد تأسيس الدولة السعودية الأولى وظهور الوهابيين التخلص منهما لما تحققت من خطرهما عليها، فأرسلت الى الوالي «محمد علي

باشا» في مصر ليعد العدة لمواجهة هاتين القوتين، فبدأ بإرسال حملاته وقواته الى الجزيرة العربية في (١٨١١م) حيث تمكنت في ١٨١٨ من إسقاط تلك الدولة والاستيلاء على الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى والسيطرة على الأحساء كذلك.

وكان ابنه «طوسون» قائدا للحملات الأولى، فاحتل مدن الحجاز واستعاد الحرمين الشريفين بعد أن تعاون مهه في أعماله الحربية زعماء المدن الحجازية والقبائل القاطنة في المنطقة. وفي القصيم عقد صلحا مع الأمير «عبدالله بن سعود» ١٨١٥م-١٢٣٠هـ لم يوافق والده الباشا على ما تم بينهما مصرا على أن يقدم اليه «عبدالله» ليرسله الى السلطان العثماني، وأن يرد ما أخذه أبوه من نفائس كانت من محتويات الحجزة النبوية، باع بعضها وأنفق ثمنها على الفقراء بعد حصوله على استفتاء من علماد المدينة يسمح له بذلك التصرف، وذلك على الرغم من أن دولته كانت غنية في تلك الفترة حسب ما جاء في أقوال مؤرخي عصره[(١)].

وحينما أحس الباشا بضعف قوات ابنه طوسون وبرفض عبدالله لمطالبه-بعث ابنه «ابراهيم» على رأس حملات جديدة الى الحجاز ١٨١٦م-١٢٣١هـ، وانضم بعض أفراد آل سعود اليه كان منهم احد قوادهم المشهوريين: «غصاب العتيبي» الذي ساعد الجيش المصري بإرشاداته، فانتهى الموقف باستسلام الأمير «عبدالله بن سعود» في ١٨١٨م فأرسل الى القسطنطينية وأعدم هناك.

---

(١) حاصر سعود بن عبدالعزيز في ١٨٠٣ مكة ومنع الماء والأكل على الناس حتى أكلوا القطط والكلاب ثم استسلموا، وفي المدينة جرد سعود ضريح النبيﷺ من كل الأشياء الثمينة وحاول هدم القبة العالية المقامة على الضريح، فالوهابيون يحبذون زيارة مسجد النبيﷺ لاقبره ﷺ مثل الآخرين.

وكان بنو خالد حكام الأحساء السابقين قد شجعوا إبراهيم باشا وأحسنوا اليه لحصار الدرعية والاستيلاء عليها، فزينوا له فتح الأحساء على أن يكونوا نوابا عنه فيها، فسار «محمد وماجد»، ولدي «عريعر بن دجين» الى الأحساء التي لم يستطع حاكمها الوهابي «فهد بن عفيصان» من مواجهتهما فتركها لاجئا إلى البحرين، وبذا نجح بنو خالد في استعادة حكمهم على الأحساء تحت نفوذ الإدارة المصرية، فقد عاد محمد بن عريعر وأهله من آل حميد اليها وملكوا الاقليم، كما احتل سعدون الغرير القطيف. وقد تركزت أعمال ابراهيم باشا في المنطقة، على الاستيلاء على كل أموال آل سعود وآل الشيخ وبعث أفرادهم الى مصر لإبعادهم عن البلاد، ومصادرة الأموال في بيت المال وما في البلدان من خيول وأسلحه خاصة بآل سعود، وقتل بعض المرشدين الدينيين المتحمسن للدعوة الوهابية وهدم الدرعية.

وبعد انتهاء الأعمال الحربية فيها وتدميرها. قدم اليها «مشاري بن معمر» ليحكمها، فبدأ تعميرها في ١٨١٩م ولكن الأهالي تخوفوا منه فاتصلوا بماجد بن عريعر وئيس الاحساء ليخلصهم من ابن معمر الذي تقابل مع حلفائه أهل حريملاء والخرج والرياض في قتال (١٨٢٠م) انتهى باتمام الصلح بين الطرفين، فرجع عنها ابن عريعر.

وأصبحت بلاد نجد تحت حكم ابن معمر باسم بني خالد[1] الإ أن الأمير السعودي تركي وابنه فيصل تمكنا من هزيمة ماجد ومحمد بن عريعر في (١٨٣٠م) فأنتهى بذلك حكم بني خالد للمرة الثانية على الأحساء. فقد غزا الأحساء في (١٨٢٩م) كما غزا بنو خالد بلدة نجدية، فدارت معركة بين ولدي عريعر وتركي وابنه فيصل. اللذين عملا على صد هجمات الخوالد، ، انتهت المعارك بقتل ماجد وانهزام بني خالد، وتوجه تركي ألى الأحساء ودخولها دون قتال بعدما

(١) جوهان لودفيج: مواد لتاريخ الوهابيين، ص٩٦.

هرب منها الكثير من بني خالد.

أما محمد بن عريعر فقد تحصن في قصر الكوت ثم استسلم، مما كان اعلانا بخروج الأحساء من حكمهم لتصبح جزءا من الدولة السعودية الثانية، حيث وفد زعماء القطيف لتقديم الولاء إلى الأمير تركي.

إن تلك الأعمال العسكرية والغزوات المتبادلة بين الأطراف المتنافسة في المنطقة لم تعجب الباشا في مصر، مما جعله يبعث إلى الأمير تركي مهددا بإعلان الحرب عليه وارساله جيوش عظيمة إذا لم يذعن ويركن إلى الهدوء.

ولم يتمكن الأمير من تنفيذ أوامره أو مخالفتها لأنه مات في (١٨٣٤م) وبويع لابنه فيصل بالامارة. وبالرغم من تغيير الوضع فإن الباشا رأى أن الموقف يتطلب إرسال حملة جديدة إلى المنطقة وبخاصة عندما انتهى من مشاكله الخارجية، فأعد جيشا لتحرير الأحساء مصطحبا معه هذه المرة الأمير «خالد ين سعود» الذي كان مقيما بمصر، وهو أخو «عبدالله سعرد» آخر أمراء الدولة السعودية الأولى، الذي أتخذه معه ابراهيم باشا بعد فتح الدرعية ١٨١٨ فأقام بمصر ثمانية عشر عاما، وذلك ليكسب عملياته العسكرية نوعا من الشرعية، كما برر موقفه بالرغبة في القضاء على حكم الأمير «فيصل بن تركي» بأنه قطع الجزية التي كان والده يدفعها للباشا. فتقدمت قواته في (١٨٣٣م) نحو القصيم وعنيزة وبريدة وحائل والرياض، في الوقت الذي حاول «فيصل» الاتصال به ليعلن خضوعه على أن يتخلى عن خالد بن سعود، إلا أن قائد جيش الباشا محمد خورشيد أجبره على الاستسلام في (١٨٣٨م) فنقل إلى القاهرة، وعندما كان منتصف ذلك العام، كان الباشا قد تمكن من السيطرة على نجد كلها ومكة والمدينة حتى الخليج العربي، فأصبحت تلك المناطق الشاسعة خاضعة كلها له، كما أن فيصل بن تركي اعترف بسيادته وعرض عليه مساعداته والوقوف معه في حال نيته اخضاع البصرة لسلطته.

ولكن الباشا الوالي لم يقف عند هذا الحد، إذ إنه رأى في الأحساء خير قاعدة للانطلاق منها لتحقيق أهدافه بالسيطرة على الخليج وما وراءه، كالبحرين التي اعتبرها من أبرز المواقع الاستراتيجية، وذلك لارتباطها القوي بالأحساء والقطيف، الأمر الذي عجل بوكيل الباشا للقيام بتنفيذ اتفاقية مع شيخ البحرين حتى يمكن ربطها في فلك دولة محمد علي باشا وامبراطوريته القادمة، فقد اشترط محمد رفعت أفندي حاكم الأحساء الجديد في هذه الاتفاقية ١٨٣٩ على شيخ البحرين «عبدالله بن أحمد» أن يضمن حسن سلوك قبائل بني هاجر والعماير في الأحساء والقطيف الذين كانوا موالين لابنه مبارك أمير قلعة الدمام، والا يسمح لأي فرد من العماير الذين هدمت السلطات المصرية قلعتهم في «عنك» على الساحل وطردتهم إلى عمان، بالعودة ثانية إلى مناطق سكنهم الأولى دون موافقة القائد المصري.

كما أنه اتصل بأمراء وشيوخ الإمارات الأخرى في الخليج للتعاون معه والوقوف في صفه ضد الانجليز الذين حاولوا إحباط مخططاته، وخاصة عندما حذروا «خورشيد باشا» من مد نفوذه إلى المشيخات التي ترتبط بمعاهدات مع الحكومة البريطانية، مما يزيد من توتر العلاقات المصرية البريطانية، وكذلك أجرى اتصالا بمسقط، ووصل وكيل عنه كمبعوث سياسي إلى الكويت ليجمع الأخبار تمهيدا لغزو العراق وانتزاعها من تركيا[١].

وفي هذا الوقت تغير الوضع العالمي، فالدولة العثمانية رأت في تحركات الباشا المصري الخطر الكبير على سلطانها في المنطقة والمناطق الأخرى، فحاولت بكل قوتها الضغط عليه لإخراجه منها، وقامت باتصالات مكثفة مع أمراء الخليج

(١) كان شيخ الكويت يميل إلى تأييد الباشا في سيطرته على نجد والأحساء، فقد شاركت قواته في نقل جيوش الباشا إلى الأحساء، وكذلك إمدادهم بالمؤن والذخائر والأموال.

تدعوهم إلى الوقوف في وجه الجيش المصري والتعاون مع «فيصل بن تركي» في معاركه ضد قوات محمد علي باشا، كما شجعت القبائل العربية في أقاليم عسير لإثارة القلاقل والثورات في خطوطه الخلفية.

وبعد أن أشتركت دول أوروبية مع تركيا وبريطانيا في تحالف دولي للضغط على الباشا لترك المنطقة، امتثل للأمر الواقع وانسحبت قواته منها متجهة صوب القاهرة، فتغير الوضع في عام ١٨٤٠ حيث أصبحت الأحساء خالية من الجيش المصري وكذلك نجد[1]. وبعد انسحاب القوات المصرية، أسند الحكم في نجد للأمير خالد بن سعود، والأحساء الى «احمدبن مبارك» من بني خالد، وكان نهاية لمشروع الوالي محمد علي في السيطرة على المنطقة العربية وتكوين امبراطورية كبرى، فتنازل عن ملكياته في الشام وأدنه وكريت بالإضافة للجزيرة العربية، كما سلم أسطوله لقوات السلطان العثماني.

وهكذا تبعت نجد باشوية مصر ما يقارب ٢٢ عاما، تمتع الحكم المصري فيها بسمعة طيبة سواء في جبل شمر والقصيم أو الأحساء-حيث استقبل ابراهيم باشا كمحرر من الحكم الوهابي.

وانتهز الفرصة وقامت ثورة بقيادة «عبدالله بن ثنيان آل سعود» فسار خالد بن سعود إلى الأحساء لجمع الإصدقاء والاستعداد لمجابهة هذا الثائر، فجهز جيشا من الاحساء لحرب الرياض، إلا أنه شعر بالضعف أمام هذا الموقف العسكري الذي يحتاج الى تحد قوي، فغادر الى الكويت مما جعل «عبدالله بن ثنيان» يعلن نفسه زعيما على نجد والمنطقة الشرقية، ولكن «فيصل بن تركي» الذي تمكن من الهرب من مصر، استطاع أن يقضي على حركته وحكمه ونفوذه في ١٨٤٣م[2].

(١) كان انسحاب الجيش المصري نتيجة هزيمة الباشا في بلاد الشام على أيدي القوات المشتركة في ١٨٤٠م.

(٢) رجع بنو خالد في ١٨٣٨ إلى حكم الأحساء بمساعدة قوات محمد علي باشا بعد أن استسلم فيصل بن تركي الذي أخذ مع أخيه جلوي وولديه أسرى إلى القاهرة.

فعلى الرغم من أن العثمانيين حاولوا استمالة أهل الأحساء وترضيتهم بتعيين أمراء محليين بدلا من الأتراك أمثال «بزيع ين عريعر» من بني خالد، هادفين إلى إقناع الأهالي بأن الحكام منهم، كما قصدوا بذلك إرضاء الحكام والقادة المحليين وضمان ولائهم، إلا أن معارضة الأهالي للحكم التركي وتطور الوضع بتمردهم وثوراتهم المسلحة وإثارة الاضطرابات جعلت بعضهم يتصل بعبد العزيز آل سعود يشجعه على فتح البلاد مثل قبائل العجمان.

ثالثا - علاقاتهم مع القوى الإوروبية المتنافسة في المنطقة:

نشط البرتغاليون في القرن السادس عشر ميلادي في احتكار التجاوة الشرقية بالسيطرة على جزر الهند الشرقية لمنع تجار العرب من الوصول اليها والتعامل مع مناطق التوابل، واشتهر من قوادهم العسكريين خلال الأعمال الحربية التي جوت في المنطقة «الفونسو دالبوكيرك» الذي وصل إلى الهند وأصبح نائب الملك هناك متخذا من «جوا» مقرا وقاعدة له، ومن ثم تطلع الى الخليج العربي فتوجه نحو هرمز للاستيلاء عليها، كما هاجم مناطق عدن ومسقط، فأحرق مدنها وموانيها وقتل الآلآف من الأهالي في (١٥١٣م) وضغط على ملك هرمز في (١٥١٥م) ليتبع في حكمه للبرتغال في مقابل أن يساعده في غزو البحرين والقطيف ويسانده في حرب الفرس ضد الأتراك .

وكان البرتغاليون قد احتلوا القطيف بعد أن قتلوا حاكمها «مقرن بن زامل الجبري» في (١٥٢١م) حيث كانت الاحساء خاضعة لحكم بني جبر في ذلك الوقت، مما ضعف من نفوذ دولة آل أجود بعد مقتل ذلك الحاكم الشهير، الأمر الذي دفع أفراد أسرته إلى التوجه نحو أمير البصرة «راشد ين مغامس» طالبين منه العون لحمايتهم من التدخل البرتغالي في القطيف. ولم تكن علاقة البرتغال بإمارة «راشد ين مغامس» طيبة، فقد شاب تلك العلاقة نوع من الشك والريبة،

فقد رأوا فيه الخطر على مركز هرمز التجاري، نظرا لأهدافهم التوسعية في المنطقة، كما أن العثمانيين لم يقبلوا بوجودهم فأعدوا لحربهم وإنهاء دولتهم في (١٥٤٦م) مما جعل قسماً من «أسرة آل مغامس» ينسحب إلى الإحساء ويتصل بالبرتغال وحكام هرمز لمساندتهم ضد اعتداءات الأتراك، فأرسلوا حملة كبيرة إلى الخليج ما بين (١٥٥٠-١٥٥١م) هاجمت قلعة القطيف بالمدافع، إلا أإن أهل القطيف كانوا قد ثاروا على البرتغاليين ونجحوا في طردهم منها، ، سملوا قلاع المدينة وحصونها للعثمانيين في (١٥٣٧م) الأمر الذي سهل لهم دخول الأحساء في (١٥٥٠م) على حسب طلب الأهالي للتخلص من حكام هرمز والبرتغال.

إن الثورات التي قام بها أهالي الأحساء قد تكررت في القرن (١٦م) ضد الأجانب الذين ادعوا أنها تمرد وارهاب، على الرغم من أنها كانت ثورات شعبية نبعت من إحساس الأهالي بابعاد الحكم الاجنبي الدخيل الذي قدم من جهات بعيدة دون أن تكون له أية صلة بالمنطقة.

لقد ساعد في تواجد القوى الأجنبية في المنطقة والاستقرار فيها عدم استعداد القوى الإسلامية لمواجهة أطماع تلك القوى الاستعمارية، إذ إنها انشغلت في صراع اتسم بالتعصب المذهبي بين الصفويين والعثمانيين، إلا أنه عندما اشتد الوضع خطورة بحيث لم يحتمل التأخير في المجابهة، اتجه العثمانيين بعدما أنهوا حكم المماليك في مصر والشام في (١٥١٧م) نحو مناهضة التدخل البرتغالي في الخليج فأرسلوا الأساطيل البحرية في ١٥٣٧ في الوقت الذي كان قد تحمس فيه أهالي القطيف وثاروا ثورتهم على البرتغاليين وأخرجوهم من قلاعهم وحصونهم ليسلموها للعثمانيين، وعلى الرغم من أن البرتغاليين تمكنوا من استردادها، الا أن حاكم هرمز استاء لهذا الوضع ورفض الموقف فبعث بحملات إإلى القطيف في ١٥٥٠ دمرت المدينة وسوتها بالأرض.

وكان السلطان العثماني «سليمان القانوني» قد تمكن من انتزاع اقليم

الأحساء من البرتغال لتبقى تحت سيطرة الأتراك حتى (١٦٧٠م) حينما قاد «براك بن غرير» زعيم بني خالد ثورة أهلية طرد منها الأتراك وأسس بها دولة حكمتها أسرته، وكانوا قد نشطوا في المجال البحري، فتمكنوا من إعداد قوات لصد غزوات البرتغال على الساحل الشرقي والغربي للخليج، حيث صدوا عزواتهم في (١٥٦٨م) على ميناء «نخليوه» الكائن على الساحل الشرقي للخليج بفارس وهزمهم فانسحبوا منها، إذ أن المصادر البرتغالية تتناول الحملات التي قام بها بنو خالد على تلك المواقع والتي تمكنوا من خلالها انهاء الوجود البرتغالي البحري في ذلك الميناء.

وقد أدت سياسة البرتغاليين القائمة على التعصب والقسوة والوحشية في معاملة الأهالي إلى قيامهم بالثورات التحررية، كما أن ظهور قوى سياسية أخرى منذ أوائل القرن (١٧م) عجلت بنهاية نفوذهم في الخليج، كالإنجليز والهولنديين، فقد ساعد الانجليز الفرس في طردهم من أهم مراكزهم في هرمز، بعد عقد اتفاقية (١٦٢٢م) وكذلك ساهم اليعاربه في إخراجهم من المنطقة، حين تمكن الإمام ناصر بن مرشد من إلقاء الهزائم المتكررة بهم في عدة مواضع مما اضطرهم الى طلب الصلح والأمان في ١٦٤٨ والذي أكد أهم نص فيه على هدم قلاعهم في المواقع الاستراتيجية وعدم إقامة تحصينات أخرى، وأحقية السفن العربية في التمتع بحرية الملاحة والتجارة، فانتهى عهد البرتغال في الخليج في ١٦٥٠م بعد سقوط مسقط آخر معقل حصين لهم هناك.

أما الهولنديون فقد اشتبكوا مع البرتغال في المياه الهندية في عدة معارك انتهت بسيطرتهم على حزر الهند الشرقية، ، نافسوا كذلك الانجليز في الحصول على امتيازات التجارة الفارسية، إلا أن الوضع تطور بينهما إلى الدخول في صراع منذ ١٦٥٢ نتج عنه نهاية النفوذ الهولندي في الخليج عام (١٧٦٥م) الأمر الذي أتاح للإنجليز تدعيم وجودهم في المنطقة على اعتبار إنهم كانوا على اتصال

بمدنه وموانيه ودوله منذ القرن (١٦م)، ولهم خبرة كبيرة فر معرفة شئونها السياسية والاقتصادية.

وقد كان للانجليز مواقفهم المحددة تجاه الاحداث التي تناقض مصالحهم في المنطقة، وفي المساحات التي تعد ضمن سيطرتهم المباشرة حسب اعتقادهم، فقد أيدوا حملات محمد علي باشا والي مصر العثماني إلى الأحساء ما بين (١٨١٨-١٨٣٨م) مساندة لموقف بني خالد وأحقيتهم باستعادة نفوذهم في الأحساء، وكان الانجليز ينظرون الى بني خالد نظرة تقدير واحترام، اذ مدح حكمهم «لوريمر» فأكد أنهم مثلوا إدارة وحكما منظما قبل غزو الوهابيين لهم، وأن حكمهم كان معتدلا مشجعا للتجارة بإقرار السلم والأمان في المنطقة، فلقى التجار الأجانب معاملة طيبة، كما وصفهم بالوقار والاحترام، وأنهم كانو أحسن منظرا وافتح بشرة بالنسبة لقبائل البدو الاخرين، وأن ملابسهم كانت جيدة حيث لبسوا العباءات ولهم لهجة محلية تكاد تكون غريبة[1].

كما أن مانيستي «Manesty» والمستر جونز «Jones» أكدا السلم الخالدي في المنطقة بشكل عام، لذلك فان الانجليز اعتبروا بني خالد هم الأحق في استرجاع نفوذهم في الأحساء وهو ما دعاهم الى اظهار الفرح لتدمير الدرعية وتفرقة الوهابيين، وتأييد خطوات محمد علي باشا في التخلص منهم، فقد تخوف الانجليز من تكوين وحدة سياسية كبيرة بين الإمارات الخليجية تحت سيادة هؤلاء، وأرسل الحاكم البريطاني في الهند يهنئ ابراهيم باشا لنجاحه في إنهاء إمارة الدرعية في (١٨١٨م) «إن الهزيمة والانهيار الكامل لدولة ما بعد ارتفاع غير عادي إلى درجة السمو مما هو أدعى الى السرور أن تنفردوا فخامتكم بإخضاعها».

(١) لعلها لجهة أهل الأحساء الخاصة.

كما جاء في تقرير «المستر فرانسيس واردن» الذي قدمه لحكومة الهند في ١٨١٩م عن الدولة السعودية الأولى: «هكذا قامت وسقطت ويؤمل ألا تقوم مرة ثانية، تلك الجماعات الشاذة التي شجعت وحمت الغارات البحرية في الخليج وبحار الهند بدرجة من النجاح وبجرأه ووحشية لا تفوقها غير بشاعة الجزائريين في أوربا».

كما عبر القنصل الانجليزي في مصر عن سرور بلاده لسقوطها أيضا بقوله: «عصابة من اللصوص أثبتت أنها أكثر تعصبا وأشد عداوة من أتباع الدين الذين حاولت هذه العصابة أن تحل محلهم»[1].

هذا في الوقت الذي قاموا فيه بعقد اتفاقيات ومعاهدات مع أمراء الخليج منذ هذه الحملة حتى لا يحدث أي تقارب بينهم وبين قائد الحملة المصرية، أما بالنسبة لمواقف الانجليز تجاه الحملة الثانية ١٨٣٨ فإن الوضع كان مغايرا لتلك الأوقات، ففي الوقت الذي كانوا يتمنون فيه الخلاص من الدولة السعودية-فإنهم تخوفوا من زحف القوات المصرية ورأوا فيها خطرا يهدد الوجود البريطاني في الخليج، مما دعاهم للتضامن مع تركيا للتصدي لأطماع الباشا التوسعية، والمساعدة في سد المنافذ أمامه لمنعه من الوصول إلى البحر الأحمر والعراق، وإحباط مخططاته، وخاصة عندما اتصل نائبه بأمراء ومشايخ المنطقة يدعوهم الى التعاون معه ضد الانجليز، الذين قاموا بتحذير «خورشيد باشا» من الاستمرار بتلك الاتصالات أو محاولة مد نفوذه الى المشيخات التي ترتبط بمعاهدات مع الحكومة البريطانية، مما سيزيد من توتر العلاقات المصرية البريطانية.

وقد قرر الإنجليز أن الموقف يحتم على الباشا ترك المنطقة والعودة الى بلاده، إذ إن الغاية من وجوده فيها كانت لأجل إنهاء نفوذ آل سعود والوهابيين وليس

---

(١) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: تاريخ العرب الحديث والمعاصر (القاهرة دار الكتاب الجامعي ١٩٨٦)، ص١٨٩.

التدخل في أمورها أو إحداث إجراء سياسي وعسكري، فوجود جيوشه الجرارة مع قادتها هي بهدف إنهاء سلطة الدرعية الوهابية فقط، دون أن تفكر في أهداف وغايات أخرى كالعمليات الحربية التي نوى إجراءها في المنطقة، مما سيؤدي إلى تغيير الوضع السياسي وقلب الأحداث. لقد تخوفت بريطانيا من أن تنجح قوات الباشا في التمركز في الخليج والعراق مثلما نجح في الشام والأناضول وشواطئ البحر الأحمر، الأمر الذي سيهدد الوجود البريطاني في الخليج دون شك، فكان لا بد من القيام بإجراء سريع وقوي لسد المنافذ أمامه ليمنعه من تحقيق أهدافه. وهو ما دعا الى تكتل دولي وتحالف عالمي يشارك تركيا في الضغط على الباشا لإبعاده عن المنطقة بالامتثال لأوامرهم في ١٨٤٠م، حيث هددوه بإجراء عسكري ضد أجزاء من مملكته، وأعدوا الجيوش لمقاومته إذا ما أظهر عدم الامتثال لهم. وقدم الإنجليز الاحتجاجات القاطعه إلى المسئولين في القاهرة، وأرسلوا السفن البحرية إلى الخليج فقدمت السفينة Royal Tiger إلى القطيف، وقامت البحرية الهندية بعرض مسلح في البحر، ثم قررت فرض الحصار على القطيف والعقير وسيهات لمواجهة أي احتمال زحف لقوات خورشيد على ساحل الخليج. إلا أن القوات المصرية أعلنت انسحابها من الأحساء، وتعيين «أحمد بن مبارك» من بني خالد حاكما عليها ١٨٤٠م، فلم تنفذ السلطات البريطانية خطتها بفرض الحصار على موانيها.

هذا.. ومن ناحية أخرى فإن الأعمال العسكرية للقرصان المشهور «حميد بن مجزل» من بني عمير من بني خالد المتحالف مع شيخ البحرين فيما بين (١٨٤٥-١٨٥٤م) قد وجهت اهتمام بريطانيا إلى ساحل الحسا، وطلب منه الانجليز التسليم، الا أنه احتقر مطابهم، فقامت القوات البحرية البريطانية بحصار مقره بالمدافع، وكان قد اتخذ من جزيرة جنة مقرا ومركزا، فاستسلم فأحرقوا سفنه.

أما الفترة التي رأى فيها الانجليز الفرصة للتدخل في الأحساء، فهي سنوات الخلاف الذي حدث بين أولاد فيصل بن تركي في ١٨٤٣م حين أتاح هذا النزاع بين الأخوين عبدالله وسعود الفرصة لتدخل الأتراك والسيطرة على الأحساء منذ (١٨٧١م) واستمر إلى سنوات ١٩١٣م، مما زاد من تدخل الإنجليز في شئون الخليج وتقوية نفوذهم في هذه الفترة الساخنة.

وقد وقف الانجليز مؤيدين الأمير سعود في خلافه وتعاونوا معه بجعل البحرين مركزاً لنشاطه، فبدأ منها الهجوم على الممتلكات التابعة لأخيه في قطر. كما تمكن من الأتصال مع أنصاره في الأحساء فاستطاع الإستيلاء على العقير والهفوف والقطيف. كما احتلال العثمانيين للأحساء أشعل المنافسة بين الطرفين، إذ إن اتصال الأمير عبدالله بالأتراك وإعداد حملة «مدحت باشا» لاحتلال الأحساء، كانت فرصة طيبة لإبعاد النفوذ الإنجليزي عن المنطقة كلها، مما دعا الأطراف المتنافسة إلي الاتجاه لعقد اتفاقيات ومعاهدات مع حكام الخليج، ونشط الانجليز في التدخل لمنع الأتراك من السيطرة على الأجزاء الأخرى في قطر والبحرين وأبوظبي باعتبار ارتباطها بمعاهدات خاصة معهم، حيث إن الانجليز كانوا قد اتجهوا منذ عام ١٨٢٣م إلى سياسة التواجد العسكري في الخليج تطبيقاً لمعاهدة السلام العامة سنة ١٨٢٠م[١] إلا أن الوضع العدائي بين الانجليز والأتراك شجع ابن سعود فيما بعد لاستغلال الأوضاع المضطربة، فتمكن من استرداد الحسا من الأتراك في ١٩١٣م.

---

(١) هي المعاهد الخاصة بالقرصنة في الخليج عقدت بين بريطانيا وإمارات الخليج للحد من القرصنة والاعتداءات المتكررة في البحر على السفن الإنجليزية ونهبها.

رابعاً : علاقاتهم مع آل سعود :

كانت القبائل المستقرة في الرياض واليمامة والدرعية والعيينة تابعة أول الأمر لأمراء الأحساء، فقد حكم بنو خالد الدرعية في الفترة من (١٦٩٥-١٧٠٩م) حيث سيطر عليها «سلطان بن حمد القبس» الذي كان أحد مواطني الأحساء، ثم تولى الحكم بعده ابنه «عبدالله» حتى استولى عليها آل سعود.

وكانت الحملات الخالدية على نجد قد تواصلت منذ أيام «محمد بن غرير» شقيق براك في ١٦٨٢ حيث هاجم اليمامة لإخضاعها لسلطته، كما هاجم في ١٦٨٧م قبائل آل مغيرة قرب الرياض وقتل شيخهم، وهاجم أيضاً أقليم الخرج وسدير، واستمرت تلك الحملات أيام «سعدون بن محمد» في ١٦٩٢ فغزا الفضول والظفير وقبائل شمر واليمامة في ١٧١٤ بالتعاون مع حليفه أمير العينية «عبدالله بن محمد بن معمر».

وفي أيام «سليمان بن محمد آل حميد» ١٧٣٦-١٧٥٢ برز الشيخ «محمد بن عبدالوهاب» في نجد وذاع صيته وانتشرت أفكاره الدينية والاجتماعية في المنطقة، حتى رأى فيها الآخرون من أمراء المناطق المجاورة خطراً على المجتمع، إذ إنهم اعتبروا تلك الأفكار والآراء متطرفة يمكنها أن تزيد التوتر والقلق فيه، كما أن علماء الأحساء كتبوا رسائل في تفنيد آراء الشيخ «ابن عبدالوهاب» وجهدوا في تفريق أنصاره، منهم الشيخ «محمد بن عفالق» الذي حث عثمان بن معمر «أمير العينية بالتخلي عن مناصرة الدولة السعودية في ١٧٤٩م.

ولما كان نفوذ بني خالد قوياً في نجد فإن سليمان هذا طلب من أمير العينية أن يخرج الشيخ من أرضه، فخرج إلى الدرعيه حيث رحب به صاحبها «محمد بن سعود» مما عده بنو خالد عملاً معادياً لهم، فأدى ذلك إلى النزاع بين الطرفين استمر طوال النصف الثاني من القرن (١٨م) حتى زوال نفوذ بني خالد في

(١٧٩٥م) على أيدي السعوديين، فقد اعتبر هذا الحادث بداية العداء بين آل سعود وبني خالد في المنطقة، فقد أظهر شيوخ بني خالد العداء للوهابيين منذ أن قامت حركتهم في الدرعية، حيث أتخذوا موقف الدفاع نحو عشرين عاماً من ١٧٤٥-١٧٦٥ تجاه هجمات الخوالد، إلا أنهم تحولوا إلى الهجوم منذ ذلك الوقت حتى ١٧٩٥م.

دوافع هجمات بني خالد على الدرعية:

وحتى يمكن تفسير موقف بني خالد من دعوة الشيخ الوهابي، من المفيد أن نعرف الموقف العام في الجزيرة العربية وفي المناطق الأخرى من تلك الدعوة - إذ إن الخوالد لم يكونوا هم الوحيدين الجهة المعارضة لها، بل تعددت أطراف المعارضة للدعوة التي شجعت بني خالد على المبادرة للتصدي لها ولخطرها على المنطقة.

فقد عارضها الكثير من نجد ومعظم علمائها الذي اتصلوا بعلماء المناطق المجاورة في الأحساء والبصرة والحرمين مشجعين الأطراف المختلفة لاتخاذ موقف صارم تجاه الدعوة، فباشروا الدعايات والكتابات ضد أهداف الشيخ ومبادئه، حتى تراجع الكثير عن مناصرته مما دفع أن يعقد مؤتمراً في (١٧٥٤م) مع أنصاره في الدرعية بسبب انسحاب الكثير من دعوته - علاوة على ذلك فقد كان هناك من أهل نجد من يفضل حكم بني خالد على الآخرين الذين رفضوا سيطرتهم عليهم، مثلما حدث عندما بايع أهل المجمعة «عبدالعزيز بن محمد بن سعود» وكتب أهل الزلفى إلى «سعدون بن عريعر» طالبين منه غزوها فحاصرها سعدون ثم تراجع عنها في (١٧٧٨م)، كما أنه في عام (١٧٨١م) خرج أهل عنيزة عن طاعة عبدالعزيز بن محمد وكتبوا إلى «سعدون» يستنجدون به، فسار إليهم مع بني خالد والظفير وشمر وعنزة وحاصروا بريدة أربعة أشهر ثم رجع عنها، كما

أنه في الزلفى وفد عليه جمع من رؤساء نجد ممن لم يدخلوا في طاعة الأمير عبدالعزيز[1].

أما الجهات المعارضة الأخرى فقد تحددت في:

- **العيينة وأميرها عثمان بن معمر، الذي كان حليفاً لأمير الدعوة إلا أن موقفه تغير بعد تدخل شيخ بني خالد.**
- **الرياض وأميرها دهام بن دواس وهو أقرب الدول المعارضة للدرعية.**
- **ثرمداء وأميرها إبراهيم بن سليمان.**
- **ضرما وأميرها إبراهيم بن محمد.**
- **حريملاء وقاضيها الشيخ سليمان بن عبدالوهاب شقيق الشيخ محمد وأميرها مبارك بن عدوان.**
- **اقليم الخرج وسدير، بزعامة زيد بن زامل الدليمي.**
- **قبائل البادية ومنها: الظفير والمناصير وبني هاجر والعجمان.**
- **زعيم نجران: حسن المكرمي.**
- **القصيم: وأميرها راشد الدريبي.**

بالإضافة إلى زعماء اليمامة.

(١) محمد بن عبدالله الأحسائي، تحفة المستفيد، ص١٣٠.

وفي (١٧٥٩م) اتخذت الأطراف المعارضة موقفاً واحداً بالأتصال ببني خالد طالبت منهم التدخل ضد الدرعية فبدأت سياسة جديدة في هذه الفترة أساسها مهاجمة الدرعية مع تحالف القوى النجدية الأخرى منذ أيام «عريعر بن دجين آل حميد» ١٧٥٩ الذي قاد حملة قوية مع قبائل عنزة الحليفة في (١٧٧٤م) ضد بريدة في القصيم واستولى عليها دون مقاومة وأرجع راشد الدريبي حاكماً عليها.

وفي (١٧٨٢م) تمرد أهل القصيم بزعامة ال ماضي وآل حجيلان واتصلوا «بسعدون آل عريعر» فاعتقل الثوار العلماء والوعاظ المناصرين للدعوة الوهابية وأعدم بعضهم، فحاضر «سعدون» بريدة خمسة أشهر دون أن يحقق الهدف من الاستيلاء عليها. وفي كتاب (كيف كان) للمؤلف المجهول يذكر أن سعدون هاجم وذبح علماءهم ثم رجع فنحر الذبائح.

أما «دهام بن دواس» فقد ترك الرياض في ١٧٧٣ لاجئاً إلى الأحساء عند حلفائه بني خالد حين سقطت المدينة في يد الوهابيين، كما لجأ راشد الدريبي زعيم بريدة إلى الأحساء بعد القضاء على سلطته من جانب «آل عليان» مما جعل هؤلاء جميعاً يتقدمون بالطلب من بني خالد للمساهمة في مساعدتهم لإعلان الحرب على الدرعية.

وفي (١٧٦٤م) اشتركت الأحساء في حرب الدرعية مع صاحب ورئيس نجران «الحسن بن هبة الله المكرمي»[1] الذي حاول «عريعر بن دجين» استمالته للانضمام إليه في التخلص من الوهابيين، وتمكنوا من إلقاء الهزيمة بجيوش «ابن سعود» في هذه المعارك وكاد «المكرمي» أن يحتل الدرعية لولا توصلهما إلى الصلح، وقد حاول «عريعر بن دجين» إقناعه بمواصلة الحرب لاحتلال المدينة إلا

(١) صاحب نجران وزعيم قبائل يام القوية. إسماعيلي المذهب.

أنه رفض نقض الصلح - مما جعل عريعر يضرب الحصار حولها لمدة شهر دون نتيجة. وبالرغم من أن «المكرمي» سيعود لقيادة حملته الثانية على الدرعية في (١٧٧٥م) إلا أنه لن يحقق نتيجة ملموسة من كل ذلك.

حروب الدرعية ونتائجها:

يذكر البعض أن سياسة الدرعية تجاه دولة بني خالد تميزت بعدم التدخل في شئونهم وتجنب الصدام المباشر معهم، متمسكة بسياستها واستراتيجيتها القائمة على عدم مواجهة بني خالد بصورة مباشرة وباتخاذ موقف دفاعي معهم، بمعنى أن الدرعية تمسكت بموقف الدفاع منذ (١٧٤٥م) وحتى (١٧٦٥م) أي مدة عشرين عاماً تحولوا بعدها إلى الموقف الهجومي حتى ١٧٩٥ حين اشتدت هجماتهم على أرض الأحساء منذ ١٧٦٥ وهي السنة التي اعتبرت أول حروبهم خارج بلادهم ضد بني خالد في الأحساء، فقد حاربها «محمد بن سعود» أمير الدرعية عدة مرات حتى مات في (١٧٦٦م) في معركة اشتركت فيها القبائل المتحالفة مع بني خالد بقيادة عرعر الخالدي في (١٧٦٥م).

وفي الواقع أن القوة السعودية الصاعدة لم تكن بالقوة التي كان في مقدورها مواجهة قوة بني خالد الأقوى في المنطقة، وبخاصة في أوائل عهدها وليس أنها أتخذت أستراتيجية الدفاع والموقف الدفاعي لا الهجومي، ذلك أن بني خالد كانوا يهاجمون نجد إلى داخلها، فلما تمكنت الإمارة الصاعدة من قوتها والوثوق بها، ابتدأت الهجوم على الأطراف المجاورة، خاصة أن مبادئهم كانت تدعو إلى الغزو والحرب ضد من لم يكن على عقيدتهم. ففي الأسباب التي دعت الوهابيين - إلى تلك الحروب إنهم رأوا في شرقي الجزيرة العربية بعض المذاهب التي لاتتفق مع مبادئ الوهابية، والتي اعتمد اساسها على أن كل من لم يكن وهابياً أتهم بالشرك والضلال، وإن من كان خارجاً عن منهجهم فليس بمسلم.

فالحركة الوهابية وإن بدأت دعوة دينية، إلا أنها سرعان ماتحولت إلى حركة سياسية دنيوية، ولكنها كانت متعصبة، إذ أنها استخدمت كل الوسائل بجانب الدين لكي تقوم بالسلب والنهب وارتكاب المذابح والمجازر في البلاد التي حاربتها. وقد مرت حركات آل سعود تجاه بني خالد في المراحل التالية:

- **مرحلة غزوات وغارات ضد المدن الأحسائية.**
- **مرحلة استغلال الصراع بين أفراد بني خالد للتفريق بينهم.**
- **مرحلة حروب للمدن الأحسائية للإستيلاء عليها.**

فقد بدأوا بشن الغارات على مدن الاحساء مع توجيه حملات عسكرية ضد بني خالد لفترة طويلة، حيث حاربها محمد بن سعود أمير الدرعية منذ سنة١٧٦٥.

وتمكن عبدالعزيز بن محمد من احتلال الإحساء في ١٧٨٤، إلا أن السكان قاوموهم مقاومة شديدة قبل أن ينتهي الحكم الخالدي، فقد قاموا بأعمال عنف وقتلوا المسؤولين، ثم اندلعت ثورة عامة في البلاد كلها بتحريض من زيد بن عريعر الذي كان في الكويت وقدم إلى الأحساء حيث دخل السكان في طاعته، مما دفع ابن سعود إلى إعلان الحرب على الكويت لموقفها المساند لزيد عندما التجأ اليها، وخرج منها قائداً لثورة الأحساء.

وفي الواقع إن الاجراءآت القاسية التي فرضها الأمير سعود بن عبدالعزيز بعد استيلائه على الأحساء في معركة «الشيط» الفاصلة ١٧٩٢ هي التي دعت أهالي الأحساء إلى الثورة والتمرد على الحكم السعودي، والطلب من «زيد بن عريعر» بسرعة القدوم إلى الأحساء لمساندتهم في تلك المحنة. فمن أهم تلك الإجراءات التي أدت إلي تلك الثورة والهيجان:

- **سيطرتهم على الجوامع والمدارس والأوقاف العامة.**

- **إهمال المذاهب الإسلامية عدا مذهب إبن حنبل.**
- **عدم السماح بإقامة الحسينيات الشيعية وهي مجالس عزاء الإمام الحسين عليه السلام.**
- **إجبار الأهالي بالصلاة جماعة مع أهل السنة في الفروض.**
- **إزالة القبور والقباب والمشاهد والعلامات الإرشادية إلى أسماء الموتى - علاوة على ماكانوا يقدمون اليه من نشر الذعر والخوف في نفوس الأهالي وتدمير المباني والمؤسسات عندما يكسبون معركة في مدن الأحساء.**

كل تلك الأمور دفعت الأهالي إلى التذمر والاتصال بزيد بن عريعر في الكويت للقدوم واستلام السلطة، ثم تحول ذلك إلى ثورة عارمة في البلاد، قتلوا فيها رجال الدعوة وجروهم في الطرقات، وكذلك عدداً من رجال السلطة.

وكان «زيد» ينافسه على السلطة «براك بن عبدالمحسن بن سرداح» إذ أنهما تنازعا على الحكم، فأصبح «براك» في صف «الدرعية» محارباً لزيد في الأحساء، الذي أصبح عدواً للدرعية. ودخل الطرفان في حروب عام ١٧٩٣ نتج منها أن طلب أهل الأحساء من براك أن يعمل على أن يتم صلحاً مع الأمير«سعود عبدالعزيز».

وكان الشيعة يؤيدون أبناء عريعر، أما براك فقد أيده أهالي المبرز الذين طلبوا منه التدخل لإتمام الصلح مع الدرعية، وعندما أبرم «براك» ذلك الصلح، لم يرض كل أهالي الأحساء بشروطه، لأن الشيعة من أهل الأحساء لم يقبلوا الخضوع لسلطان الوهابيين أتباع السلف، لأن نتائجه ستمنعهم من أداء شعائرهم وممارستها كما كان يحدث أيام بني خالد، ولما كان براك قد دخل في طاعة الأمير السعودي فقد حاربهم واستولى على الأحساء والقطيف، وطرد آل عريعر، وأجبر بعض العائلات في الأحساء على مغادرتها والرحيل عنها إلى الكويت والزبارة.

إلا أن الأهالي قاموا بثورة كبرى حاصرهم فيها قائد آل سعود : «إبن عفيصان» حتى استسلموا ، فخرج أعيان الشيعة بعد تأمينهم إلى الزبارة ، كما أن براك لجأ إلى «ثويني بن عبدالله أمير المنتفق في ١٧٩٥ - حيث علم «سعود» أنه كان يعمل ضده متحالفاً مع أمير المنتفق فأعلن عزله عن الإمارة .

وفي العام نفسه ١٧٩٥ اتهم «سعود» أهل الحسا بنقض العهد ، فسار إليهم وأمر رجاله بإرهاب الأهالي بإطلاق الرصاص في الصباح ، حتى شعر السكان بأن الأرض تهتز من تحتهم ، وأسقط كثير من الحوامل ، ثم راح يعمل القتل فيمن يشاء ويبعد من يشاء ويحبس من يشاء ، وكذلك هدم المحال ، ثم قبض منهم آلاف الدراهم ، وأصطحب معه عدداً من رؤسائهم عند رحيله كان منهم : علي بن أحمد وآل عمران وبريكان ومحمد حسن العدساني ، فأسكنهم الدرعية .

وانجلى الموقف بعد كل ذلك في تخلص الوهابيين من حكم بني خالد في الأحساء في ١٧٩٥ كما أنهم استولوا على القطيف في (١٨٠٠) بعد ارتكاب عدد من المجازر والمذابح - الأمر الذي أشعل المعارضة وغير الوضع ، فأشتدت الثورة التي انبعثت من جديد في ١٨٠١ أدى رلى انقطاع الاتصال بين نجد والقطيف ، وتغير مسار طريق تجارة وسط الجزيرة العربية مع الهند الذي اتبع في السابق فاتخذ طريقاً آخر يمر بالبصرة فالكويت . ففي الواقع لم يتم سقوط الاحساء بالسهولة التي توقعها المهاجمون ، إذ لم تسقط القطيف وماحولها كما كان متوقعاً ، فقد تصدى «المهاشير» لقوات ابن سعود الذي حاصرها فترة من الزمن حتى سقطت في ١٧٩٨ أو في ١٨٠٠ كما ذكر «لوريمر» ، وكذلك حاربته العماير حتى النهاية . واشتهر في تلك المعارك «عبدالله بن سليمان المهشوري الخالدي» الذي عد آخر زعيم خالدي يتصدى للوهابيين ، وهو من قبيلة المهاشير ، فقد قاومهم من مكان إلى مكان ، في القطيف وسيحات وجزيرة تارون ، و«علي بن أحمد» الذي استمر في حصنه يحاربهم حتى أعطوه الأمان - إلا أنهم قتلوه ،

و«أحمد بن غانم» القطيفي الذي تحصن في قلعة تاروت فدخلها «إبراهيم بن عفيصان» بعد محاولات عديدة فقتل من فيها .

وفي الواقع هناك عوامل أخرى غير الحروب والمعارك ، شاركت في انهاء دولة بني خالد في الاحساء ، كان أكثرها تأثيراً النزاعات والخلافات الأسرية التي أضعفت كيانهم ، كما ساعدت العشائر الأخرى التي تعيش في أراضيها للإستقلال عن سلطتها كالعتوب ، كما أنها مكنت آل سعود من التدخل في شئونهم الداخلية وأثارة أفراد الأسرة الحاكمة ضد بعضهم ، مما قوى ذلك من موقفهم بالغارات المتتالية عليهم وعلى أراضيهم ، تغذيها روح العداء والتناحر التي استمرت بين الجانبين لفترة طويلة .

أما عن اثار خضوع إقليم الحسا لآل سعود ، فإنها كثيرة ومتعددة ، منها ما أثر على الوضع الداخلي ، ومنها ماحرك الأطراف الخارجية .

أما داخلياً – فقد ساعد خضوع الإقليم لآل سعود على تطور ونمو الدولة السعودية ، كما أنهم حصلوا على منافذ بحرية وثروة خيالية لم تكن في حسبانهم ، كسكان عاشوا في نجد الصحراوية . فقد كانت الأحساء بالنسبة إليهم أهم أقاليم الدولة – إذ منها حاربوا القبائل المتمردة ، ومن مدنها وموانيها انطلقوا للتوسع في رقعة الأرض ومد نفوذهم إلى عمان ، ومن شواطئها هاجموا البحرين ، وتمكنوا عن طريق مدنها الساحلية كالقطيف والدمام والعقير أن تصبح نوافذ يطل منها على الخليج .

كما أن سقوطها أثر في نزوح الأهالي الشيعة في القطيف[1] ومدن الأحساء الأخرى إلى البحرين فراراً من الاحتلال الوهابي ، كما التجأ أفراد منهم إلى

---

(١) كان سكان القطيف من الشيعة الذين كان من الصعب على العقيدة الوهابية التأثير بهم أو تقبلهم لها .

الكويت والزيارة في قطر، مما جعل آل سعود يتتبعونهم بالهجوم على المناطق التي استقبلتهم وقبلت لجوءهم إليها.

فالأحساء كانت أهم جزء في الجزيرة العربية لإهتمام آل سعود، فهي تعد مركزاً استراتيجياً وعسكرياً واقتصادياً، توفر الخير والموارد الاقتصادية التي تساعد في تموين الجيوش وإعدادها، وإمدادها بما يلزم لمواصلة العلميات العسكرية في المواقع الأخرى، فالنظام السعودي لم يفكر في التوسع وامتداد النفوذ في الجزيرة العربية، والتطلع إلى العراق والشام إلا بعد أن احتلوا الأحساء وتمركزوا فيها. كما أن ولاة العراق استخدموا الأحساء كمركز للتهجم على آل سعود - حيث كانت قواتهم تتجمع فيها لتبدأ الهجوم والمعارك.

أما الآثار الخارجية:

فإن أزدياد نفوذ الوهابيين على أثر سقوط الأحساء كان له الصدى الكبير على القوى السياسية الأخرى المحلية منها والعالمية. إذ أن التطورات الجديدة في المنطقة دعت تلك الأطراف إلى نوع آخر من التصرف حيالها. وكان أكثرها انزعاجاً مما حدث من تغيير للأوضاع وتبديل للأحوال، الدولة العثمانية التي لم تقبل الصورة التي انتهى إليها الوضع الخالدي، وانتصار الوهابيين وسيطرتهم على الأحساء، مما دفعهم إلى إعداد الحملات المتتابعة وشن الهجمات العسكرية عليهم للتخلص منهم. ومن أشهر الشخصيات التي جهدت في محاربتهم «الشيخ ثويني بن عبدالله» رئيس المنتفق، الذي أرسله الوالي التركي ببغداد «سليمان باشا» لمحاربة نجد والوهابيين. وقد حاول مراراً التعاون مع الأطراف المحلية في تلك الحروب، وتنقل في أرجاء المنطقة طالباً المساعدة، مثلاً طلبه المساعدة من أمراء بني خالد. وفي الكويت وإلى الدورق مستجيراً بأمير بني كعب «الشيخ غضبان» حتى دخل في معارك بالاشتراك مع «براك بن عبد المحسن» عام

١٧٩٥ قرب الجهراء في الكويت - حيث قدم له «أمير الكويت الشيخ عبدالله بن صباح «كافة الامكانيات الحربية لنقل قسم كبير من قواته إلى الأحساء، إلا أن آل سعود استولوا عليها، فأصبحت الكويت عرضة للإعتداءات الوهابية العنيفة المباشرة بعد ذلك.

كما أن رؤساء بني خالد توجهوا إلى الأتراك عندما احتل سعود بن عبدالعزيز الأحساء والقطيف طالبين العون لإخراج الغزاة من بلادهم، فأعدوا لهم جيشاً كبيراً مكوناً من قوة عسكرية كردية ومن قبائل العراق وعلى رأسهم «الشيخ حمود» شيخ المنتفق - حيث تمكنوا من احتلال القطيف، إلا أن الجيش التركي انسحب بعد طول الحصار وتذمر الجنود وقد كان لتلك الهجمات والحملات ردود فعل عنيفة من قبل آل سعود، فقد كان ردهم قوياً وشديداً - إذ هاجموا مدينة كربلاء بالعراق في ١٨٠١م، فهدموا مساجدها ومآذنها وقبر الإمام الحسين عليه السلام وقتلوا الآلاف من سكانها الذكور - حوالي ٥٠٠ فرد بلارحمة، إذ كانت عادتهم تقضي بقتل كل من يقبض عليه مسلحاً، وأمضوا خمسة أيام في القتل والنهب، كما أنهم صادروا أموال المواطنين وأخذوا السبايا واستولوا على ماكان في قبة الإمام الحسين عليه السلام من التحف الثمينة والأحجار الكريمة، ثم قسموا الغنائم وعادوا إلى الدرعية.

وقد ذكر «صاحب كتاب أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» أنهم قتلوا خمسين شخصاً قرب الضريح وخمسمائة أخرين في الصحن خارج الضريح، ثم قتلوا كل من صادفوه وسرقوا كل دار دون رحمة لشيخ أو لطفل ولا احترام النساء، وهو يتهم حاكم البلدة «عمر آغا» الذي لم يقم بأي عمل أو حماية للناس تجاه هؤلاء الوحوش(١) -كما اتهم «ميرزا أبوطالب» حاكم البلدة أيضاً بالإهمال

---

(١) أربعة قرون من التاريخ الحديث، ص٢٦١.

والهرب من البلاد دون إيجاد حماية كافية للأفراد والأهالي.

إلا أن ذلك الحدث المفزع والمفجع أثار سخط إيران على باشوية بغداد مما جعل الباشا يرسل في (١٨٠٢م) حملة انتقامية ضدهم ولكن دون أن يحقق أية نتيجة.

ولكن ذلك العمل الأرهابي أحدث نقمة الكثير من أهل العراق، فتنكر أحد الأكراد كما قيل في زي الدراويش وسار إلى الدرعية ناسكاً معتنقاً لدعوتهم ظاهراً، وضامراً بالأنتقام من الأمير عبدالعزيز باطناً، فانتهز الفرصة وقتله أثناء الصلاة في (١٨٠٣م) إلا أن «جوهان لودفنج» ذكر بأن الأمير اغتيل بيد فارسي سبق أن قتل الوهابيون أقاربه.

ومع مرور الأعوام التالية تتغير الأوضاع في المنطقة وخاصة سنوات (١٨١٤م) حيث يظهر ضعف الدولة السعودية وينحضر نفوذها في الأحساء فقط نتيجة تأييد بعض العناصر المحلية لهم، وعندما تتقارب أعوام ١٨١٨ تتقدم جيوش الوالي المصري محمد علي باشا إلى المنطقة بأمر من الدولة العثمانية لتبيد الدرعية وتحتل أجزاء كبيرة من شبه الجزيرة العربية وتنتهي بذلك الدولة السعودية الأولى.

أما الإنجليز فقد أظهروا الفرح لتدمير الدرعية وتفرق الوهابيين، وخير مثل لموقفهم ما أعلنه (فرانسيس واردن)، مبيناً كره المسؤولين الإنجليز للدولة السلفية (هكذا قامت وهكذا سقطت وياليتها لاتقوم مرة أخرى، طائفة الوهابين الشادة التي شجعت وحمت القرصنة البحرية في الخليج والبحار الهندية بكل جرأة وبربرية). وما أرسل الحاكم البريطاني العام في الهند يهنيء «إبراهيم باشا» بنجاحه في مهمته. وماعبر عنه القنصل الإنجليزي في مصر عن سرور بلاده لسقوط الدرعية[1].

(١) راجع نصوص أقوالهم، ص٢٧٥، ص٢٧٦.

وأظهر شاه العجم أيضاً الفرح لسقوطها فأرسل عباس ميرزا إلى محمد علي بواسطة سفير العجم السيد/ علي خان يهنئه بهذه المناسبة واصفاً إياه (أنه الفاتح لحصون المفسدين، خلصت أرض نجد بالعز والمجد، فتحت باب الأمنية بفتح الدرعية، وبالغت في دفع البدع ونفي الدين المخترع وقطع دابر المفسدين، ونصر اسلام المسلمين، فاستقام الأمر بعد عوجه، وبدأ علو الدين وباد عدو المؤمنين. وأظهرنا نبذاً من سرور القلب ونشاط البال في استماع تلك الأخبار والأحوال) وبعث إليه هدايا كان منها سيفاً شاهانيا ملوكياً تاريخياً.

خامساً : مسألة البحرين وموقف بني خالد منها:

كان الشيخ «عبدالله بن أحمد» حاكم البحرين يخضع في حكمه لآل سعود، إذ أن الوهابيين منذ الفترة الأولى لظهورهم وبروزهم في المنطقة كانوا يتطلعون إلى الاستيلاء عليها، فقد نظروا إلى البحرين على أنها أرض شرك ورافضة لإعتناقهم المذهب الشيعي، ولذا فإن اخضاعها كان أمراً حتمياً للقضاء على ذلك المذهب من ناحية، ونشر المذهب الوهابي من جهة أخرى، فتمكنوا من الاستيلاء عليها بمساعدة «رحمة بن جابر» القرصان الكويتي الذي تحالف معهم أول الأمر ثم أنقلب عليهم وانضم إلى القوة المصرية الوافدة لمحاربة الوهابية، كما أن أفراداً من الهولة ساعدوهم في تقوية دعائم دولتهم.

إلا أن الشيخ عبدالله تخلى عنهم في ١٨٣٣ مؤيداً من القبائل المجاورة وخاصة من «عمير من بني خالد» الذين بدأوا في مضايقة آل سعود في الأحساء بتحريض من الشيخ المذكور، مما أدى إلى تجدد الخلاف بين الأمير «تركي بن عبدالله» أمير نجد وحاكم البحرين الذي أعد جيشاً بحرياً تمكن به من فتح دارين وتاروت، وحاصر «سيحات» حيث استمر الحصار أربعين يوماً هددها بخطر عظيم أشعر الأهالي أن مذهبهم الشيعي سيعرضهم للخطر السعودي إذا مافاز في

تلك المعارك القوية، فاستسلموا لآل خليفة عارضين عليه تسليم البلدة في مقابل تأمين أنفسهم وأموالهم، ولكن القتال استمر بين الجانبين ولم يوقفه سوى تعرض الأمير تركي للقتل بيد ابن أخته مشاري بن عبدالرحمن في نجد.

واستغل بنو خالد الوضع فثار جماعة من أهل جزيرة العماير وعمت الثورة القطيف مويدة من شيوخ البحرين - حيث سارع الشيخ عبدالله إلى محاصرة موانئ القطيف والعقير، كما نشط في نفس الوقت بنو خالد فهاجموا السعوديين، إلا أن الحاكم الوهابي «ابن عفيصان» تمكن من صدهم وإرغامهم إلى اللجوء إلى جزيرة تاروت في حماية ال خليفة، كما أن «فيصل بن تركي» انسحب إلى الأحساء ثم إلى الرياض ليتم انتقامه من قاتل أبيه.

ودخل في هذا الوقت عنصر جديد ليحول الأوضاع ويغيرها - فقد دخل الشيخ «محمد بن خليفة» في صراع على السلطة مع الشيخ «عبدالله بن أحمد» للإستيلاء على الحكم، واعتمد في موقفه على القرصان المشهور«حميد بن مجزل» أحد شيوخ بني خالد من العماير، فحاصروا موانئ القطيف والعقير في أعوام ١٨٤٥ - ١٨٤٦م، ولكن الشيخ القرصان تخلى عن تحالفه مع الشيخ محمد وانضم مع قبيلته إلى الجانب السعودي حيث تم التفاهم بينه وبين الأمير فيصل بن تركي فتمت التسوية بينهما في ١٨٤٧م.

إلا أن ذلك لم يؤثر على موقف الشيخ محمد بن خليفة حاكم البحرين الذي استمر في حصار الأحساء، فتوترت العلاقات بينه وبين فيصل بن تركي، الذي تقدم بالهجوم على البحرين، في الوقت الذي أعلن فيه الأهالي عن ولاءهم له، كما انضم إليه أبنآء الحاكم السابق «عبدالله بن أحمد» والذين كانوا قد التجأوا إلى جزيرة «كيش - قيس» فتوجهوا إلى القطيف للتعاون مع الأمير السعودي - حيث أسكنهم هذا في ميناء الدمام، الأمر الذي أقلق حاكم البحرين وتخوف من وجود هؤلاء قرب بلاده، وأثاره الأمير السعودي بتعيين «محمد بن عبدالله» أحد أبناء

الشيخ السابق أميراً على الدمام في محاولة منه لإرهاب حاكم البحرين وتخويفه من ناحية، وبيان قدرته وقوة امكانياته في السيطرة والاستيلاء على بلاده من ناحية أخرى.

وكانت هذه الظروف والأحداث القاسية كافية كدافع أساس ومبرر مرغوب أن يطلب الشيخ «محمد» الحماية من الفرس والعثمانيين وسلطان مسقط وعباس باشا حاكم مصر في ١٨٦٠، كما أنها كانت فرصة لتدخل الإنجليز. وقد رحب شاه فارس بطلبه ووعده بتقديم المساعدة اللازمة والمطلوبة ومساندته أمام التدخل السعودي. وأنذر المقيم البريطاني في بوشهر «محمد بن عبدالله» أمير الدمام بالانسحاب من الأحساء وسواحل الخليج مهدداً اياه باستخدام القوة العكسرية ولكنه لم يستجب للموقف ولم يقدر الأوضاع المتغيرة، فأرسل الإنجليز قوة بحرية إلى الدمام قصفت الموانئ بالمدافع في ١٨٦١ مما أجبره على التراجع والهروب مع اتباعه، دون أن يعارض الأمير السعودي هذا الموقف قبل الانجليز.

وفي ١٨٦٥ تسلم «عبدالله بن فيصل» الحكم، فقامت بريطانيا ثانية بقصف القطيف في ١٨٦٦ بعد أن قامت بعض القبائل اثارة الاضطراب والقلق ضد سلطنة عمان وقتل أحد رعايا الانجليز - مما دعا الأمير أن يطلب من الوالي العثماني في بغداد أن يساعده ضد اعتداءات الانجليز، وكانت فرصة طيبة للدولة العثمانية تتمناها للتدخل في الأحساء والسيطرة عليها، إلا أن الأمير «عبدالله» تخوف من ذلك، فعقد صلحاً مع الانجليز، ليبعد الخطر العثماني عنه.

أما النتائج التي ترتبت على كل تلك الأحداث، فقد هرب «محمد بن خليفة» لاجئاً إلى الكويت، مما مكن «علي بن خليفة» للتسلط على حكم البحرين، دون أن يتراجع عن موقفه عندما طلب منه ذلك الشيخ «محمد» الذي رغب في الرجوع إلى بلاده، مما اصطره إلى السير نحو دارين والقطيف، والاتفاق مع قبائل الأحساء خاصة مع بني هاجر للهجوم على البحرين. ففي عام

١٨٦٩ توجه في قوارب مسلحة واشتبك في معارك قتل فيها الحاكم «الشيخ علي» فاحتل «الشيخ محمد» المنامة والمحرق، إلا أن ذلك لم يعجب بريطانيا التي تدخلت في الأحداث، فقبضت على الشيخ «محمد بن خليفة» وأعوانه لينتقلوا منفيين إلى بومباي في الهند، وأنذرت آل سعود وحملتهم مسئولية ماجرى من أحداث موضحة بأن الأرض والأفراد الذين اشتركوا في تلك المعارك كانوا من الأحساء، إذ أن الشيخ محمد هاجم البحرين من أراضي الأحساء، كما أن القبيلة التي اشتركت معهم كانت من الأحساء، والقادة المعارضين التجأوا إليها أيضاً.

ومن كل تلك الأحداث والوقائع، يمكن أن نستنتج أن بني خالد دولة وأفراداً، حاولوا بكل مالديهم من طاقات وامكانات، المحافظة على وجودهم في الأحساء والاستمرار في حكمها، إلا أن الأوضاع السياسية المضطربة والمتلاحقة في المنطقة، لم تمنحهم الفرصة لإكمال مسيرتهم، بالبقاء كدولة من دول الخليج التي استمرت في حياتها السياسية منذ تلك الفترة وحتى الوقت الحاضر.

وسنعرض في الفصول القادمة، التطورات الجديدة التي جرت في المنطقة بعد انتهاء دولة بني خالد في الأحساء.

الباب الرابع

النشـــاط الاقتصـــادي وأثـره في ازدهار المنطقـة

الفصل الثاني عشر

تطور الوضع التجاري والزراعـي والصناعي وأثره في حياة السكان

أثبت طريق الخليج العربي فعاليته التجارية والاقتصادية منذ آلاف السنين، فقد تميزت منطقة الأحساء بالنشاط التجاري منذ فجر الحضارة فيها، إذ تزامنت الملاحة التجارية فيها مع تلك الفترة المبكرة، فقد كان السكان أول الأمم التي مارست الملاحة والسفر والتجارة في البحر العربي والمحيط الهندي، وأول من استورد المنتجات الشرقية لحساب الأمم الأخرى، مما كان له أثره الإيجابي في حياة السكان وعاملاً لقيام ونشأة مراكز حضارية وتجارية هامة على سواحلها مثل الجرها والبحرين وفيلكا.

وقد اعتبر طريق الخليج أقدم من طريق البحري الأحمر، إذ تأكد أن الرحلات البحرية البعيدة المدى عبر ساحل الخليج وشبه جزيرة العرب كانت مألوفة خلال الفترة الألفية الثالثة ق.م. الأمر الذي يؤكد قوة حركة المواصلات البحرية أو البرية فيما بين السواحل الشمالية للهند ودلتا شط العرب في فترة سابقة من التاريخ، فقد أبرزت كتابات المؤرخين ومراجع المعلومات أن مدينة بابل كانت مركزاً لاستقبال السلع والمنتجات الواردة من الجنوب عن طريق الخليج العربي، أي القادمة إليها من الهند وشبه جزيرة العرب، كما جاء في تلك المصادر التاريخية أن الصلات التجارية لعبت دوراً بارزاً في مجال العلاقات بين منطقة الخليج ووادي السند والرافدين خلال الألف الثالث والثاني ق.م. التي أثرت بدورها في إيجاد الصلات السياسية والفكرية والاجتماعية بينها واستمرارها، أكدتها الوثائق والكتابات والمراسلات التجارية والمخلفات الأثرية.

فعندما نطالع أخبار الفنيقيين الذي هاجروا من سواحل الأحساء إلى سواحل الشام وسكنوا في شريط ضيق بين البحر والجبال، مؤلفين مجتمعات صغيرة، واشتهروا بحب السلام الذي يدعم النشاط التجاري ويعين في ازدهاره، فقد انصرفوا للتجارة بحكم مواقعهم على الشاطئ وبرعوا في مجال الصيد وصناعة الزوارق من خشب الأرز، وتواصلوا في صناعتها إلى أرقى مستوى لها من حيث

قوتها وضخامتها حتى صنعوا ماخرة المحيطات منذ ١٤٠٠ق. م. مما جعلهم أفضل الوسطاء بين الأطراف التجارية المختلفة في الشرق والغرب، وفي الأتصال بالأمم الأخرى، حيث انتشروا في البحر المتوسط وسيطروا على تجارته حتى أطلق عليه بحيرة فينيقية قبل الأغريق والرومان بزمن طويل.

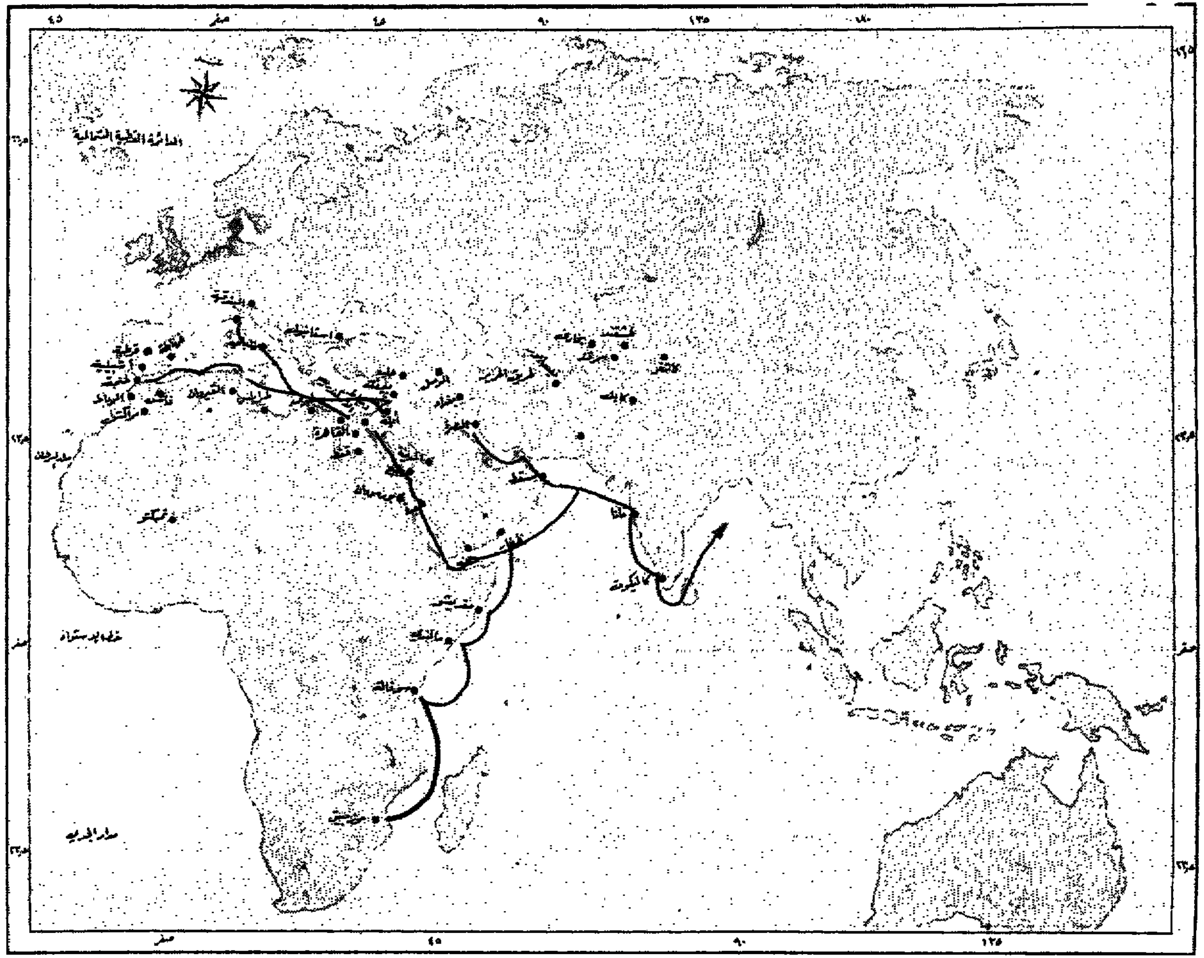
لقد اعتبر هؤلاء الفينيقيون أول أمة بحريه في العالم، وأولها في الجمع بين النشاط البحري والبري، وأولها في الدوران حول أفريقيا عن طريق رأس الرجاء الصالح قبل أن يعرف ذلك البرتغاليون بألفي عام، فضلاً عن شهرتهم بالأساليب التجارية وفي إنشاء المحطات التجارية في مناطقهم الداخلية، والتواصل بين موانيهم وبين تلك المراكز التجارية العالمية التي أقاموها في الخليج بمواصلات برية منظمة، فقد ذكرت المصادر عن تجارة الشام مع الخليج قديماً أن أسفار أهالي صور في (٩٧٥ق. م) قد امتدت إلى الخليج والهند، وتوسعوا في تجارتهم فنقلوا جملة أصناف عالية القيمة من الهند إلى جميع الأقطار.

لقد ساد الاعتقاد لدى معظم الباحثين والمؤرخين أن الأحساء أو البحرين هي الموطن الأول والأصلي لهؤلاء الشعوب، وإذا كان الأمر كذلك، فإنهم يعتبرون بلاشك أجداد أهالي هذه المنطقة، كما ذكرت الأخبار أن مدائن الكنعانيين كانت على سواحل الخليج العربي في إقليم بلاد العرب المعروف الآن باسم البحرين والقطيف(١).

إن أهالي وسكان هذه البلاد كانوا يعيشون على الساحل فاستغلوا بذلك البحر فاتخذوا من جذوع الأشجار سفناً لركوب البحر، والتي كانت النواة الأولى في تطور بناء السفن الشراعية، استخدمها سكان ساحل الأحساء للصيد والتجارة منذ أربعة الاف عام ق. م. فيذكر «أمين الريحاني» موضحاً هذا الجانب في كتابه

---

(١) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين ١٩١٥م، مجلد٧، ص٥٩.


الدائرة القطبية الشمالية
مدار السرطان
خط الاستواء
مدار الجدي
القاهرة
كاليكوت

«ملوك العرب» (أن بعض المؤرخين يعتبرون خليج العجم مهد الحضارة بل مهد الجنس البشري وأن سكانها الأقدمين أي سكان الجزر فيه، هم أول من رفعوا شراعاً في البحار واقتحموا أخطار الأسفار فمارسوا الملاحة وأتقنوا علمها فكانوا الصلة العامة بين الشرق والغرب[1].

وبذلك يمكن القول إن الملاحة في الخليج كانت بيد العرب فعليا طوال الفترة التاريخية القديمة، واعتبار دور البابليين والآشورين وسطاء تجاريين في استقبال السلع والمنتجات التي يأتي بها هؤلاء العرب إلى مناطقهم.

فقد جاء أن «سرجون الأكدي» قد تاجر مع الجزء الجنوبي الشرقي لجزيرة العرب، أي مع مجان وهي عمان، وكذلك مع دلمون، جزر البحرين، ولما ظهر الجوتيون -الكوتيون- فإنهم قضوا على مواطن الآكاديين حيث عمل أميرهم «جوديه» منذ أيام أسرة أور الثالثة على تقوية النشاط التجاري الذي امتد إلى البحرين والطرف الجنوبي لشبه جزيرة العرب، وإلى شمال سوريا وعيلام، في الألف الثلاثة ق.م. وأما في الفترة مابين القرنيين (٦، ٤ق.م) فإن حركة الملاحة في الخليج قد أصيبت بنكسة منذ بروز الأمبراطورية الفارسية، إلا أنها نشطت ابتداء من أواخر القرن (٤ق.م) بعد موت الأسكندر الأكبر، فازدادت حركة التبادل التجاري والملاحي فيما بين موانيئ الخليج والهند وشرق أفريقيا، وذلك على الرغم من أن فكرة السيطرة على الشواطئ الشرقية قد تلاشت بعد موته، إلا أن علاقات الأغريق التجارية والصلات الملاحية مع الشرق قد اتسعت، فتعرفوا على الطرق التجارية والبحرية، وأنشأوا المؤسسات التجارية للتعامل مع الهند وسواحل الخليج، أكدها توافر عدة محطات تجارية لهم في الكويت مثل (فيلكا) وفي البحرين، وتحولها إلى مراكز لتبادل السلع مع سكان المناطق المجاورة،

(١) قدري قلعجي: الخليج العربي، ص٦٥.

شجعهم بعدئذ إلى التفكير في الاقامة في تلك المناطق، إلا أو الوضع تغير بعد ظهور الرومان وتأسيس أمبراطوريتهم في الشرق والغرب، حيث تحولت السيطرة الملاحية والتجارية إلى البحر الأحمر في القرن الأول الميلادي، إذ اعتبر الطريق الرئيسي للمواصلات والاتصلات بين الشرق والغرب إلى القرن (٦م)، مما أدى إلى التقليل من أهمية الطرق العربية وضعف شأن موانئ الخليج التي كان تغذيها بالتجارة، على الرغم من أن الأمبراطور الروماني «أغسطس» (٢٧ق. م. -١٤م) الذي سيطر على مصر، حاول الاستيلاء على بلاد العرب أي اليمن لشهرتها بتجارة التوابل، وللسيطرة على تجارتها بين الهند والبحر المتوسط لتمر عن طريق البحر الأحمر، فأمروا إليه بمصر «ايليوس جاللوس» في ٢٥ ق. م. بإعداد قوات ضخمة تتجه إلى ساحل شبه جزيرة العرب عن طريق البحر الأحمر، إلا أنه فشل في الإستيلاء على اليمن، ولكنه تمكن من السيطرة على تجارة الهند عن طريق مصر.

أما في القرن (٣م) عند قيام الدولة الساسانية في (٢٢٥م) فقد نشطت الحركة الملاحية على الساحل الشرقي للخليج فتأسست عدة موانيء بحرية ساعدت على التبادل التجاري بين فارس وشرق أفريقيا.

كما أنه عند قيام الدولة الاسلامية، تعود أهمية المنطقة تجارياً، وتنشط موانيها في هذه الفترة فتبرز منها البحرين، سيراف - عمان - هجر، إلا أن الوضع يعود إلى ماكان عليه الحال أيام الرومان حينما يسيطر البحر الأحمر فتضعف قيمة موانئ ساحل الخليج مرة أخرى، أيام المماليك فتتحول طرق التجارة البحرية منها إلى البحر الأحمر، ويستمر الوضع على ذلك حتى بدايات القرن (١٦م) عندما تبرز الدولة العثمانية وتنشط فعالياتها في إنشاء إمبراطورية تدخل ضمنها دول المشرق في مصر والشام ودول عربية أخرى، ويتزامن ذلك مع نشاط الأوروبيين الاكتشافي والاستعماري، فتصل أعمالهم التوسعية والحربية

والمنافسات الاقتصادية إلى الخليج وكياناته السياسية، الأمر الذي يعطي الاهتمام لموانيء الخليج على ساحل الأحساء من جديد وبخاصة حينما تنافست تلك القوى السياسية على الاستحواذ عليها والسيطرة على منافعها واتخاذها مقرات تجارية ومراكز استراتيجية عسكرية، فيعود إليها النشاط التجاري منذ هذا الوقت إلى الأوقات المعاصرة.

هذا ماكان من أهمية الطرق البحريه وتجارتها وموانئ ساحل الخليج، وأما عن الطرق البرية وتجارتها، فقد سلكت القوافل العربية عدة طرق ومراكز كان أهمها طريق حضرموت حيث كان يتم شحن القوافل باللبان والمرفي العاصمة سبأ ومنها تتحرك إلى اتجاهين: يبدأ الأول منها عن طريق مأرب ومكه إلى أروم ومصر، والثاني يتجه عبر اليمامه إلى «غرة» أو القطيف، حيث كان يتم إضافة سلع أخرى لتغادر القوافل منها إلى بابل وجهات أخرى.

ويحتمل أن يكون ميناء غرة هو ميناء ديدان الذي جاء في سفر التكوين، وربما يقع في نفس المنطقة التي تحتلها مدينة الأحساء حالياً، وهي المجاورة للبحرين، ومن المحتمل أن تكون هذه التسمية قد أطلقت على تلك المنطقة بعد وصول قبيلة غرة واستقرارها فيها، أو لعلها هي التي أطلق عليها تلك التسمية. وكانت تفرغ فيها السلع الواردة من الشرق ليعاد تصديريها منها إلى فلسطين ومصر.

كان اليمنيون الذين اشتهروا بالنشاط التجاري في نقل متاجر الشرق إلى سواحل الشام استخدموا في نقل بضائعهم إلى تلك الجهات طريقين هامين:

١ - طريق يسير من عمان أو حضرموت فيتجه شمالاً عبر باديه الدهناء حتى يصل الخليج ويمر بمرفأ جرها Gurha العقير، ثم إلى نجد وإلى الحجاز فالشام ومصر.

٢ - **وطريق يبدأ من مسقط إلى حضرموت فشمالاً حتى خليج العقبه إلى البتراء فمعان.**

كما أن هناك طرقاً تجارية قديمة شهيرة اتخذت القوافل من جرها كمركز لتسير في اتجاهين :

١ - **طريق جرها -مأرب، فيبدأ منها الطريق على الخليج إلى واحة الهفوف ثم إلى اليمامة ثم وادي الأفلاج فوادي الدواسر إلى وادي نجران إلى مأرب.**

٢ - **طريق جرها - البتراء، الذي يبدأ منها شرقاً إلى الهفوف ثم إلى شمال اليمامة فغرباً إلى بريدة وحائل وتيماء ومنها إلى بتراء.**

إن جرها - العقير أو القطيف، برزت من بين موانئ الخليج في التجارة الحرة فكانت أهم مراكز على الخليج وأهم مركز تجاري يشكل الوصلة الرئيسية بين الهند ومملكة (سلوكية) في سوريا، مما مكنها من السيطرة على الساحل الغربي للخليج وعلى طرق القوافل الرئيسية في ذلك الجزء من الجزيرة العربية، حتى نمت تجارياً فأصبحت من الأسواق التجارية الهامة، وملتقى تيارات تجارية برية وبحرية، جعلها تحصل على مقادير خيالية من الثروة والأموال من ذهب وفضة وكل حجر كريم، فقد أدت زيادة النشاط التجاري إلى أن تصب الثروة والرخاء إلى العواصم الكبرى في العراق وسوريا وتدمر. التي أنشأها الملك سليمان عليه السلام وبعلبك وغيرها من المدن، التي يعود الفضل في ازدهارها وعلو مركزها إلى تجارة الشرق. لقد استوردت تلك الشعوب من أهل الأحساء، الذهب والحجارة لصنع التماثيل، والأخشاب لبناء المعابد، من دلمون وملوخا ومجان، التي يرى كثير من العلماء أنها تقع في ساحل الأحساء، حيث ذكر بعض الباحثين أن (مجان) في

المنطقة المسماة جرها وهي الاحساء، و(ملوخا) تمتد من جنوب البحرين إلى عمان وهي التي اشتهرت بالذهب، وقد ذكرها استرابون الاغريقي (٦٤ق. م. -٢١م) في حديثه عن الخليج العربي، أنها تقع على خليج عميق، تاجر أهلها بالطيب والمر والبخور تحملها قوافلهم بالطرق البرية وبالبحر إلى بابل. كما ذكرها كثير من الكتاب الذين عاشوا قبل الميلاد بمائتي عام ووصفوها بأنها مركز خطير للتجارة وسوق هامة في بلاد العرب، وملتقى طرق القوافل القادمة من الجنوب العربي ومن الحجاز والشام ومصر، وكذلك سوق للتجارة البحرية، ممايرد من أسواق الشاطئ الشرقي لأفريقيا والهند والساحل الجنوبي للجزيرة العربية، لتتم اعادة تصدير السلع والبضائع إلى الزسواق الأخرى براً إلى البحر المتوسط ومصر أو إلى العراق والشام. فهي تعد أكبر سوق للوساطة - (ترانزيت)- تصدر وتستورد لتحصل من ذلك المال الوفير[1].

أما في الفترة الإسلامية، فقد تميزت العلاقات الهجرية الحجازية اقتصادياً حيث قويت تلك العلاقات التجارية. فقد كانت مكة تعمل كواسطة عقد للتجارة بينها وبين الحبشة، فتحمل كنوزها إلى القطيف لتنقلها القوارب مع اللؤلؤ المتوفر هناك إلى الفرات وجهات أخرى. كما أنه كان لتجار (دارين) جالية كبيرةفي الحجاز قدر عددها بالمدينة المنور بأربعمائة ٤٠٠ رجل تاجروا بالعطور. وتذكر المصادر أن هذه الجالية اشتركت في مقاومة جيش يزيد بن معاوية الذي قدم للقضاء على ثورة أهل المدينة والمعارضين لحكمه فتخلصت منهم في موقعة الحرة التي انتهت بعد أعمال العنف والقتل بفرض غرامة مالية كبيرة على هؤلاء التجار بلغت أربعين ألف درهم عقاباً لهم على اشتراكهم في تلك الثورة[2].

---

(١) هذا يعني أن المنطقة كانت تعمل بتجارة الترانزيت منذ تلك الفترة المبكرة وحتى الوقت الحالي.

(٢) ممايدل على ثراء أهل الأحساء منذ ذلك الوقت.

ومما يوضح التعامل التجاري النشط في المنطقة، ظهور نقود تاريخية مختلفة ترجع إلى عصور مختلفة - فقد وجدت نقود يونانية ورومانية ترجع إلى القرن (٤ق.م.) سكت بعضها في الجرعاء وفي هجر الأحساء وفيلكا الكويت، كما ظهرت دراهم ساسانية في دارين والظهران يرجع بعضها إلى عهد هرمز الرابع (٥٧٩م) وقطع أخرى ترجع إلى عهد كسرى الثاني (٥٩٠-٦٣٢م) مما يؤكد الصلات التجارية بين مدن المنطقة ومراكزها. كما وجدت أيضاً عملات قرمطية وسلغرية في البحرين، ونقدان فضيان عثر عليهما في هجر تم ضرب أحدهما في برقان الكويت عام ٩٦٤م - ٣٥٤هـ، باسم الحاكم البويهي «عضد الدولة». ومما هو جدير بالملاحظة أن وجود هذه العملات في أراضي الأحساء لايؤكد تبعيتها لتلك الدول - بل إلى النشاط التجاري الذي كان يزاوله أفرادها مع تلك الأقطار.

وقد وجدت عملات محلية سكت في الأحساء اشتهر منها، الطويلة وهي قد تكون فضة أو نحاساً، وهي تساوي ١/ ٧٥دولار نمساوي. وعملة أخرى تسمى «زر» استعملت حتى أواخر القرن ١٣هـ وأخرى سميت محمدية -النبتو- مردوف. وقد استخدمت بعضها كالطويلة حتى أيام الملك عبدالعزيز بن سعود في أوائل القرن العشرين.

لقد تطلبت تلك الأعمال التجارية النشطة البرية منها والبحرية، والحركة الاقتصادية القوية بإيجاد أسواق تعرض فيها السلع والبضائع ليتم التبادل التجاري بين الأطراف التجارية المختلفة، فظهرت أسواق للعرب اشتهرت وذاع صيتها، يجتمعون بها لعرض المنتجات والمعاملات التجارية، ويأتي إليها سائر الناس، حيث يؤمّنون فيها على دمائهم وأمواله، وبرز من تلك الأسواق في المنطقة.

- **سوق حَجْر ويسمى سوق اليمامة، وهي من أسواق العرب الشهيرة، يعتبر سوق العرب جمعاء، يعقد في يوم عاشوراء من العاشر من محرم حتى آخر الشهر. ويقام فيه بجانب**

البيع والشراء المفاخرة وإنشاد الشعر، وقد استمر هذا السوق حتى آخر العهد الأموي. وعرف عندهم في هذا الوقت الصيارفة والسماسرة.

- **سوق المشقّر بهجر، وكان حصناً لعبد القيس قريب من هجر، يقوم سوقها في جمادى الأولى، ويشرف عليها بنو تميم رهط المنذر بن ساوي. كما أرتداها سكان الجهات الشرقية والغربية من شبه الجزيرة العربية، وكذلك تجار الهند وفارس، وقد حمى المشقر حصن قديم اعتبر من الحصون التي تحمي قرى ساحل الخليج من الأعراب المغيرين.**
- **سوق هجر، ويعقد في ربيع الآخر، ارتاده معظم التجار المذكورين سابقاً، وقد تلقب رؤساء تميم بالملوك وساروا في معاملتهم في السوق سيرتهم في أخذ العشر.**

وقصد تلك الأسواق أحياء من العرب من مختلف أنحاء الجزيرة العربية، فما دامت أرض هجر وموضع المشقر تعجب بعض هؤلاء الأغراب فإنهم يبقون فيها ولا يرتحلون عنها - ولذا صارت بهجر طوائف من كل حي من العرب وغيرهم.

ومما ذكر عن أسواق الجاهلية أنها تحددت في ثلاثة :

١ - **أسواق خاضعة لنفوذ أجنبي تدار بنظم خاصة، وتتضائل فيها الصبغة العربية، ومثلتها أسواق هجر والبحرين وعمان.**

٢ - **أسواق أنشأتها العرب أنفسهم بحكم الحاجة مثل سوق عكاظ.**

٣ - **أسواق ذات صبغة مختلفة واقعة على البحر ذات موقع جغرافي مثل عدن وصحار ودبي.**

كما اشتهر عن تلك الأسواق بعض الأنظمة والقواعد، منها، أنه كان في العرب قوم يستحلون المظالم إذا حضروا هذه الأسواق فسموا «المحلون» وكان فيهم من ينكر ذلك فينصب نفسه لنصرة المظلوم ومنع سفك الدماء وارتكاب المنكر فسموا «الذادة المحرمون».

واشتهر من المحلين: قبائل طئ وأسد، وأما الذادة المحرمون فكانوا من بني عمرو بن تميم وبني حنظلة بن زيد بن مناة، وقوم من هذيل ومن بني شيبان، ومن بني كلب بن وبرة. وكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس، إلا أن العرب جميعاً بين هؤلاء تضع أسلحتهم في الأشهر الحرم.

أما في الجانب الزراعي والصناعي، فقد تركزت الزراعة في الأراضي الخصبة حول البحرين الأوسط، حيث واحات الهفوف والقطيف وجزيرة أوال التي اعتمدت على النشاط الزراعي بجانب الأنشطة الاقتصادية الأخرى من صيد اللؤلؤ وصناعته. وقد ساعد في نمو الزراعة توافر المياه في المنطقة، فمن تعاريف الأحساء، أنها «الماء الذي تمتصه الأرض من الرمل، فإذا صار إلى أرض ليست رملية أمسكته، فتحفر العرب عنه الرمل وتستخرجه»، ولذا أطلق عليها اسم الأحساء(١) لكثرة الأحساء فيها، لشهرتها بتوافر المياه والينابيع الكثيرة، فجعلت من المنطقة كلها أهم الواحات في الجزيرة العربية. فالحسي سهل من الأرض يستنقع فيه الماء أو غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر.

وقد أكد أهمية المنطقة زراعياً، كثير من الجغرافيين والرحالة حين وصفوها في كتبهم ومذكراته، فقد جاء عندهم أن أهالي البحرين امتلكوا كثيراً من الإبل ومزارع النخيل حيث زرع نوع من التمر يسمى الأنابيج يستخرج منه نوع من

(١) الأحساء: جمع حسي، وهو رمل تحته صلابة، فإذا أمطرت نزل الماء فحفظته الصلابة من أن يفيض، ومنعه الرمل ومن أن يجف، فإذا بحث في ذلك الرمل أصيب الماء.

الشراب يمكنه أن يغير اللون الأصفر إلى اللون الأبيض، وأن فيها مصادر مياه كثيرة عذبة بعضها كالشلالات الصغيرة، ولديهم طاقة لإدارة الرحى، كما جاء ذلك في وصف «ناصري إدريس». وقال عنها «ابن بطوطه»، إنها مدينة كبيرة حسنة فيها بساتين وأشجار وأنها وحدائق النخل والرمان والأترج، كما زرع بها القطن، وأن التجار يفدون إليها من جميع أنحاء الأرض.

وعن الأحساء ذكر «ناصر خسرو» أنها تصدر نوعاً من الفوط والسلع إلى البصرة، ويباع فيها كل أنواع لحوم الحيوانات كالبقر والخراف ويعرضون رأس الحيوان المذبوح وجلده أمام اللحم حتى يعرف الناس نوع اللحم الذي يشترونه، وكانوا يربون الخراف حتى تسمن إلى درجة أنها لاتستطيع الحركة فيتم عند ذلك ذبحها.

وعن الزراعة، قرر أن الأحساء كانت مليئة بأشجار البلح إلى الحد الذي يقدم جزء منه كعلف للحيوان لتسمينه، وخص القطيف بتوافر أشجار النخيل وكثرتها.

وقد قارن بعضهم المنطقة بالأجزاء الأخرى المجاورة، فذكر أن بلاد العرب ليست كلها صحراوية، بل فيها مايحوي أراضي زراعية غاية في الخصب تزرع منذ آلاف السنين، كما أنه فيها مدن وقرى آهلة بالسكان تمتد على السواحل بموجه عام، فإذا كان في الجنوب الغربي بلاد اليمن، وفي الجنوب بلاد حضرموت، ففي الشرق تبرز الأحساء الخصبة على الخليج والتي كانت جميع أراضيها صالحة للزراعة، ثم تليها اليمامة الواقعة في الجنوب الشرقي.

فالأحساء واليمامة كانت تسدان حاجة العرب من القمح والشعير وغيرها، حيث أنهما في القرنين (٦، ٧) لم تكونا أقل خصوبة من أراضي أوروبا الخصبة اليوم.

وقد وصف (بالجريف) الأحساء حينما زارهما في (١٨٦٢م) بأنها سحرته بمناظرها الطبيعية الخلابة وأعجب بها لتوافر المياه وأفضل أشجار النخيل في بلاد العرب.

كما عرفت اليمامة أنها من أبرز المستوطنات التي ظهرت في باطن جزيرة العرب حيث ساعدت المياه فيها على الاهتمام بالزراعة وأشجار النخيل والحبوب، وتربية الماشية، وهي لاتقل عن المدينة ومكه في ذلك، إذ إنها بالإضافة إلى البحرين وهجر لم تكن أقل درجة منهما في المال والتجارة والإنتاج الزراعي إن لم تكن قد تفوقت عليهما. فقد أعتبرت تلك الأراضي ريفا لأهل مكة تمونهم بالحبوب وسوقاً للأعراب تمدهم بالتمور. وقد جاء في وصف أراضيها الخصبة: أنها كانت أحسن بلاد الله أرضاً وأكثرها خيراً وشجراً ونخيلاً من سائر بلاد الحجاز، ولولاها لما عاشت مكة برخاء، ويوضح ذلك جيداً موقف «ثمامة بن أثال النعمان الحنفي» سيد أهل اليمامة حينما منع تصدير المنتجات الغذائية إلى مكه فأثر ذلك في حياتهم وأضرهم، وطالبوه بفك الحصار عنهم، وتقديم الشكوى لرسول الله ﷺ فكتب إليه أن «خل بين قومي وبين ميرتهم» فاستراحوا حين عادت إليهم أقواتهم.

وعلى الرغم من أهمية الزراعة وتوافر انتاجها، فإنه لم يكن بالمنطقة ملاكين زراعيين كبار على نحو ماكان في اليمن أو جنوب الجزيرة العربية، وذلك لصغر مساحة الأرض المزروعة، فلم يتواجد في أرض العروض عموماً مزارعون كبار لديهم العدد الكبير من الفلاحين والرقيق، إلا ماكان في أيام القرامطة.

أما الموارد الأخرى الأقتصادية التي اشتهر بها أهل المنطقة، فهي استخراج اللؤلؤ من باطن البحار وصناعته، وصناعة المعاون المختلفة الأخرى، كما جاء في وصف «شمس الدين الدمشقي» حينما تناول بحر فارس بقوله: إنه بحر مبارك مأمون كثير الخير فيه مغاص اللؤلؤ الصافي والدر الجيد ومعادن العقيق والذهب

والفضة والحديد وأنواع الطيب والبهار. وشرح «إبن بطوطة» الغوص وتجارة اللؤلؤ في الخليج، فذكر أن مغاص اللؤلؤ تركز فيما بين سيراف والبحرين في خور راكد مثل الوادي العظيم، وتحمل القوارب تجار الفرس والبحرين والقطيف يشترون مايستخرجه الغواصون.

وقد امتد الحوض الشهير باللؤلؤ من حدود الكويت حتى الشارقة حيث كان مجالاً لنشاط صيد اللؤلؤ منذ فجر التاريخ، وهو حوض هام وفير الإنتاج، تمتع كل سكان ساحل الخليج بحق الغوص فيه، وهم سكان الأحساء والبحرين الذين امتد مجالهم حتى القطيف.

وقد كانت صناعته مورداً أساسياً لسكان الساحل الغربي، حيث اعتبر أغنى الأحواض، كما قد جاء في صفة جزيرة العرب، أن بها كثيراً من مناجم الذهب، فذكر الهمداني أصناف معادنها:

معدن الحسن أو الأحسن، وهو معدن من ذهب غزير، ومعدن الحفير بناحية عماية، ومعدن الضبيب عن يسار هضبة القليب، ومعدن بيشه، ومعدن الهجيرة، ومعدن بني سليم، وهي معادن لنجد. لقد عرف في الواقع أهل السواحل البحر فاستغلوا ثروته وتعاملوا مع أهل السفن والاتجار مع السواحل المقابلة، فباعوا واشتروا في أسواقها، فأظهر السكان نشاطاً ملحوظاً في ركوب البحر لم يوجد مثله عند أهل السواحل الغربية (البحر الأحمر).

وقد ظهر من أقوال هؤلاء الكتاب والجغرافيين مدى أهمية الأحساء الإقتصادية، حيث تميزت بجانب تلك الموارد بالصناعات والحرف اليدوية والأدوات النحاسية الخاصة بعمل القهوة العربية، والمنسوجات الصوفية كالعباءة، والأدوات الفخارية لحفظ المياه والطعام، وتعدين الأحجار، والسلال من جريد النخيل، والحبال من أليافه، والصناعات الخشبية من جذوعه، وعمل الأبواب

والنوافذ وسروج الأبل والصناعات الجلدية كالخف والمدس والصنادل[1] بالإضافة إلى صناعة الحلي من الذهب والفضة.

كما أنها فاقت شهرة في صناعة الأسلحة التي تميز بها العالم الإسلامي باسم أماكن صنعها، مثل السيوف الحنيفية التي صنعت في الحجر عاصمة بني حنيفة في اليمامة، والرماح الخطية التي صنعت في الخط وكانت من أجود الرماح المعروفة في ذلك الوقت، حيث استخدم في سلاح الفرسان والمشاة. وقد اشتهرت هجر بصناعة المنسوجات، التي تميزت بصناعة الثياب والملابس الفاخرة التي تستحق الإهداء، فقد أجاز «هوذه بن علي الحنفي» أمير هجر، المبعوث والمندوب الذي أرسله النبي ﷺ إليه وهو «سليط بن عمرو العامري» بجائزة وكساه أثواباً من نسيج هجر[2].

ونحن يمكننا معرفة وتأكيد مدى القوة الاقتصادية وازدهارها في الأحساء، مما أرسله عمال الرسول ﷺ والخلفاء، من صدقات وزكاة إلى المدينة العاصمة، مما يدل تماماً على وجود أعمال وتجارة وصناعة وزراعة فاقت أرباح وأعمال مكة، وإذا لم نكن نعرف عنها شيئاً كثيراً، فيرجع ذلك إلى عدم اهتمام المؤرخين بأخبارها في الجاهلية أو لعدم الاعتناء بها في الإسلام.

ويمكن توضيح حياة السكان الاقتصادية حينما نرى أنهم استمروا في استخدام تلك الأساليب والموارد منذ أن وجدوا في المنطقة واستمروا فيها حتى العصور الحديثة، ولم تتغير إلا في القرن العشرين الحالي عندما تغيرت الأوضاع باندلاع مورد جديد كان له الأثر القوي المباشر في تغيير أحوال السكان والمجتمعات التي عاشت في المنطقة عموماً. لقد استمر استغلالهم للبحر في الصيد بأنواعه، وصناعة السفن واستخداماتها المتنوعة، فظهر بينهم أفراد تفننوا في صناعة

---

(١) اشتهر بنو نمير بصناعة النعال.

(٢) ذكر عن أثاث البيت الذي جهزة الإمام علي عليه السلام لزوجته فاطمة الزهراء عليها السلام أن من بينها كان حصيرا هجريا، مصنوع في هجر.

الأدوات والأجهزة والوسائل التي تستخدم في المعيشة، كصناعة السفن واللؤلؤ، والصناعات اليدوية، والعمل كتجار مهرة مع الجهات البعيدة بحراً وبراً.

وإذا كانت العوامل والأسباب قد ساعدتهم في الماضي للاستفادة من البحر والبر لتطوير حياتهم ومجتمعهم، فإن هناك عوامل وأسباب ساعدتهم أيضاً في الارتقاء بالمعيشة خلال العصور الحديثة، ومثلما تكونت في الماضي دول وممالك ومدن كثيرة في المنطقة، فإنه ظهرت قوى سياسية وكيانات جديدة صغيرة في المنطقة الشاسعة من أراضي دولة بني خالد منذ القرن (١٧م) فنمت وازدهرت وتطورت بفعل عوامل وأسباب جديدة، كان أهمها:

- **موقعها المتميز على البحر مما جعل موانيها تنشط في العمل التجاري، كما أن وجودها على الطريق التجاري الصحراوي بين الخليج والشام أعطاها ميزة أخرى هامة.**
- **وقوعها ضمن النفوذ الخالدي الذي حرص أمراؤه على استتباب الأمن مما ساعد على أزدهار التجارة التي كانت الركن الأساسي في نهضتها.**
- **ضعف القوى الخارجية المحيطة بها كالفرس والترك نتيجة تطاحنهما في حروب مستمرة منذ القرن (١٦م) أتاح لتلك المدن الصغيرة النامية أن تتطور دون خوف أو تدخل من تلك القوى الكبرى في شؤونها أو فرض السيطرة عليها، وهو الأمر الذي يحد من حريتها نحو الانطلاق والنمو.**
- **ظهور كيانات أخرى صغيرة في نجد تشاغلت فيما بينها بالنزاعات والصراعات القبلية والحروب الأهلية كالدرعية وحائل والرياض، مما مكن تلك الإمارات الصاعدة في تطوير**

نفسها والاعتناء بتنمية بنيتها الأساسية، وتميزت الكويت خاصة عن غيرها في ذلك المجال بالسرعة غير الاعتيادية حتى قفزت في أقل من نصف قرن إلى مدينة بحرية من الدرجة الأولى بحسب مقاييس العصر آنذاك.

وإذا كانت لتلك العوامل والدوافع أهمية في نمو وازدهار تلك الكيانات والإمارات ، فإن موقعها على البحر ووسط الطرق التجارية البرية ، كان أهم تلك الأسباب والدوافع ، حيث كان للبحر دوره المتميز في حياة السكان ، إذ إنه ارتبط به منذ نشأة الحياة على تلك الأراضي ، منذ أيام الفينيقيين الأجداد الأوائل لهؤلاء الأفراد . فقد ساعد البحر النازحين والمستوطنين إليها ، وعاشوا في موارده ، واشتغلوا بتجارته ، واستفادوا من خيراته ، وارتزقوا من صيد حيواناته ، ومهروا في صناعة السفن اللازمة لاستخدامها في البحر صيداً وتجارة ، وأتقنوا فن الملاحة ، حتى أصبحوا أمهر السكان في بنائها فتوصلوا إلى صناعة السفن الشراعية الضخمة عابرات المحيطات ، بالإضافة إلى أنواع السفن الأخرى التي تطلبتها كل مهنة ، مثل صيد الأسماك ، والغوص على اللؤلؤ ، والأسفار البعيدة .

وكان لابد للاحتفاظ بتلك المكتسبات والحياة الجديدة من وسائل وأدوات للدفاع عنها ، فساعدت الروح الجماعية التي سادت مظاهر الحياة آنذاك في إيجاد نوع من الحياة تطلبت عملاً جماعياً وتضامناً كاملاً بين الأفراد ، وتجلت هذه الروح في :

- **ترابط التجار وتشجيع الدولة للتجارة، والاهتمام بحل المشكلات، والإعتناء بالصناعات.**
- **وفي الدفاع عن الوطن، عن طريق بناء الأسوار والخنادق وتوفير الأسلحة.**

وتمكن الإنسان والفرد في المجتمع الجديد في هذه الفترة الحديثة، بفضل كفاحه وصموده أمام التحديات الطبيعية والبشرية والمادية، أن يصبح من أشجع البحارة، وأبرع بناة السفن، وأجرأ الغواصين، وأمهر التجار، وأقدر المدافعين عن البلاد.

من هذا العرض الذي تقدم، يتضح لنا مدى ما وصل إليه سكان الأحساء من نشاط تجاري وأزدهار أقتصادي وقوة العمليات التجارية التي قاموا بها وإنشاء الأسواق التجارية الكبيرة، وما أدى إليه من الثراء والرخاء، إذ كان كل ذلك سبباً ودافعاً للحصول على الأموال الوفيرة، وظهور تجار كبار وملاك متميزين وطبقات غنية، شهد لهم المعاصرون وكتب عنهم الكتاب المتقدمون.

لقد كان ثراء المنطقة ورخاؤها وازدهارها الاقتصادي، دافعاً لتطلع الطامعين إليها والرغبة في السيطرة عليها، فعندما ذاع خبر ثراء أهالي جرها ومركزها التجاري، وأنهم تمتعوا بكل أسباب الرخاء والترف، فأكثروا من أواني الذهب والفضة والفرش الثمينة وزينوا جدران منازلهم بالعاج والذهب، واقتنى الكثير منهم الذهب والأحجار الكريمة، حتى اعتبروا أغنى أهل الأرض، طمع فيها الملك «انطوخيوس الثالث» أحد ملوك الدولة السلوكية الإغريقية التي قامت في بلاد الشام أواخر القرن(٤ق.م) فقرر الاستيلاء عليها، إلا أن الأهالي اشتروا أنفسهم وبلادهم بالمال الوفير الذي كان لديهم، فطلبوا منه عدم حرمانهم من النعمتين اللتين ينعمون بهما وهما نعمة السلام ونعمة الحرية، اللتين هما من أعظم نعم الألهة على الإنسان، مما أثر ذلك في نفسية الملك الذي رجع دون أن يحاربهم في مقابل حصوله على قدر كبير من المال والكنوز المتوفرة من الذهب الفضة والأحجاز الكريمة.

كما سجل سرجون الثاني ملك آشور في ٧١٠ق.م. أنه تسلم جملة هدايا من ملوك دلمون، واستولى أيضاً الملك الفارسي (أردشير بابك) على المنطقة في

سبيل الحصول على ثرواتها وكنوزها، كما تناولت الأساطير السومرية الحديثة عن خيرات الأحساء ووفرتها، فذكرت أن أرضها خيرة تشبه الجنة. وهناك كثير من الكتاب عددوا في كتاباتهم الكثير من موارد الخير والثروات المتوفرة في أرضها، فتناولوا المزروعات في أراضيها وما اشتهر منها كالتمور الجيدة الوفيرة التي استخرجوا منها بعض الصناعات، والقطن، كما وصفوا مصادر المياه العذبة فيها من آبار وعيون، وشهرتهم بالغوص على اللؤلؤ، وأن التجار كانوا يأتون إليها من جميع أنحاء الأرض.

أما في العصر الإسلامي، فقد تميزت المنطقة باقتصادها القوى من ميزانياتها الكبيرة، فقد نشط تعامل تجارتها مع الحجاز منذ أيام الرسول ﷺ حيث أهدوه ﷺ ملابس هجرية وكذلك التمر، وشوهد أفرادهم في أسواق مكه والمدينة والطائف، وكان خراجها كبيراً في ذلك العصر، فعندما احتاج المسلمون في أيام النبي ﷺ إلى عون مالي سريع بعث ﷺ «قدامه بن مظعون» وأبا هريرة إلى المنذر بن ساوى يطلب منه إعداد المال اللازم (فادفع اليهما ما اجتمع عندك من جزيه أرضك) كما عجله في رسالة أخرى لارسال الصدقات والعشور حينما طلب من العلاء الحضرمي ذلك (فأبعث معهما - أي مع المندوبين السابقين- ما اجتمع عندك من الصدقه والعشور).

وفي أيام الفتوحات وجه أبوبكر العلاء الحضرمي إلى البحرين ففتح الزارة وبعث إلى الخليفة بالمال الكثير فكان أول مال قسمه الخليفة بين الناس من الأحمر والسود والحر والعبد دينارا لكل انسان، ومن جهة أخرى فإن مكة كانت تتأثر اقتصادياً بما يحدث في الأحساء، حيث كانت تحصل على التموين منها، فعندما أسر «ثمامه بن أثال الحنفي» في سرية أيام الرسول ﷺ ثم أطلقه وأسلم، بقول «ابن هشام» إنه أول من دخل مكه ملبياً فقررت قريش قتله، إلا أن بعضاً منهم منعهم من ذلك لاحتياجاتهم إلى طعام اليمامه، فتركوه، ولما منع الطعام عن أهل مكه بعدئذ

وشكوه إلى الرسول ﷺ الذي كتب ﷺ إليه أن يخلي بينهم وبين الحمل.

كما أن غنى أبي هريرة الوالي على البحرين أيام عمر بن الخطاب كان سبباً في عزله، فقد ذكر أبو هريرة أنه لما قدمت من البحرين، قال لي عمر: خنت مال الله، فقلت «لم أخن مال الله، ولكنها أثمان خيل لي تناجت وسهام اجتمعت، فقد ادخر مالاً كثيراً هناك واغتنى نتيجة قيامه بالعمل التجاري الذي كان رائجاً ومثمراً، حيث جمع عشرة الاف درهم، مما أدى إلى أن يحاسبه الخليفة على ذلك.

وكان المال الوفير والاقتصاد المتميز في الأحساء، خير عامل على إنهاء الحروب وتخليصهم من الأزمات الحرجة، ففي معركة الردة طلب جماعة من خالد بن الوليد الصلح على أن يسلموه ذهباً وفضه وسلاحاً وخيلاً وحائطاً من كل قرية ومزرعة ليعصم دماءهم، فقبل خالد بذلك وانتهت ردة أهل اليمامة.

أما في العصر الأموي فقد قدر خراج البحرين واليمامة أيام معاويه بن سفيان ب١٥ ألف درهم، وفي عصر المعتصم العباسي (٩٣٨م) كان ايراد الدولة العباسية من أقليم البحرين من مناطق الحجر والقطيف ودارين ٥١٠ ألف دينار وهو دخل الخلفاء من الضرائب المستحقة عليها.

أن الأحوال الاقتصادية المثيرة ظهرت أيام دولة القرامطة، حيث اعتبروا أكثر المبدعين في التنسيق الذي لم يكن له مثيل حتى في الدول المتحضرة لدرجة أن ميزانيتهم وصلت إلى بليون دينار، لقد تفننوا وأبدعوا في وسائل المال والاقتصاد، إذ كانت المعاملات التجارية تتم عن طريق نقود وهي قطع من الرصاص توضع في سلال أو أكياس يضم كل كيس منها ٦٠٠ درهم، ويمنع تصدير هذه النقود إلى الخارج للحفاظ على الاقتصاد القومي، كما أن الدولة كانت تقدم القروض والمعونات المالية لكل مواطن لديه مشروع يريد تنفيذه، حتى

أنهم قدموا المساعدات للوافدين عليهم خاصة هؤلاء الذين يجيدون الحرف التجارية ، في سبيل استغلال مواهبهم وقدراتهم في تلك الحرف ، أو ليشتري مايلزمه من معدات وأدوات مواد تخص حرفته ، ولم تكن الدولة تسترد في الغالب تلك السلفة التي صرفت لهؤلاء المحتاجين ، بل إنها كانت تقوم باصلاح المعامل والمصانع وتدفع تكاليفها دون أن يدفعها صاحب الحرفة ، كما كانت تقوم بعمليات طحن الدقيق مجاناً مع تحملها أجور العمال والصيانة .

لقد تميز القرامطة اقتصادياً في جوانب مختلفة ، فقد أنشأوا المصارف التعاونية المملوكة للدولة بهدف مساعدة المحتاجين من أصحاب المهن ، وأعتبر ذلك أول مصرف تعاوني في التاريخ مما جعل علماء الغرب يذهبون إلى القول إنهم أول من أنشأ النقابات في العالم وطورها ، كان للقرامطة في الواقع اهتمام بنشر العدل والمساواة في الجانب الاقتصادي والاجتماعي ، فقد حاربوا النظام الطبقي ، وألغو الملكية الفردية في الأراضي الزراعية لفترة محددة استغرقت زمن المؤسس للدولة ثم أصبحت عادية فلم تعد محظورة على أحد ، كما منعت المعاملات الربويه ، واستملكت الحكومة عدداً من وسائل الإنتاج خدمة للمصالح العامة ، ووضعوا الضرائب المعتدلة ، ونظموا أحوال الحرفيين الذين عينوا لهم مكاناً خاصاً ، ونظموا علاقتهم مع الدولة ، وساووا بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات حيث منحو المرأة حرية العمل مع الرجل ، وأسسوا أول مصرف للإقراض الزراعي ، والنقابات الزراعية المهنية ، وسنوا التشريعات الضريبية الجيدة ، وحصروا الثروة في البلاد حتى لاتتسرب خارجها ، ووزعوا الأراضي على المحتاجين ، وشجعوا الصناع والزراع عن طريق التسليف بما يحتاجونه من مال وأدوات ، وفي الزراعة استخدموا ثلاثين ألف مزارع لاستصلاح الأراضي الزراعية وزراعتها ، مما وفر فرصاً واسعة لعمل الأفراد ، فأوجدوا بذلك أعمالاً للأيدي العاملة المحتاجة للعمل في المجتمع .

ولذا فإن تلك الميزانية الكبيرة والثروة الوافرة كانت سبباً في قوة الدولة واستقرارها واستمرارها، فلما ضعفت وقلت أصبحت عاملاً أساسياً في أنحلالها وانهيارها بالتالي.

وعندما نصل إلى العصور الحديثة، نرى أن الأحساء تستمر شهرتها في الغنى والثروة، بل إنها أصبحت جزءاً هاماً لمن يهدف إلى تأسيس دولة في شبة الجزيرة العربية، أن يتطلع إليها في سعيه لانشاء تلك الدولة، وإلا فإنه سيتعرض للفشل في ذلك، فالأحساء كانت مركزاً للإنطلاق نحو التوسع والازدهار لأي فرد ينوي تكوين دولة قوية في الجزيرة العربية ويتوسع فيها. ومن المعروف أن دولاً كثيرة تأسست بها بعد زوال نفوذ القرامطة. كما تهافت على الأحساء وسيطر عليها كل زعيم يسعى إلى تقوية دولته، حتى بروز دولة بني خالد القوية فيها، التي جعلت الأنظار تتجه إليها في سبيل ضمها إلى حوزته، مثلما قام به أل سعود حينما أسسوا إمارتهم في الدرعية الصغيرة، وتطلعهم إلى الأحساء في مشروع توسعاتهم، حيث رأوا فيها مركزاً استراتيجياً لنمو منافذها البحرية، وثروتها الخيالية، حتى إنها أصبحت أهم أقاليم دولتهم فيما بعد، إذ وفرت لهم الخير والموارد الاقتصادية التي ساعدت في تموين الجيوش وإعدادها وإمدادها بما يلزم لمواصلة العمليات العسكرية، وفي هذا الوقت تطلع إليها أيضاً العثمانيون الذين أرادوا منافسة آل سعود فيها فأعدوا حملات عسكرية بحرية وبرية للإستيلاء عليها في أواخر القرن (١٩م) ونجحوا في ذلك حيث استمروا في البقاء فيها حتى بداية القرن العشرين عند اندلاع الحرب العالمية الأولى، عندما تمكن آل سعود من استرجاعها وضمها إلى أقسام دولتهم.

وقد قدر محصول الزكاة في عهد الدولة السعودية الأولى من جميع ممتلكاتهم بـ (٢مليون و٣١٠ألف ريال) كان نصيب الأحساء والقطيف منها (مليون و٢٠٠ألف ريال) أما الضرائب التي استفادت منها الدولة السعودية الثانية

فكانت تساوي مجموع ماحصل من ضرائب المناطق الأخرى فبلغت قيمتها فيهما (٢٠٠ألف ريال) مع وضع مبالغ مضاعفة عليها نسبة للآخرين.

أثر انتقال المراكز التجارية
من الأحساء إلى الموانئ الأخرى
في اقتصاديات المنطقة

تأثرت المنطقة اقتصادياً بما جرى من أحداث وتغيرات في منطقة الأحساء، فحينما ضعفت موانئها نتيجة الأحداث والحروب والهجرات، برزت بجانبها مواقع أخرى تعمل في النشاط التجاري بقوة ونشاط، وكان أبرز تلك الموانى «الكويت» التي أثرت فيها أحداث الأقاليم المجاورة فازدهرت اقتصادياً منذ القرن ١٨ فأصبحت مركزاً تجارياً هاماً أثر في اقتصاديات الموانئ والمدن الأخرى، فقد نشط أفرادها بالعمل التجاري وخاصة في تجارة النقل والإستيراد من مدن الخليج وموانئه كمسقط والزبارة والقطيف والبحرين والساحل الفارسي، فتطورا لوضع في نهايات القرن ١٨ حينما اندلعت المشكلات السياسية مابين الدولة السعودية الأولى ورعايا الأحساء، فتحول طريق تجارة الهند الذي يمر بالأحساء إلى أواسط شبه جزيرة العرب، مما جعل موانئ الكويت والبصرة تستخدم بل القطيف والعقير كمدخل لقلب الجزيرة العربية، فأصبح ميناء الكويت هو الوحيد الذي يتعامل مع نجد. وقد نشطت نتيجة لذلك عمليات التهريب في التجارة مع العراق وإيران، في مجموعة كبيرة من البضائع كان من بينها الأسلحة، كما أن التجارة الداخلية قد انتعشت نتيجة المسابله، حيث كان عربان نجد يقصدون الكويت في مواسم معينة للتزود بما يحتاجونه من مؤن وملابس ومواد دون أن يدفعوا مقابل ذلك مالاً، بل كانوا يسددون ماعليهم من ديون بعد عودتهم بعد عام أو أكثر في صورة أغنام وجمال. ولكل ذلك أصبحت الكويت مقراً ومركزاً لقوافل التجارة البرية والبحرية بين نجد والاحساء والعراق والشام، كما وصلت سفنها التجارية إلى المحيط الهندي وشرق أفريقيا.

كما أن الكويت اشتهرت في تلك الفترة بتجارة الأسلحة، فقد تقدمت تجارتها وتطورت في المنطقة واتسعت حتى عام (١٨٩٧م) حيث كان يتم تصريف

بعضها بين القبائل ، ويعاد تصدير القسم الأكبر منها إلى ساحل عمان والبحرين وقطر والكويت ، فيتم تهريب جزء منها إلى فارس والأراضي التركية ، مما جعل المنطقة مغطاة بأحدث أنواع الأسلحة والعتاد الحربي .

وقد أصبحت الكويت القاعدة الثانية في نقل السلاح وتصديره بعد مسقط ، كما اعتبرت سوقاً رئيسيه يحصل عليها المتحاربون في وسط الجزيرة والعراق على حاجاتهم من السلاح والذخيرة ، فقد اعتمد عليها ابن سعود في نجد لتسليح قواته ، فقد وصلت إليه جميع الأسلحة والذخائر خلال حروب (١٩٠٠ ، ١٩٠٢) عن طريق الكويت .

وفي هذا المجال التجاري الكبير ، لمعت أسماء أكثرة في عالم التجارة المحليه والعالمية ، فبرز منهم التاجر «أحمد الوزان» في ١٨٣٠ والتاجر «عبدالله الفداغ» الذي اشتهر أيام محمد علي باشا وحملته الثانية إلى الجزيرة العربية في (١٨٣٩م) حيث وجه رسالة إلى «فيصل بن تركي» ينقل له أخبار تحركات والي بغداد «علي باشا» في المحمرة والبصرة[1] .

كما اشتهر «أحمد بن رزق الأسعد» تاجر الأخشاب الذي أرسل عدداً من السفن الكويتية إلى الهند لتحمل الأخشاب إلى البصرة في ١٨٠٢ وبني قصراً في أم قصر ، وقتل أيام الشيخ جابر بن مبارك ، كما اشتهر في مجال تجارة الأخشاب والألواح ومواد البناء ، الغانم ، الصقر ، القطامي ، أحمد الخرافي ، الحاج سلمان الأستاذ ، أما خشب الساج فكان يجلب من الهند ، اشتهر في بيعه تاجر من أبناء الحمر ، وكان هناك ٣٠٠ تاجر يكسب معيشته من بناء القوارب والسفن .

ومن أسرة القطان برز التجار : علي ناصر علي ، مهدي محمد عبدالله ، عبدالنبي عبدالله ، عباس حسين علي ، عيسى عبدالعزيز ، وعبدالمحسن علي .

---

(١) تاريخ الرسالة ، مارس ١٨٣٧ .

لقد حتمت تلك الأعمال التجارية البحرية النشطة على الأهالي أن يقوموا بصنع السفن اللازمة محلياً في البلاد، فاتسعت صناعتها حتى ذاع صيت الكويت بصناعتها وعرفت بجودتها وجوده أسطولها البحري، حتى إنه في عام ١٩٣٩ تخصصت مائة سفينة كويتية في نقل البضائع بين سواحل الخليج والهند وأفريقيا، وثلاثين سفينة تعمل في رحلات داخل الخليج وأكثر من خمسين تعمل في الغوص.

وأشهر من عمل في تلك الصناعة المتطورة الحاج «أحمد الأستاذ» الذي أشرف على بناء عدة سفن للحلفاء في الحرب العالمية الثانية، عندما احتاج الانجليز لبعضها لتعمل مع قواتهم البحرية خلال الحرب فوجه المعتمد البريطاني يستفسر من حاكم الكويت «الشيخ أحمد الجابر» عن أفضل صناع السفن في البلاد لبناء سفن كبيرة تساعد البحرية البريطانية خلال الحرب، فعين له الشيخ المهندس أحمد الأستاذ والد سلمان الأستاذ، فتمت الموافقة على أن ينفذ ذلك بضمان الأمير الشيخ نفسه.

وقد تم الأتفاق على أن يتم صنع (٤٠) سفينة كبيرة، تحددت مهمتها في الحرب، بالسير خلف البوارج الحربية البريطانية لنقل الأسلحة المختلفة، ونقل الأطباء الذين صنعت سفن خاصة بهم وبظروفهم، وسفن أخرى صغيرة للنقل في الأنهر، كما اشترك مع الأستاذ بن أحمد وسلمان، صانع السفن المشهور: عبدالله مرزوق اليوسف الذي قام بصنع السفن الخاصة بنقل المعدات والسيارات العاملة بالجيش. ومن الجدير بالذكر، أن صناع البحرين والعراق لم يوافقوا على صنع تلك السفن لعدم قدرتهم على تنفيذها[1].

واشتهر أيضاً في تلك الصناعة صانع السفن المعروف «علي عبدالرسول» الذي يذكر أن أجداده قدموا من البحرين ومارسوا صناعة السفن بها، وأن بعض

---

(١) من مذكرات الأستاذ حمزة عباس الأستاذ.

صناعها يقدمون من مسقط والبحرين وبندر لنجة إلى الكويت للعمل بها نتيجة انتعاش تلك الصناعة بها.

لقد قام هؤلاء الصناع في الحقيقة بجانب العمل، في تدريب جيل من صناع السفن، كما كانت عمارة أحمد بن سلمان الأستاذ مدرسة لتخريج بنائي السفن.

وقد اشتهر في هذا المجال عدد كبير من النواخذه - الربابنه- الذين قادوا تلك السفن والمراكب في البحار والمحيطات، كان أشهرهم: عبدالوهاب خليفة الشاهين الغانم -يوسف عيسى القطامي- عبدالكريم ولد الغيث - آل الرضوان - غلوم حسن قبازرد - عائلة بن نخي ومنهم: عباس ومحمود وعبدالله - آل الروضان - محمود عبدالعزيز البرجس - محمد محميد بوشهري وحبيب ابنه - حسن عبدالله عبدالرسول - حجي بهمن - عائلة الخرافي - عبدالوهاب العسعوسي. ابن شايع - أولاد عيسى العصفور - خالد بن قنبر - محمود على تيفوني - إبراهيم محمد بن شيبة - ومحمد إبراهيم بن شيبة - عيسى النشمي - يوسف الصقر - علي بن ناصر النجدي.

وكان أكثرهم شهرة في تجارة الأسلحة النوخذة «عباس بن نخي» الذي قاد سفينة للسيد «صادق معرفي» تحمل سلاحاً من مسقط إلى الكويت أيام الشيخ مبارك، فلحقت به دورية بريطانية في مياه الخليج تمكن من الإفلات منها والوصل بها سالمة إلى ميناء الكويت، كما اعترضته دورية بلجيكية حينما كان يحمل السلاح قرب بندر لنجه في طريقه إلى الكويت فأطلقت عليه القذائف وأصابت الشراع، إلا أنه تمكن من إصلاحه والعودة سالماً إلى البلاد.

والواضح أن هؤلاء الربابنه والتجار قد تحملوا الكثير من الأخطار البشرية والطبيعية خلال عملهم في تلك البحار والمحيطات، فقد تعرضوا لأخطار القراصنة الذين تخصصوا في سرقة السفن الكويتية العائدة من الهند أو المتوجهة

إليها، واستخدموا في عملياتهم الإرهابية الأسلحة المختلفة، الأمر الذي اضطر حاكم الكويت أن يسمح للنواخذة المواطنين بحمل مايمكنهم من سلاح للدفاع عن أنفسهم في مواجهة هؤلاء القراصنة(١).

كما تعرضت السفن الكويتية للنهب من قبل قبائل بني هاجر الذين نهبوا أموالهم، فطاردهم الشيخ مبارك حتى الأحساء في (١٨٩٤) في القطيف، وفي (١٩٠٢) تعرض المركب الكويتي «حسيني» الذي يحمل مسكوكات من المحمرة تبلغ قيمتها ١٥ ألف روبية عندما اعترضته الزوارق فاحتجز على مسافة من جزيرة بوبيان وسرق مافيه، مع قتل شخص واحد(٢)، كما هوجم مركب كويتي في ١٩٠٣ يحمل قبطاناً وخمسة بحارة وتاجر، في خورموسى، بعد قتال أربع ساعات، فأسر الموكب وقتل الجميع ماعدا بحاراً واحداً(٣).

ومن المعروف أن القرصان الشهير «رحمة بن جابر» تعرض فيما تعرض له في الخليج للسفن الكويتية العاملة في الخليج والبحار مابين الهند موانئ الخليج.

ومن جانب آخر فانهم تعرضوا أيضاً للتفتيش من قبل الجهات الحكومية في الموانئ التي يقصدونها، وإلى مصادرة سفنهم وسلعهم أو إلقاء القبض عليهم، كما كانوا عرضة لتقلبات الجو والبحر المؤدية إلى إغراق السفن وتحطمها بالسواحل والصخور، والموت في أغلب الأحيان، كما حدث لبوم عبدالكريم ولد الغيث الذي غرق نتيجة طوفان شديد، وغرق بوم جحي بهمن بن محمد واستشهاد كل من معه عند عودتهم من الهند، فضاعت أموالهم التي قدرت بستة ملايين روبية كانت تخص أفراداً من الكويتين، ونتيجة لعظمة المأساة عرفت

(١) من مذكرات النوخذة الحاج كاظم حبيب بوشهري.
(٢) لوريمر: الكويت في دليل الخليج، السفر التاريخي، ص١ شركة الربيعان، الكويت، ١٩٨١م.
(٣) لوريمر: المصدر السابق.

الحادثة بطبعة بهمن ١٩٤٧[1]، كما عرفت سنة الطبعة في (١٨٧١م) حينما غرقت سفن كثيرة لعائلة العبد الجليل وغيرهم.

وقد اشتهر هؤلاء التجار بالأعمال الخيرية ومساعدة أبناء البلد في محنهم وأزماتهم، فكثيراً ماكانوا يسرعون في نجدة الأهالي عند الشدائد والضيق، مثلما كان في عهد «الشيخ عبدالله بن صباح» (١٨٦٦، ١٨٩١) حينما تعرضت البلاد لأزمة اقتصادية سببت المجاعة والقحط للناس، سميت سنتها بعام الهيلك في (١٨٦٨م) مما دفع الشيخ الحاكم والتجار بالتبرع لهؤلاء المتضررين الذين ضاق الحال بهم، فارتفعت الأسعار وقلت المواد الغذائية، فأسرعوا لمساعدتهم بتوزيع ماخزنوا من الطعام والأموال والمساكن، اشتهر منهم الحاج «عبدالنبي معرفي» الذي فتح مخازنه من التمر والدبس للمحتاجين، وكذلك يوسف اليعقوب البدر، ويوسف الصبيح - وبيت آل إبراهيم والعتيقي، مما خفف هذه الأزمة التي استمرت حتى سنة ١٨٧١م.

هذا ماكان من أمر التجارة والتجار، **أما في المجال الصناعي** فقد تطورت في المنطقة عدة صناعات واشتهرت بها منذ القدم، كالمنسوجات والجلد والملابس وغيرها، فقد اشتهر منها: القطرية والفوط الأحسائية، والقراطيس التي كانت تصدرها الأحساء إلى البصرة والجوارب والطوافي- الكوفية، صنعتها قرية العيون، كما اشتهرت بصناعة الأقمشة القطنية. ومن المعروف أن «سعود الكبير» حينما سيطر على الحجاز كسا الكعبة بكسوة أحسائية، وتميزت المنطقة بصناعة العباءات التي توارثتها الأسر والعائلات، اشتهر منها في الأحساء: أسرة أبو علي الهلال، العليو، الحرز، بنو خضر، بنو شيخ، المزايده، وقد أنشئ معمل لحياكة

---

(١) كان من النواخذه الكبار المعروفين بالسفر إلى سواحل الخليج والهند وسواحل أفريقيا، كما أقام علاقات مع أفراد وتجار الخليج، وقد غرق معه في تلك السنة أكثر من ٢٠٠ سفينة من جميع بلدان الخليج ومن فارس والهند وأفريقيا.
- مذكرات الحاج إسماعيل بهمن.

العبي في (١٣٨٢هـ - ١٩٥٨م) اعتبر مصنعاً فريداً من نوعه في الخليج صدر من إنتاجه لدول الخليج والعراق.

كما اشتهرت عائلات أخرى في فن التطريز، مثل: الخرس، البقش، الرشيد، إسماعيل البنعلي، الشواف، العومي، ويعد مشغل عبدالله القطان من أشهر مشاغل الهفوف لخياطة العباءات وتطريزها[1].

وقد انتقلت تلك الصناعات المتطورة إلى الكويت عند توافد أبناء الأحساء إليها فنقلوها إليها، واشتهر منهم أفراد في الحياكة وصناعة النسيج، حسن النجراني، الحاج حسين المزيدي، حسين علي الخميس، حسين بن جريدان. إلا أن اشهر المعامل والمصانع اختصت للسادة: عبدالله البغلي، إبراهيم العبد الله، العباد، حسن البنعلي، سلمان الأمير، طاهر القطان، وأبناء الخرس، الشواف، مهنا الياقوت، وصالح أحمد الحمد، ومحمد أحمد السيافي وسالم محمد السالم وفي خياطة البشوت، أشتهر كل من: صالح محمد المبارك، إسماعيل الشيخ إبراهيم، طاهر أحمد البغلي، عبدالله حسن البغلي.

كما عمل أفراد آخرون في فن النجارة والحداده وصناعتها، كان أشهرهم في صناعة النجارة: محمد الزيد، محمد جواد، محمد أبو الأيام، صالح الشايجي وابنه ناصر، ومحمد الإبراهيم وأولاد خلف القلاف.

أما في صناعة الحدادة فقد برز: أحمد الحداد، صالح الحداد، جاسم الحداد، جاسم محمد الموسى، علي الموسى، عبدالله الموسى الحداد، أحمد بن صالح محمد الحداد، الذي عمل معه أولاد الخميس تركي وعبدالله. كما نشط أفراد آخرون في أعمال الصفارة وتفننوا في صناعتها، وبرز من تجارها: عبدالله القندي، صالح جمال، الحرفي حسين الصفار، وعسكر الصفار، عبدالحميد

---

(١) آل ملا: تاريخ هجر، حـ١، ص٤١.

جاسم، عبدالله محمد الصفار، ومهدي أحمد الصفار.

أما في صياغة الذهب فقد اشتهر: حسن محمد حسين علي الصايغ. وعدّ الاريش أول من صاغ الذهب في الكويت، وبرز منهم عيسى الأريش الذي ولد في الكويت ١٩٣٢، وكذلك أولاد بن سرى، محمد خريبط، الخرس، حسن بن مسلم، أحمد المسري، نجم عبدالله المسري، محمد حسين محمد العلي.

وبجانب هؤلاء تفنن أفراد في مهنة الندافه وتجارة القطن، اشتهر منهم: محمد المتروك وزيد الكاظمي وعبدالمحسن الخرافي، الذين امتلكوا محلات لبيع القطن، أما الذين مارسوا مهنة الندافة فكثيرون، اشتهر منهم: حسين العوض القطان، عيسى القطان، عبدالعزيز القطان، عيسى عبدالله العيسى، جمعة القطان.

وفي مجال بناء المنازل والمؤسسات اشتهر «الحاج أحمد عبدالخالق البنا» الذي تولى بناء القنصلية البريطانية في الكويت عام ١٩٣٣م، وعاشور عبدالسلام وإبراهيم عبدالسلام.

الفصل الثالث عشر

الأحساء في القرن العشرين

الأحساء في أوائل القرن العشرين

بعد نهاية الدولة السعودية الثانية في أواخر القرن(١٩م) حاول أمراؤها إعادة الدولة من جديد، فأخفق «عبدالرحمن بن فيصل» في أعماله الحربية التي خاضها ضد «إبن رشيد» في حائل ١٨٩٠م فلم يتمكن من الانتصار عليه وإخضاعه مما جعله يلتجئ إلى الأحساء فالكويت في ١٨٩١م مصطحباً معه ابنه «عبدالعزيز» الذي لم يتعد عمره حينئذ الاثنى عشر عاماً. إلا أن بقاءه في الكويت لم يعن أنه ترك القضية، ومسألة إعادة دولة آل سعود إلى حكمهم، بل إنه اعتبر ذلك فترة هدنة وتجميع القوى للاستعداد لاسترداد ماراح من أملاك أجداده.

ففي عام ١٩٠٢م أقام «عبدالعزيز» فترة في الأحساء يجمع الأنصار، وتمكن بمساعدة أمير الكويت «الشيخ مبارك» أن يهاجم الرياض، فاستولى عليها، وأعلن نفسه حاكماً عليها، ثم هاجم الهفوف عاصمة الأحساء واستولى على أبراجها وقلاعها، وكذلك على ميناء القطيف والعقير، فدانت له الأحساء كلها، فأصبح حاكماً على الشرق، أي شرق الجزيرة العربية في ١٩٠٦م.

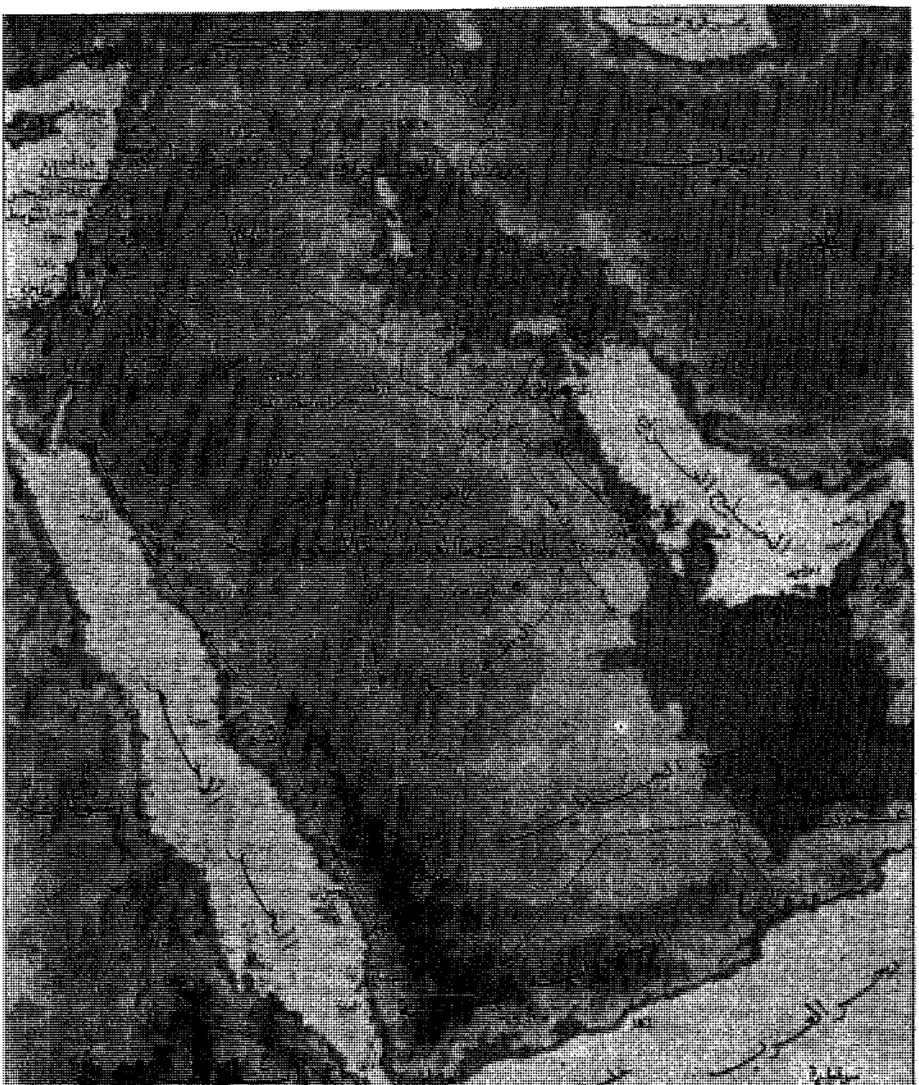
وكان «إبن سعود» يتطلع إلى اليوم الذي يمكنه أن يسترد الحسا، فجاءته الفرصة عندما ظهر ضعف الدولة العثمانية في ١٩١٣م في بداية الحرب العالمية الأولى، وانشغالها في المواجهات الحربية في أوروبا وأفريقيا، كما ساعده تأزم الوضع في حائل حيث انفجر الصراع بين «آل رشيد» مما اضطر الأتراك إلى سحب جزء من قواتهم في الهفوف، فتمكن «إبن سعود» بعد كل ذلك من مهاجمة الأحساء والاستيلاء عليها.

وقد أثار احتلال إبن سعود للأحساء مشكلة هامة بالنسبة لأطراف سياسية مختلفة، وخاصة الإنجليز الذين رأوا في ذلك مشكلة جديدة في المنطقة، مثلما

أفاد المقيم السياسي إلى حكومته، (إن ابن سعود الآن على الشاطئ وبالنسبة لنا فهو أمريشكل تهديداً جديداً لمصالحنا في منطقة الخليج نريد إما تطهيره أو وقاية أنفسنا ضده).

وقد اتسم موقف الإنجليز مع آل سعود قبل ذلك بالسلبية، فقد أعلنوا لحكام المشيخات العربية ضرورة ابتعادهم عن إقامة أي علاقات معه، على الرغم من أنه أبدى رغبته في توقيع اتفاقية معهم مماثلة لاتفاقيات الأمراء في المنطقة، إلا أن الإنجليز لم يتحمسوا لرغبته نظراً لعدم خطورته على مصالحهم، لوجوده في نجد بعيداً عن السواحل الخليجية، فلم تسفر المحادثات بين الجانبين في ميناء العقير ١٩١٢م عن شيء سوى تأكيد العلاقات الودية بينهما. أما وقد تغير الوضع حينما استرد ابن سعود القطيف وإقليم الأحساء من الدولة العثمانية في ١٩١٣م فقد اعتبرت بريطانيا هذا الموقف خطراً على مصالحها وعلى مصالح حكام وأمراء المنطقة، لأنه أصبح الآن مقيماً على أطراف الخليج يمكنه التأثير في أحداثه، الأمر الذي جعل الذي جعل السير/ برسي كوكس، المقيم البريطاني في الخليج أن يبعث إليه معلناً حرص الحكومة البريطانية على الاحتفاظ بروابط الصداقة بينهما فيما إذا تعهد بالامتناع عن القيام بأي عمل يغير من الوضع الراهن، أو ينشر الاضطراب في الإمارات الخليجية التي ترتبط بعلاقات ودية مع الإنجليز.

وكانت التقارير الإنجليزية تتناول قوة الإخوان وحركتهم التي تشكل خطراً كبيراً قد يغير من موازين القوى في الجزيرة العربية، فقد رأت حكومة الهند أن قوتهم الحقيقة المستقبلية في الجزيرة قد لاتمكن قوى أخرى من منافستهم حتى لو كانت الدولة العثمانية، الأمر الذي أدى إلى تغيير جذري في استراتيجية الإنجليزي السياسية نحو «إبن سعود»، فبدأت منذئذ رحلات المسؤولين الإنجليز إليه، اشتهر منهم «شكسبير» الذي لعب دوراً هاماً في سياسة الإنجليز نحو الجزيرة العربية.



ففي رحلاته التي تمت مابين ١٩٠٩-١٩١٤ درس جهود إبن سعود في الإحساء، والقبائل فيها، وأعدادهم ومعيشتهم، ثم خرج برأيه عن «إبن سعود» أنه من أفضل الحكام العرب في قيادة الجزيرة العربية وزعامتها. وفي التقرير الذي تقدم به المعتمد السياسي في البحرين إلى المقيم البريطاني في بوشهر، تناول نتائج مقابلته لابن سعود الذي أثار مسألة السياسة البريطانية في قطر وعمان، وأبدى استعداده للتعاون مع الحكومة البريطانية في مجالات القضاء على القرصنة وتجارة السلاح وفي المحافظة على الهدنة البحرية، وعدم التدخل في سياسة قطر والساحل المتهادن، بشرط أن تقدم الحكومة البريطانية تأكيداتها له بالاعتراف به حاكماً فعلياً للأحساء، وأن تمتنع من الهجوم عليه من الساحل، كما أعلن استعداده لاستشارة الحكومة البريطانية في جميع المسائل الهامة إذا ماحصل على هذه التأكيدات. كما ألمح إلى أن السبب الوحيد الذي يمنعه من الاستيلاء على قطر وربما عمان المتصالحة، بعد أن أحتل الأحساء والقطيف، هو رغبته في عدم فقدان تعاطف الحكومة البريطانية واكتساب معاداتها[1].

وكانت وجهة نظر حكومة الهند تجاه «ابن سعود» لاتؤيد عقد اتفاقية أو معاهدة معه، إذ إنه مادام قد قصر نفسه في الحسا يمكن تجاهله مع الحصانة، وهذه السياسة لايمكن اتباعها بأمان، إذ إن هناك إمكانية تدخله في قطر أو مع رؤساء الساحل المتصالح ولربما في عمان، حيث أن العصيان قد يعطيهم فرصة التعدي على إقليم مسقط، ولذا فإننا لانؤيد أية معاهدة محددة مع الأمير ولكن تبادلاً ودياً لوجهات النظر نبين له فيها أننا نتوقع منه ألا يتدخل بأقاليم رؤساء الساحل الذين تربطنا معهم معاهدة أو أية علاقات أخرى.

---

(١) (تقرير عن مقابلة ابن سعود في ٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٣) فتوح الخترش وعبدالعزيز المنصور: مصادر تاريخ قطر، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٤م، ص٥٢.

وبعد كل ذلك تغيرت سياسة الإنجليز، فلم يعارضوا ابن سعود في احتلال الحسا ولم يستخدموا اتجاه ذلك أساطيلهم كما كانوا يفعلون في السابق، حيث أن الموقف العالمي الساخن قد دفع الإنجليز للوقوف مع ابن سعود، لأنهم قصدوا إلى القضاء على النفوذ التركي الألماني قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، إذ إنهم أكتشفوا وجود قوات ألمانية بجانب القوات التركية في الأحساء، فأعلن نائب الملك في الهند١٩١٣م أن ابن سعود قد استعاد أملاك أجداده دون إراقة دماء، وهي الحسا وتوابعها وأنه وطد السلم والأمن العام فيها.

أما آل سعود فقد تعهدوا للإنجليز بمساعدتهم طوال فترة الحرب من خلال الاتفاقية التي أبرمت معهم في ١٩١٥م(١) والتي أكد أهم نص فيها: المحافظة على سلامة المستعمرات البريطانية في شبه الجزيرة العربية، والتنسيق في السياسة الخارجية لإبن سعود مع السياسة البريطانية، واعترف فيها الانجليز بتبعية نجد والأحساء والقطيف وحبيل وملحقاتها ومرافئها وقبائلها للأمير السعودي وخلفائه، مقابل أن تقف بريطانيا معه ومع خلفائه ضد أي أعتداء على أراضيه، مساعدة له بذلك في حفظ ممتلكاته وحماية مصالحه. كما تعهد بعدم التدخل أو التجاوز على أراضي الكويت والبحرين وقطر وعمان وسواحلها.

وبذا فقد تمكن ابن سعود في أوائل القرن العشرين من الاستيلاء على منطقة جبل شمر (١٩٢١م). بعد ضم الأحساء والنجاح في السيطرة على البدو، وتطبيق التعاليم السلفية ونشرها، وحقق نجاحه كقائد جديد سيطر على الأجزاء الشرقية للجزيرة العربية، وإقراراً بالوضع الراهن فإنه اتجه نحو الأجزاء الغربية لتوسيع رقعة نفوذه، حيث تمكن في معركة تربة قرب الطائف في ١٩١٩م أن يتغلب على قوات الشريف حسين بقيادة ابنه عبدالله (حاكم الأردن فيما بعد) كما

---

(١) اتفاقية دارين أو القطيف.

هاجم الطائف فقتل الأخوان كثيراً من أهلها في ١٩٢٤ ثم دخل مكه بمساعدة «خالد بن لؤي» ابن عم الشريف الذي أعلن ولاءه لابن سعود في نفس العام، ثم حاصر المدينة المنورة عشر أشهر وسيطر على جدة بعد أن غادرها «علي ابن الشريف حسين» إلى العراق، فأصبح «عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود» في ١٩٢٦ ملكاً على الحجاز، ثم أكمل سيطرته على المنطقة بضم عسير في ١٩٣٠ فأعلن عن قيام المملكة العربية السعودية في ١٩٣٢م.

إلا أن الأحساء لم تهدأ فيها الأمور، فقد قامت ثورة الأهالي في ١٩٢٩ - حيث كثرت تعديات «العجمان» بعدالحرب العالمية الأولى وخاصة في الفترة التي أعلن فيها مرض «عبدالله بن جلوي» أميرها، مما دفع بعض الثوار إلى أن يخططوا لإقامة قاعدة لهم في الهفوف فساعدهم على السيطرة على الحكم بزعامة فيصل الدويش زعيم قبيلة مطير الذي انقلب على ابن سعود، وفرحان بن مشهور وابن حثلين زعيم العجمان الذي كان قد التجأ إلى الكويت فعاد سراً للأحساء للمشاركة مع جماعة الثوار.

وقد جرت بين الأطراف معارك انتهت بهزيمتهم لأنها حدثت بصورة مرتبكة فوضوية تصرف فيها كل أمير ورئيس عشيرة على حسب هواه ورغبته، كما استخدموا أساليب العنف والسلب والنهب والقتل، وتمكن القائد العسكري سعود بن عبدالعزيز من دحرهم في معركة السبلة قرب الزلفى معلناً الخلاص من كبار قادة الإخوان الذي خرجوا عن طوع ابن سعود. كما حاول «الحاج عبدالحسين الجمعة» في القطيف تشجيع الأتراك لاسترداد البلاد من يد الأمراء السعوديين بعد الحرب، إلا أن ذلك لم يتم ولم يتحقق.

وهكذا انتهى في البلاد مايعكر صفو السلام والأمن فيها، وتفرغ «ابن سعود» لتطوير البلاد وتحسين ظروف المعيشة فيها وخاصة موانئ الأحساء: القطيف، العقير، جبيل والدمام.

وقد اصطدم في هذا الوقت مع الكويت - حيث أنه قرر أن يقاطع ميناء الكويت بمنع رعاياه من المسابلة مع الكويت على أن يقوموا بدلاً منها في التعامل داخل البلاد، إذ رأى تعيين موظفين سعوديين في الكويت لتحصيل الرسوم من النجديين لأنه رأى أنه سيفقد الدخل الذي يأتيه من موانئ بلاده في الأحساء إذا تم السماح للقبائل بالمسابلة مع الكويت.

وهو الأمر الذي أثر سلبياً على أسطول الكويت التجاري وأدى إلى بروز أعمال التهريب بين الجانبين، وقد ظلت المشكلة قائمة بينهما بعد أن رفض «الشيخ أحمد الجابر» حاكم الكويت مقترحات ابن سعود لحلها حتى (١٩٤٠م) حين تم الاتفاق التجاري بين الطرفين فانتهت المشكلة التي أقلقت الأهالي فترة من الزمن.

وفي هذه الفترة من القرن العشرين - حدث تطور كبير وتغيير مفاجئ في الموارد الاقتصادية للمنطقة، إذ ظهر النفط في أراضيها مما غير الموازين والاستراتيجيات، ففي ١٩٢٩م أعادت الولايات المتحدة سياسة الباب المفتوح أثناء الأزمة الاقتصادية العالمية، فقامت الشركات النفطية التجارية والصناعية بنشاط مركز في البحر المتوسط والخليج العربي، حيث تقدم أفراد من الشعب الأمريكي بطلب من وزارة خارجيتهم للاتصال بشيخ الكويت كي يمكن توقيع إتفاقية بين الطرفين بعدما تم توقيع معاهدة تجارية مع مسقط اعتبرت أول معاهدة توقعها مسقط مع دولة غربية جديدة، وأقدم معاهدة لأمريكا مع العرب، حصل منها الشعب الأمريكي على امتيازات تجارية في ممتلكات السلطان، فتخلصوا من الصعوبات والمشكلات التجارية عند خفض الضرائب إلي ٥٪ على الواردات والصادرات.

وكانت التجارة الأمريكية في المحيط الهندي تتم بواسطة شركة الهند الشرقية البريطانية حتى نالت الولايات المتحدة استقلالها في (١٧٧٦م)، فتحررت من القيود التجارية وظهر التجار الأمريكان في ذلك المحيط منذ ١٧٨٢ فوصلت

سفنهم إلى سواحل الجزيرة العربية والهند، كما توجهوا نحو زنجبار التي اعتبرت مركزاً تجارياً هاماً لتجار العرب والهنود والأوربيين، فأسسوا علاقات تجارية مع زنجبار في (القرن ١٩)، ولما كانت نسبة الضرائب العالية قد أقلقتهم - فإنهم عقدوا تحالفاً لإنشاء علاقات تجارية مع سلطان عمان الذي كان يحكم زنجبار بجانب عمان، وذلك في عهد السلطان: «سعيد بن سلطان» في معاهدة (١٨٣٣م) وعين الرئيس «أندروجاكسون» وكيلاً خاصاً هو الكابتن «أدموند روبرتس» لإبرام تلك المعاهدات وفتح قنصلية دبلوماسية مع مسقط.

وفي ضوء كل ذلك، اعترفت الولايات المتحد بمملكة الحجاز ونجد وملحقاتها في (١٩٣٢م) وتم تبادل التمثيل السياسي والقنصلي بينهما، كما عقد اتفاق تجاري وملاحي معها وتمكنت الشركات النفطية من الحصول على حقوق امتياز التنقيب عن النفط في المنطقة الشرقية - الأحساء - في ١٩٣٣ فبدأ استخراج النفط واستثماره في المملكة تجارياً في ١٩٣٨م.

وهكذا أصبحت الأحساء إحدى الأقاليم الهامة للمملكة العربية السعودية، وسميت بالمنطقة الشرقية واعتبرت القطيف قاعدتها، فهي تتمتع بأعظم إمكانيات الموارد الاقتصادية في الدولة - حيث تتركز فيها الثروة البترولية والكميات الهائلة من المياه العذبة المنتشرة في واحاتها المتفرقة، وموانيها الممتدة على سواحلها، وبحارها التي تكثر فيها الثروات الحيوانية والسمكية بالكميات الكبرى، ومدنها الرئيسية التي ترتبط بسلسلة من الطرق المرصوفة الحديثة.

وأشهر هذه المدن: «الدمام» التي هي البوابة الشرقية للمملكة، نزح اليها في (١٩٢١م) رجال من قبيلة الدواسر من منطقة «البديع» بالبحرين فراراً من الانجليز، فعبروا البحر نازلين الدمام وشيدوا المساكن والمنازل، وعملوا في الغوص على اللؤلؤ، ثم توافد أهل نجد وأنضموا إليهم، فكثرت الأعمال واتجهوا إلى التجارة حتى ظهر النفط فتغيرت الحياة، فقد رغب الناس فيها، وأقاموا المباني

الحديثة فشهدت تطوراً في المجالات المختلفة، وهي تعد ثاني ميناء بعد جدة ترسو فيها بواخر عابرات المحيطات، تحمل البضائع الثقيلة مما تحتاج إليها المنطقة، وماتريده الرياض، كما يسير قطار في سكك حديدية تصل إلى مسافة ٥٦٦كم عبر الظهران والبقيق والهفوف والخرج حتى الرياض العاصمة.

وكانت القطيف قد ظلت إمارة مستقلة عن الأحساء في بداية الحكم السعودي يدير أمورها أمراء يعينون من قبل ابن سعود في نجد، إلا أن كرسي الإمارة انتقل إلى الخبر بعد ظهور النفط ثم نافستها الدمام التي نشأت فيها الموانى فأخذت مركزاً هاماً وأصبحت العاصمة للمنطقة الشرقية الموحدة وأصبح أميرها «آل جلوي» ومركزها الأحساء.

أما الأحساء، فإن أهم تجمع سكاني فيها يتركز في الهفوف قاعدتها مع مدينة العيون – حيث تم دمج أطرافها وقراها في بلدية واحدة هي الأحساء، وهي من أقدم مراكز الاستيطان البشري في الجزيرة العربية خاصة الهفوف وتعتبر «الكوت» المنطقة الأثرية الرئيسية إذ أنها تحتوي على العديد من القصور والمساجد التي بناها العثمانيون. وهي لاتشكو من المياه حيث تتوافر فيها أكثر من ٥٠٠ عين.

والمنطقة الشرقية تضم حقولاً نفطية برية وبحرية تمتد في اليابسة والماء معاً. ويمثل انتاجها المركز الأول بين دول شبه الجزيرة العربية – حيث تمتد حقولها في مساحة واسعة من حدود المنطقة المحاذية وتنتهي جنوباً عند أطراف الربع الخالي، فالمنطقة تضم (تسعة) حقول يعادل إيرادها ٩٠٪ من مجموع ميزانية المملكة ودخلها، و٩٧٪ من قيمة الصادرات، كما أن كمية الاحتياطي فيها خيالية تكمن تحت رمال الصحراء، وتشكل وسائل نقل النفط الخام منها عاملاً هاماً في زيادة توزيعه – حيث تقطع الناقلات مسافة ٣٦٠٠ ميل من رأس تنورة حتى البحر المتوسط في ٩ أيام، مما دعا إلى التفكير في (١٩٤٧م) إلى نقله عبر الأنابيب،

فابتدأ العمل بذلك في ١٩٥٠ وبلغ طولها ١٠٦٨ ميلا تصل إلى ميناء صيدا بلبنان على البحر المتوسط، وخط آخر من حقل الغوار وبقيق إلى ينبع على البحر الأحمر بطول ١٢٠٠كم، وكذلك بدأت فكرة استغلال الغاز الطبيعي في مصانع بقيق وعين دار بحقل الغوار منذ ١٩٦٣م.

ولقد أصبحت المملكة الدولة المصدرة الأولى للبترول، إذ أنها تصدر إلى ٧٠ دولة في العالم، توزع على أسواق غرب وشمال أوربا، ثم أسواق آسيا فأمريكا اللاتينية، وإلى قارة أفريقيا والدول العربية (لبنان - البحرين - الأردن) ثم أمريكا الشمالية: الولايات المتحدة وكندا، وكميات قليلة إلى استراليا ونيوزلندا وجزر فيجي ونيوكاليدونيا. ومعظم صادراتها تخرج من رأس تنورة والخفجي التي تتقاسم معها الإنتاج الكويت. وفي عام ١٩٧٦ تملكت المملكة العربية السعودية بالكامل شركة أرامكو فسيطرت على أهم مصادر دخلها.

إن أهمية بترول الدولة تظهر في دوره في تغطية احتياجات الأسواق العاليمة، وذلك لضخامة كمياته - إذ بلغت كمية الاحتياطي (١٤٥٣٠٠) مليون برميل وهو مايعادل ٦٣ , ٢٢٪ من إجمالي احتياطات العالم في البترول، وقدر بنحو (٦٤١٨٠٠) مليون برميل في ١٩٧١ فجاءت المملكة في المركز الأول بين دول العالم من حيث كمية الاحتياطي - حيث وصلت إلى مايوازي ٢٥٪ من الاحتياطي العالمي في ١٩٧٤.

ومن جانب آخر فإن المنطقة الشرقية تمتاز بطابعها الزراعي والصناعي، فتكثر الزراعة في الهفوف والقطيف والمبرز، كما أن الثروة الحيوانية تزداد فيها، وذلك لوجود الواحات الغنية بالمياه وسعة المساحة، فأصبح الأفراد يربون الأغنام والماعز والبقر والإبل والخيول والحمير - حيث تتميز الهفوف والقطيف بتوافر الغنم العربي.

وهكذا فإن الحسا تميزت بأنهاالمنفذ الطبيعي لنجد إلى الخليج العربي ودول العالم الأخرى ، بالإضافة إلى مصادر الدخل فيها ، حتى قيل عنها : إنها الدرة الغالية في تاج نجد ، والجسر الذي يربط بينها وبين العالم الخارجي ، إذ إنه يخرجها عن عزلتها داخل الجزيرة العربية ويوصلها إلى البحر ، فهي موطن زراعة واستقرار وتجارة وطرق تجارية ، زاد من أهميتها وجود موانئ هامة بها وأحد أسواق الجزيرة الكبرى ، ومركز تجاري هام على الخليج ، وملتقى المنتجات الهندية ، ومنبع التصدير إلى العراق وسوريا ، وخروج الطرق منها إلى اليمن والجنوب ، وهذه المقومات جعلتها أهم عوامل جذب القبائل والأفراد إليهاوالاستقرار فيها ، فنشأ التوطن الطبيعي فيها والذي أدى إلى الاستقرار الذي قوى من النشاط التجاري .

إن ثمارها وأشجارها ومياهها وهواءها وعيونها المتعددة المعدنية منها والفوارة الدافئة الحارة ، شجعت على الزراعة التي انتشرت في مساحاتها من جانب ، وعلى أن يقصدها البدو الرحل من القبائل المتنقلة في أطراف الدولة من جانب آخر .

ويتضح من هذا أن المجتمع قد تغير جذرياً بعد ظهور النفط ، فقد تمكن الإنسان أن يحول الصحراء إلى مدن عصرية حديثة امتلأت عمراناً وحضارة في كل الجوانب ، فانقلب الحال من حياة بدائية بسيطة إلى حياة الحضارة العالمية ، وبرزت المباني المتطورة والشوارع الحديثة . وأنشأت المصانع والمؤسسات ودور العلم والعبادة في كل مكان ، كما كان اكتشاف النفط علامة لتغير جذري في الحياة والعادات والتقاليد الاجتماعية ، فقد جعل الدولة تسعى لتوفير أسباب المعيشة الرغدة للأفراد ، فقدمت لهم الخدمات في المجالات التعليمية والصحية ومساعدة المحتاجين وتوفير العمل والإسكان .

إلا أنه كان له الأثر السلبي على المجتمع كذلك ، فقد جعل الناس يعتمدون

على الدولة بدلاً من الاعتماد على أنفسهم كما في السابق، وبرزت الروح الفردية بدل الجماعية، وتحولت الأسر الكبيرة إلى صغيرة، وظهر القلق والتوتر بين الأفراد تجاه التمسك بالقديم أو الاندفاع للجديد، وضعفت قدرة القيم الاجتماعية على الاستمرار والثبات، واختلفت أساليب الحياة بعد نشر التعليم والاتصال السريع بالعالم الخارجي عن طريق الوسائل والأجهزة العلمية الحديثة فسادت ثقافة جديدة، وقدمت وفود من الخارج تحمل عاداتها وثقافتها لتتفاعل مع المجتمع الجديد، كما تطورت أساليب الاقتصاد والامكانات المادية والمعنوية.

الفصل الرابع عشر

١ - الخاتمة.

٢ - المراجع والمصادر.

٣ - صور عن معالم الأحساء.

أولاً: الخاتمة

في ختام هذاالكتاب المتواضع أحمد الله تعالى الذي منحني القدرة على إنجاز هذا العمل العلمي، وأتمنى أن أكون قد وفقت في بيان تاريخ الأحساء السياسي والاجتماعي والاقتصادي خلال فترة طويلة من الزمن استغرقت أكثر من أربعة آلاف عام.

وأود أن أشير إلى الجوانب الهامة والعناصر البارزة التي وردت ضمن محتواه، فنحن يمكننا أن نستنتج مما ورد فيه أن الأحساء لم تكن منطقة صغيرة كما نعرفها اليوم، ولامقاطعة ضمن دولة أو مملكة، بل إنها كانت دولة مستقلة كبيرة واسعة الأطراف امتدت حدودها من شمال الكويت إلى حدود عمان.

وإذا أطلق عليها الأقدمون اسم الأحساء فإن المسلمين أطلقوا عليها اسم البحرين التي كانت جزءاً منها، وإن عدة قبائل عربية كبرى عاشت في أراضيها الشاسعة باد بعضها ولم يبق له أثر، وسادت أخرى منها وحكمت المنطقة فترة من الزمن، كما أن ممالك ودول أنشئت فيها واشتهرت في التاريخ، وكان لها تأثير إيجابي بارز في حياة شعوب المنطقة والشعوب المتواصلة معها، فأهالي البلاد لم تكن حياتهم منعزلة عن الآخرين، بل كانوا متصلين اتصالاً مستمراً مع أجزاء مختلفة من العالم القديم والحديث، والدليل على ذلك ماتناوله الكتاب الأجانب والعرب والمسلمين، من إغريق ورومان وفرس وغيرهم، عن أهميتها سياسياً واجتماعياً، وما أكثروا عنها في تفسير ماتحتويه من حضارة وثقافة وتطور في الميادين المختلفة.

فمن المؤكد تماماً أن شعبها كان باني حضارة ومدنية متميزة في تاريخ الانسانية، فقد أسس سكانها المدن والمواقع الحضارية والمؤسسات الثقافية كما أقاموا الهيئات الصناعية والزراعية، وخرج منها أفضل الشعوب التي تميزت بالبناء الحضاري كالفنيقيين الذين اشتهروا بالتاريخ القديم بتميزهم الحضاري والثقافي.

كما أن أفراداً منها عندما دفعتهم الظروف إلى الهجرة، وتوجهوا إلى الساحل الشرقي لأفريقيا أسسوا هناك مدناً ومراكز تجارية هامة بقيت أثارها إلى اليوم، تمجد أفكارهم وتظهر عظمتهم، وتخلد نشاطهم، ليس ذلك فحسب بل إن آثارهم الفكرية والثقافية والمادية بارزة في مصروالسودان والهند وفارس، حيث أسسوا بها كذلك المدن والموانئ والمواقع الحضارية، ولاننسى أن شعبها هو الذي بنى أساس الكويت التي كانت كوتهم، فأصبحت مدينة ودولة تميزت في المنطقة بمميزات فريدة بعد ذلك.

أما الذين قدموا اليها للإستيطان والاستقرار مهاجرين لظروف ودوافع مختلفة، فإنهم رأوا فيها خير مستقر وأفضل ملجأ أمين، لما تتمتع به من مظاهر الحياة الحسنة والمعيشة الطيبة، لتوافر المياه والزراعة والنشاط الاقتصادي، مما أجبر هؤلاء على الاستقرار الدائم بها واتخاذها موطناً لهم.

كما تنفس الثوار والمعارضون الصعداء عندما التجأوا اليها فارين بأنفسهم وأموالهم من اضطهاد حكام الولايات الاسلامية وقوادها المتجبرين، فاتخذوها مركزاً استراتيجياً لإعلان مبادئهم وعقائدهم التي كثيراً مادعت إلى نصرة المظلومين والفقراء والمساكين والضعفاء وتحسين أحوالهم المعيشية، مما دفع هؤلاء إلى الوقوف بحماسة شديدة مع أولئك الثائرين القياديين لتنفيذ رغباتهم ومطالبهم أمام الحكومات المستبدة.

ومن جانب آخر، رأينا كيف تسابق المتحاربون للسيطرة عليها نتيجة أهميتها السياسية والاقتصادية واستراتيجيتها الواضحة، فقد تنافسوا على استغلال خيراتها، وتطلعوا إلى السيطرة على مواردها ومراكزها التجارية، ليس في العصور الحديثة كما يظن، بل استمر ذلك منذ العهود القديمة وحتى العصور الحديثة.

فمن الملاحظ أنه كان يتحتم على أي قائد أو حاكم يهدف إلى تكوين دولة كبرى في المنطقة، أن يسعى أولاً إلى السيطرة على الأحساء ثم التوجه إلى أجزاء أخرى، فلن تكتمل خطته، أو يتحقق هدفه إلا بإنجاز مسيرته.

وما أود أن أوكده هنا، أن الأحساء أثرت بإيجابية تامة في الجوانب الاقتصادية للبلدان الأخرى، فكثيراً ماتناول الكتاب تلك الجوانب قديماً وحديثاً، وتحدثوا عما تحتويه من الخيرات والموارد والمال الوفير والغنى الواسع والتجارة الواسعة، لم يكتنزوها ويحفظوا لانفسهم، بل ساعدوا ما أمكنهم الشعوب الأخرى المحتاجة، فقدموا لهم الكثير من المعونات المالية للتخلص من الضائقات الأقتصادية.

إن هذا التأثير في الحقيقة لم يقتصر على الجانب المادي، بل امتد أثره إلى الجانب العلمي والثقافي، حيث ظهر فيها عديد من المفكرين والعلماء والأدباء والشعراء تميزوا في معرفة العلوم المختلفة، كانوا ينقلون تراثهم هذا أينما ذهبوا واستقروا، فإذا كانوا بناة المدن والمراكز التجارية، فإنهم لم يكونوا أقل بناء في الجانب العلمي.

فقد عرف عنهم أنهم كانوا ينقلون معهم ماتوارثوه من تراث ثقافي إلى الجهات التي كانوا يقصدونها، ويمكن أن نؤكد على ذلك بما قدموه وقاموا به في الكويت عندما نلاحظ جيداً أن معظم الصناعات والحرف والمهن اليدويه قد مارسها أبناء الأحساء منذ تأسيس البلاد فبقيت أثارها واضحة إلى اليوم.

فشهرتهم في صناعة السفن معروفة، كما كانوا أول من فكر في بناء المساجد الحديثة، حينما أنشأوا أول منارة عالية لمسجد في الكويت فكان مشهداً رائعاً وفريداً لأهل البلاد نظروا إليه بإعجاب واعتزاز، واعتبروه أعجوبة الوقت.

وفي النهاية أحب أن ألفت النظر إلى أن أرضها كانت أرض خير وثروة طوال فترة تاريخها الطويل، واستمرت تغدق الخير والغنى حينما تفجرت فيها الثروة النفطية، وبعد ذلك اثمرت هذه الثروة الطائلة التي يتمتع بها أهل الجزيرة العربية كلها، إذ إن أرضها وموانيها وبحارها اشتركت معاً في إنتاج هذا المورد الخطير الذي غير الموازين الاقتصادية في العالم.

ثانياً : المراجع المصادر

١ - إبراهيم أحمد رزقانه وآخرون: حضارة مصر والشرق القديم. (القاهرة - مكتب مصر).

٢ - إبراهيم الشريقي: أضواء على الخليج العربي ومسقط وعمان منذ ظهور الإسلام حتى اكتشاف الذهب الأسود، (جدة - شركة المدينة للنشر ١٩٦٨).

٣ - أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري: أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، (الرياض - دار اليمامة للنشر، ١٩٨٣).

٤ - أبو محمد عبدالملك بن هشام : سيرة النبي ﷺ، (القاهرة، دار التحرير، ١٣٨٣هـ).

٥ - أحمد بن أبي يعقوب المعروف بإبن واضح الأخباري: تاريخ اليعقوبي، (النجف - المكتبة الحيدرية، ١٩٦٤).

٦ - أحمد بن يحيى البلاذري: أنساب الأشراف، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٩).

٧ - أحمد البشر: مقالات عن الكويت، (الكويت، مكتبة الأمل، ١٩٦٦).

٨ - أحمد بن محمد المنقور: تاريخ المنقور - تحقيق عبدالعزيز الخويطر، (الرياض، ١٩٧٠).

٩ - أحمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ شرقي الجزيرة العربية، (بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦٥).

١٠ – أحمد مصطفى أبوحاكمة: تاريخ الكويت، (الكويت، لجنة تاريخ الويت، ١٩٧٣).

١١ – أحمد أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث، (الكويت، ذات السلاسل، ١٩٨٤).

١٢ – أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم، (القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٦٣).

١٣ – سير أرنولد ت. ويلسون: تاريخ الخليج – ترجمة: محمد أمين عبدالله، (سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافي، ١٩٨١).

١٤ – إسماعيل الميرعلي: القرامطة.

١٥ – أنجلا كلارك: جزر البحرين، ترجمة: محمد الخزاعي، (البحرين، جمعية تاريخ وآثار البحرين، ١٩٧٥).

١٦ – إبرج أفشار سيستاني: بلوجستان وتمدن ديرينه أن (طهران، وزارة فرهنك وارشاد اسلامي، ١٣٧١هـ).

١٧ – بدر الدين عباس الخصوصي: دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، (الكويت، ذات السلاسل، ١٩٨٨).

١٨ – سير تشارلز بلجريف: مذكرات بلجريف، (بيروت، دار البلاغة، ١٩٩١).

١٩ – تراث الإنسانية: من أقلام أدباء وكتاب وعلماء، (القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الشركة العربية للنشر).

٢٠ - توفيق برو: تاريخ العرب القديم، (دمشق، دار الفكر، ١٩٨٤).

٢١ - جان جاك بيريبي: الخليج العربي، ترجمة نجده هاجر وسعيد الغز، (بيروت، المكتب التجاري، ١٩٥٩).

٢٢ - جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، (بيروت، مكتبة الحياة ١٩٦٦).

٢٣ - جعفر الخليلي: موسوعة العتبات المقدسة، (بغداد، دار التعارف، ١٩٦٥).

٢٤ - جمال زكريا قاسم: «دور العرب في كشف أفريقيا»، عالم الفكر، (الكويت، وزارة الإعلام، المجلد الأول، العدد الرابع، ١٩٧١).

٢٥ - جمال زكريا قاسم: مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي، المحفوظة في دور السجلات البريطانية، (الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٢).

٢٦ - جمال زكريا قاسم: دولة بو سعيد في عمان وشرق أفريقيا، (القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٨).

٢٧ - جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت دار العلم للملايين، ١٩٧٦.

٢٨ - جورج فاضلوا الحوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي.

٢٨ - جوهان لودفيج بوركهارت: مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة: عبدالله الصالح العثيمين، (الرياض، شركة العبيكان للنشر، ١٩٨٥).

٢٩ - جي. ج. لوريمر: الكويت في دليل الخليج، السفر الجغرافي والتاريخي، (جمعه: خالد سعود الزيد، الكويت، شركة الربيعان، ١٩٨١).

٣١ - جي. ج. لوريمر: دليل الخليج - ترجمة: مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر، القسم التاريخي، مطابع العروبة، الدوحة ١٩٦٧، القسم الجغرافي، (بيروت، دار العربية للنشر، ١٩٧٠).

٣٢ - الحافظ شمس الدين أبوعبدالله الذهبي: دول الإسلام، (بيروت، مؤسسة الأعلمى ١٩٨٥).

٣٣ - حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، (القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥٨).

٣٤ - حسن أحمد محمود: تاريخ العرب قبل الإسلام، (القاهرة، النهضة العربية، ١٩٦٣).

٣٥ - حسن جبر: وفود القبائل على الرسولﷺ، (الكويت وزارة الإعلام، ١٩٨٧).

٣٦ - حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي، (بيروت، دار الكتب، ١٩٦٢).

٣٧ - حسين خلف الشيخ خزعل: حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، (بيروت، دار الكتب، ١٩٦٩).

٣٨ - حسين بن علي الوحيدي، تاريخ لنجه، (دبي، دار الأمة للنشر، ١٩٨٨).

٣٩ – حسين بن غنام: تاريخ نجد، (بيروت، دار الشروق، ١٩٨٥).

٤٠ – حمد بن إبراهيم بن عبدالله الحقيل: كنز الأنساب ومجمع الأداب، (الرياض، مطابع الجاسر، ١٩٩٣).

٤١ – حمزه جعفر الحسن، السيعة في المملكة العربية السعودية، العهد التركي، (بيروت، مؤسسة البقيع لإحياء التراث، ١٩٩١).

٤٢ – خالد بن جابر الغريب: منطقة الإحساء عبر أطوار التاريخ، (الرياض، الدار الوطنية الجديدة للنشر، ١٩٨٦).

٤٣ – خالد فهد الجار الله: تاريخ الخدمات الصحية في الكويت، (الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٦).

٤٤ – الدليل العربي الدولي: إعداد مركز الرأي العام الدولي، (القاهرة، ١٩٩٠).

٤٥ – زاهية قدوره: شبه الجزيرة العربية، كياناتها السياسية، (بيروت، دار النهضة العربية، بدون تاريخ).

٤٦ – سالم النويدري: أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين، (بيروت، مؤسسة العارف، ١٩٩٢).

٤٧ – ستيفن هيمسلي لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، (بغداد ١٩٦٨، منشورات الشريف الرضى، إيران – قم).

٤٨ – سرحان بن سعيد الأزكوي العماني: تاريخ عمان، المقتبس من كتاب: كشف الغمه الجامع لأخبار الأمة، (مسقط، عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠).

٤٩ – سعيد عبدالفتاح عاشور: أضواء على حركة الردة في صدر الإسلام، عالم الفكر، (الكويت، وزارة الإعلام، العدد الرابع، مجلد ١٢، ١٩٨٢).

٥٠ – سعيد عبدالفتاح عاشور: العصر المماليكي، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٠٩٦٥).

٥١ – سعيد عبدالفتاح عاشور: اوروبا العصور الوسطى، (القاهرة، الأنجلو المصرية ١٩٦١).

٥٢ – سعيد عبدالفتاح عاشور: تاريخ أهل عمان، (مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠).

٥٣ – سليمان الدخيل: تحفة الألباء في تاريخ الإحساء، (الرياض، مطبعة الرياض، ١٩١٣).

٥٤ – سليمان العسكري: التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، (القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٧٢).

٥٥ – السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، (القاهرة، النهضة العربية، ١٩٦٠).

٥٦ – سيد علي آل داود: دوسفر نامه أزجنوب إيران، (تهران، مؤسسة انتشارات، أمير كبير، ١٣٦٨هـ).

٥٧ - سيد نوفل، الخليج العربي أو الحدود الشرقية للوطن العربي، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٩).

٥٨ - سيد نوفل: الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، (القاهرة دار المعرفة، ٩٦).

٥٩ - سيد نوفل: الخليج العربي أو الحدود الشرقية للوطن العربي (بيروت ، دار الطليعة، ١٩٦٩).

٥٩ - صادق يلي أحمد: «الأسواق الكويتية»، مجلة العربي، (الكويت، وزارة الإعلام، العدد ٢٣٩، أكتوبر ١٩٧٨).

٦٠ - صالح بن سليمان الناصر الوشمي: ولاية اليمامة، (الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٩٩٢).

٦١ - صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي، (القاهرة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤).

٦٢ - طه الولي: القرامطة، (بيروت، دارالعلم للملايين، ١٩٨١).

٦٣ - عادل محمد العبدالمغني: تاريخ العملة في الكويت، (الكويت، مطابع القبس، ١٩٩٢).

٦٤ - عادل محمد العبدالمغني: الأقتصاد الكويتي القديم، (الكويت، مطابع القبس، ١٩٨٧).

٦٥ - عبدالرحمن بن عثمان بن محمد آل ملا: تاريخ الحركات الفكرية وإتجاهاتها في شرقي الجزيرة العربية وعمان، (الخبر، المملكة العربية السعودية، الدار الوطنية الجديدة للنشر، ١٩٩٤).

٦٦ - عبدالرحمن بن عثمان بن محمد آل ملا، تاريخ هجر، (الأحساء، مطابع الجواد، ١٩٩١).

٦٧ - عبدالرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، (بيروت، ١٩٧١).

٦٨ - عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيد: الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية، (الدمام، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ١٩٩٣).

٦٩ - عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، (القاهرة دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٦).

٧٠ - عبدالرحيم بن يوسف آل الشيخ مبارك: قبيلة عبدالقيس، (الدمام، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ١٩٩٥).

٧١ - عبدالرزاق محمد صديق: صهوة الفارس في تاريخ عرب فارس، (الشارقة، مطبعة المعارف، ١٩٩٤).

٧٢ - عبدالرضا علي أسيري: الكويت في السياسة الدولية المعاصرة، (الكويت - مطابع القبس التجارية، ١٩٩٣).

٧٣ - عبدالحميد زايد: الشرق الخالد، (القاهرة، النهضة العربية، ١٩٦٦).

٧٤ - عبدالسلام الترمانيني: أزمنة التاريخ الإسلامي، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٢).

٧٥ - عبدالعزيز عبدالرحمن النعيم: المنطقة الشرقية بين الماضي والحاضر، (الدمام، ١٩٧٠).

٧٦ - عبدالفتاح حسن أبو علية: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، (الرياض، دار المريخ للنشر، ١٩٨٦).

٧٧ - عبدالكريم بن عبدالله المنيف الوهبي: بنو خالد وعلاقتهم بنجد، (الرياض، دار ثقيف للنشر، ١٩٨٩).

٧٨ - عبدالملك خلف التميمي: الكويت والخليج العربي المعاصر، (الكويت، مؤسسة الشراع العربي، ١٩٩٢).

٧٩ - عبداللطيف أحمد علي: التاريخ اليوناني، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٣).

٨٠ - عبداللطيف أحمد علي: التاريخ الروماني، (القاهرة، النهضة العربية، ١٩٦٢).

٨١ - عبداللطيف أحمد علي: التاريخ الروماني، عصر الجمهورية، (القاهرة، النهضة العربية ١٩٦٤).

٨٢ - عبداللطيف أحمد علي: مصر والأمبراطورية الرومانية، (القاهرة، النهضة العربية ١٩٦٥).

٨٣ - عبداللطيف أحمد علي: الأمبراطورية الرومانية، (القاهرة، محاضرات، ١٩٦٥).

٨٤ - عبدالله بن خالد خليفة وعبدالملك يوسف الحمر وعلي أبا حسين: (البحرين عبر التاريخ).

٨٥ - عبدالله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، (مطابع الشريف، ١٩٩٠).

٨٦ - عبدالله الصالح العثيمين: العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت، (الرياض، شركة العبيكان للنشر، ١٩٩٠).

٨٧ - عبدالله بن محمد بن خميس: الدرعية، (الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٩٩٣).

٨٨ - عبدالله يوسف الغنيم: جزيرة العرب، (الكويت، ذات السلاسل، ١٩٧٧).

٨٩ - عزالدين أبوالحسن، علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بإبن الأثير: الكامل في التاريخ، (بيروت، دار صادر، ١٩٧٩).

٩٠ - عطيه القوصي: تجارة الخليج بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث الهجري، (الكويت، الجمعية الجغرافية الكويتية، ١٩٨٠).

٩١ - علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام، (القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٧١).

٩٢ - علي حسن الحمداني: الحرف اليدوية بين التاريخ والقانون في المجتمع الكويتي القديم، (بيروت، دار زيد للنشر، ١٩٨٥).

٩٣ - علي بن الحسين المسعودي، أبو الحسن: مروج الذهب ومعادن الجوهر، (بيروت، دار الأندلس، ١٩٨١).

٩٤ - علي رضا ميرزا محمد: الخليج الفارسي عبر القرون والأعصار، (طهران، منشورات مجمع الأدب والفن الإيراني، ١٣٩٦هـ).

٩٥ - عمر ذيب مصطفى، جزيرة فيلكا، (الكويت - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ١٩٨٨).

٩٦ - عمر رضا كحاله: معجم قبائل العرب، (بيروت مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤).

٩٧ - عمر رضا كحاله: جغرافية شبه جزيرة العرب.

٩٨ - فائز بن موسى البدراني الحربي: من أخبار القبائل في نجد، (الرياض، دار البدراني للنشر، ١٩٩٤).

٩٩ - فائق حمدي طهبوب: تاريخ البحرين السياسي، (الكويت ذات السلاسل، ١٩٨٣).

١٠٠ - فتوح عبدالمحسن الخترش: تاريخ العلاقات السياسية البريطانية الكويتية، (الكويت ذات السلاسل، ١٩٧٤).

١٠١ - فتوح عبدالمحسن الخترش وعبدالعزيز المنصور: مصادر تاريخ قطر مابين ١٨٦٨، ١٨١٦، (الكويت، ذات السلاسل، ١٩٨٤).

١٠٢ - فيليب حتى: تاريخ العرب، (بيروت، دار الكتاب، بدون تاريخ).

١٠٣ - قدري قلعجي: الخليج العربي، (بيروت دار الكتاب العربي، ١٩٦٥).

١٠٤ - كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، (بغداد، مطبعة الرابطة، ١٩٥٤).

١٠٥ - لبيب عبدالساتر: قصة الخليج، (بيروت، دار المجاني، ١٩٨٩).

١٠٦ - ما يلز س.ب: الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة : محمد أمين عبدالله، (سلطنة عمان، وزارات التراث القومي والثقافة، ١٩٨٢).

١٠٧ - محمد أبو الفضل إبراهيم: ذيول تاريخ الطبري، (القاهرة، دار المعارف ١٩٨٢).

١٠٨ - محمد البسام التميمي النجدي: الدرر الفاخر في أخبار العرب الأواخر، تحقيق: سعود بن غانم الجمران العجمي، (دمشق، ١٩٨١).

١٠٩ - محمد جمال الدين سرور: قيام الدولة العربية الإسلامية، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٩).

١١٠ - محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٩).

١١١ - محمد جابر الأنصاري: لمحات من الخليج العربي، دراسات في تاريخ الخليج وثقافته ورجاله وفولكلوره الشعبي، (البحرين، الشركة العربية للوكالة والتوزيع، ١٩٧٠).

١١٢ - محمد بن جرير الطبري أبو جعفر: تاريخ الأمم والملوك، (بيروت دار القلم).

١١٣ - محمد حسن العيدروس: زايد أمير بن ياس وعلاقته بالقوى المجاورة، (الكويت، ذات السلاسل، ١٩٩٠).

١١٤ - محمد حسن العيدروس: التطورات السياسية في دولة الامارات العربية المتحدة، (الكويت، ذات السلاسل، ١٩٨٣).

١١٥ - محمد الحسيني عبدالعزيز: حضارة الكويت ودول الخليج العربي، (الكويت، ذات السلاسل، ١٩٧٥).

١١٦ - محمد حسين الزين: الشيعة في التاريخ، (بيروت، دار الآثار للنشر، ١٩٧٩).

١١٧ - محمد حميد الله الحيدر أبادي: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (القاهرة، لجنة التأليف والنشر، ١٩٥٦).

١١٨ - محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي: التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، (بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٨٦).

١١٩ - محمد رضا فودة: الأمن القومي للخليج العربي (باريس - الصلاح للدراسات السياسية والإنتاج الإعلامي، ١٩٩١).

١٢٠ - محمد الرميحي: قضايا التغير السياسي والاجتماعي في البحرين، (الكويت، مؤسسة الوحدة للنشر، ١٩٧٦).

١٢١ - محمد إبن سعد: الطبقات الكبرى، (بيروت، دار الفكر).

١٢٢ - محمد سعد أطلس: تاريخ العرب، (دار الأندلس، ١٩٧٩).

١٢٣ - محمد سعيدي وآخرون: مجموعة مقالات خليج فارس، (تهران، مركز مطالعات خليج فارس، ١٣٦٩هـ).

١٢٤ - محمد سعيد المسلم: ساحل الذهب الأسود، (بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦٠).

١٢٥ - محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر الأنصاري الأحسائي: تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، (الرياض، مكتبة المعارف ١٩٨٢).

١٢٦ - محمد عرابي نخله: تاريخ الأحساء السياسي، (الكويت، ذات السلاسل، ١٩٨٠).

١٢٧ - محمد عبدالهادي جمال: تاريخ الخدمات البريدية في الكويت. (الكويت - مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٤).

١٢٨ - محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، ١٩١٥.

١٢٩ - محمد ماهر حماده: الوثائق السياسية والادارية العائدة للجزيرة العربية، (بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨٧).

١٣٠ - محمد متولي، حوض الخليج العربي، (القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٧٥).

١٣١ - مصطفى مراد الدباغ: قطر ماضيها وحاضرها، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٦١).

١٣٢ - موضي بنت منصور بن عبدالعزيز: الهجر ونتائجها في عصر الملك عبدالعزيز، (بيروت، دار الساقي، ١٩٩٣).

١٣٣ - ميمونة الخليفة الصباح: الكويت حضارة وتاريخ، (الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٩).

١٣٤ - مجلة الواحة: (بيروت، العدد الرابع، مارس، ١٩٩٦).

١٣٥ - نورية محمد ناصر الصالح: علاقات الكويت بشرقي الجزيرة العربية والعصر العثماني، (الكويت، ذات السلاسل ١٩٧٧).

١٣٦ - هاشم محمد الشخص: أعلام هجر، (بيروت، مؤسسة البلاغ، ١٩٩٠).

١٣٧ - ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، (القاهرة، الادارة الثقافية، جامعة الدول العربية، ١٩٥٩).

١٣٨ - وندل فيليبس: تاريخ عمان، ترجمة: محمد أمين عبدالله، (سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨١).

١٣٩ - يعقوب عبدالعزيز الرشيد: (الكويت في ميزان الحقيقة والتاريخ، الكويت ١٩٦٣).

١٤٠ - يعقوب يوسف الحجي: نواخذة السفر الشراعي في الكويت، (الكويت، شركة الربيعان، ١٩٩٣).

١٤١ - يعقوب يوسف الغنيم: كاظمة في الأدب والتاريخ، (الكويت، مطبعة الفجر، ١٩٩٥).

١٤٢ - يعقوب يوسف الغنيم: أواره، لمحة من تاريخ الكويت، (الكويت، مطبعة الفجر، ١٩٩٥).

١٤٣ - يوسف جعفر سعاده: الكويت، قرنان ونصف من الاستقلال، (القاهرة، الدار الشرقية، ١٩٩٢).

١٤٤ - يوسف جعفر سعادة: الجهاد بين النظرية والتطبيق، (الكويت، ذات السلاسل، ١٩٨٥).

١٤٥ - مجموعة مذكرات :

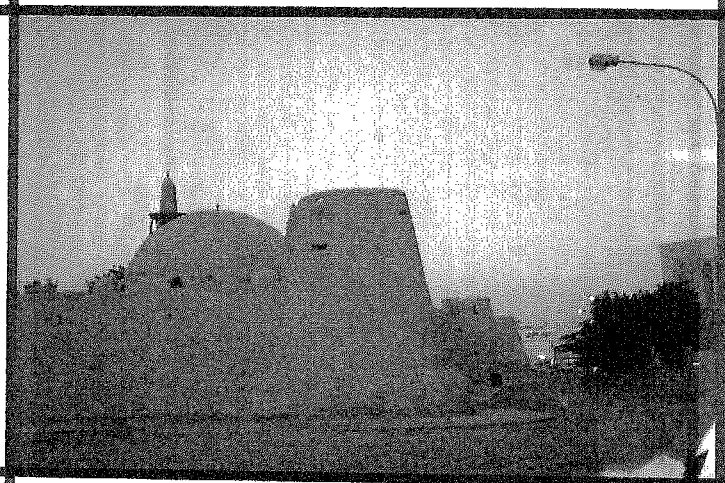
- مذكرات الحاج إسماعيل بهمن.
- مذكرات الأستاذ حمزة عباس الأستاذ.
- مذكرات النوخذة الحاج كاظم حبيب بوشهري.

١٤٦ - مقابلات مع علماء وأدباء وتجار الإحساء والبحرين.

ثالثاً : صور عن معالم الأحساء



■ آثار من مدينة الإحساء القديمة ■



■ قصر إبراهيم وهو قلعة أنشئت منذ أيام القرامطة في الكوت ■



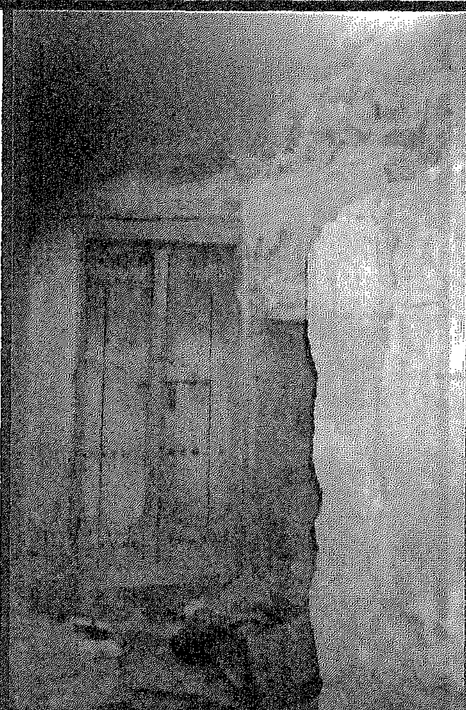
■ جامع البطالية.. وينسب إليه جامع مدينة الإحساء القديمة ■



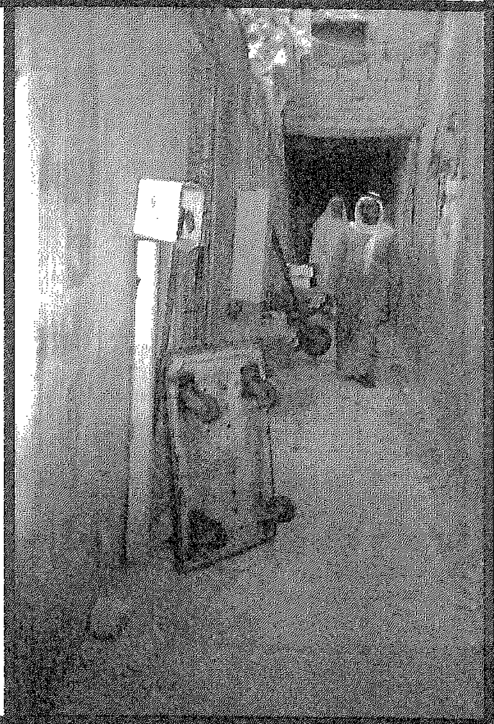
■ مسجد جواثـا ■



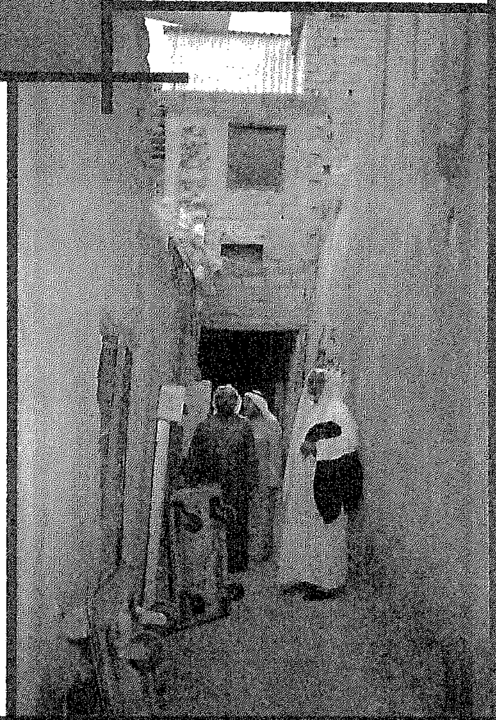
■ بقايا مسجد جواثا ■



■ مناطق أثرية قديمة ■



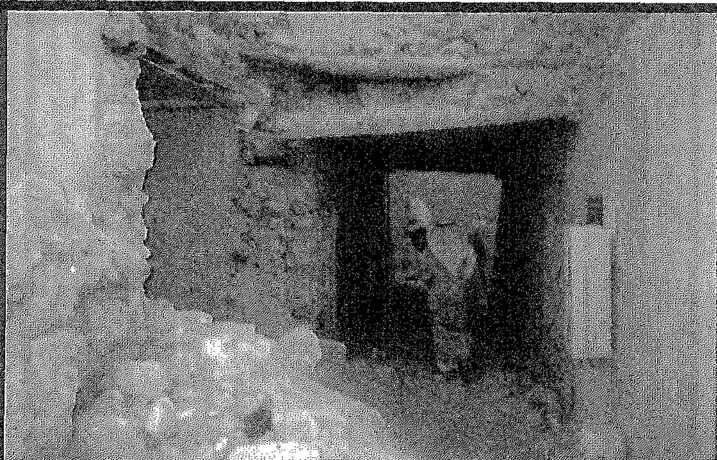
■ مناطق أثرية قديمة ■



■ مناطق أثرية قديمة ■



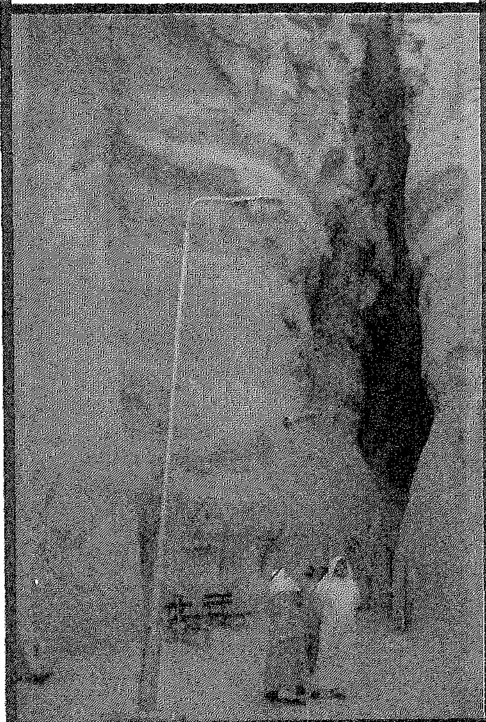
■ مغـــارة القـــارة ■



■ مناطق أثرية قديمـة ■



■ معالـــم زارعية بالهفـوف ■



■ مغـــارة القـــارة ■



■ عيــون الميــاة بالهفــوف ■



■ معالــم زارعيــة بالهفــوف ■



■ مدخل متحف المدينة بالهفوف ■



■ صور تجمع المؤلف وصاحب فكرة الكتاب ومرافقين مع بعض شخصيات أهل الإحساء في الهفوف ■



■ صور تجمع المؤلف وصاحب فكرة الكتاب ومرافقين مع بعض شخصيات أهل الإحساء في الهفوف ■



■ صور تجمع المؤلف وصاحب فكرة الكتاب ومرافقين مع بعض شخصيات أهل الإحساء في الهفوف ■

كتب أخرى للمؤلف

١ - الإتجاهات العالمية في إعداد معلم المواد الاجتماعية، (القاهرة، مؤسسة الخليج العربي، ١٩٨٥، ط٣، مركز الكتاب للنشر، ١٩٩٢).

٢ - دور القراءات الخارجية في تدريس التاريخ، (القاهرة، مؤسسة الخليج العربي، ١٩٨٥، ط٣، مركز الكتاب للنشر، ١٩٩٢).

٣ - تطور برامج الإعداد المهني لمعلم المواد الاجتماعية، (الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٦).

٤ - الجهاد بين النظرية والتطبيق، من خلال ثورة الحسين بن علي عليه السلام، (الكويت، ذات السلاسل، ١٩٨٧).

٥ - الكويت: قرنان ونصف من الاستقلال، (القاهرة، الدار الشرقية، ١٩٩٢).

٦ - التدريب، أهميته والحاجة إليه، أنماطه، بناء برامجه والتقويم المناسب له، (القاهرة، الدار الشرقية، ١٩٩٣).

فهرس الخرائط

طبع بمطابع المجموعة الدولية
تلفون و فاكس : ٢٦٢٤٣٠١/٢